الحركة الوطنية الفلسطينية

أمام اليهود والصهيونية ١٨٨٢ - ١٩٤٨



الحركة الوطنية الفلسطينية

أمام اليهود والصهيونية ١٨٨٢ - ١٩٤٨

دراسات فلسطينية ـ ٩٩

الحركة الوطنية الفلسطينية

أمام اليهود والصهيونية ١٨٨٢ ـ ١٩٤٨

ناجي علوش



منظمة التحرير الفلسطينية و رابطة الأدباء
مركز الابحاث في الكويت

ايار (مايو) ١٩٧٤

محتويات الكتاب

صفحة

مقدمــة ٧

الفصل الاول : خلفية الصراع العربي ـ الاسرائيلي ١٨٨٢ ـ ١٩٤٨ ١١

الفصل الثاني : الحركة الوطنية الفلسطينية امام اليهود والصهيونية الى ١٩٤٨ ٧٥

الفصل الثالث : المصير المفجع لتجربة العمل المشترك ٢٢٣

الفصل الرابع : الدعوة اليهودية للتعايش والسلام ٢٧١

الفصل الخامس: مأساة الفصل الختامي ٢٨٣

مقدمة

هدف هذا الكتاب واضح ومحدد : انه يريد ان يقدم موقف حركتنا الوطنية الفلسطينية من اليهود والصهيونية · ولكنه لا يريد ان يقدمه مجردا ، ولا يريد ان ينتزعه من ظروفه الذاتية والموضوعية· وهو فوق هذا لا يستهدف تصويره على غير حقيقته ، فيحسنه او يزينه تمويها امام النفس وأمام الآخرين ، أو يجرحه ويقبحه انتقاما من قيادات « سقطت » ، ومزايدة على حركات واحزاب اندثرت ، أو ما تزال حطاما ·

وكان ، لا بد من أجل وعي أبعاد موقف حركتنا الوطنية من اليهود والصهيونية ، من مدخل يوضح خلفية الصراع الفلسطيني ـ الصهيوني ، لان مناقشة القضية دون وعي خلفيتها ، يقود الى الانحراف يمينا أو يسارا ، ويجعل تقييم الموقف تقييما سليما أمرا مستحيلا ، أو أقرب ما يكون الى المستحيل ·

ولهذا اعتبر الخلفية جزءا أساسيا من الكتاب ، ومدخلا ضروريا لوعي موقفنا ، ولادراك مواقع قوته وضعفه ·

ولكن ما القصد من هذا كله ؟

هل هو محاولة « للتبرير » ، تستهدف « تبرئة » ماضينا من الشوائب ، واسباغ صورة مقبولة له ، من وجهة نظرنا الان ؟

هل هو محاولة « لاسقاط » موقف القسم الاكثر تقدما من الحركة الوطنية على القسم الاكثر تخلفا ؟

هل هو محاولة « لاسقاط » موقفنا « الراهن » على موقفنا « السابق » ؟

انه لا هذا ولا ذاك ولا ذلك ٠

انه محاولة تتلمس تطور موقف حركتنا الوطنية ، وتسعى لاكتشاف مواقع قوتها وضعفها ، خلال مسيرتها المتعرجة الطويلة المعقدة ٠ وهو اذ يفعل ذلك ، فمن أجل الغايات التالية :

أولا : تقديم هذه القضية تقديما صحيحا لكشف مزايدات المزايدين وطعنات المغرضين ، وخاصة الذين اتهموا حركتنا الوطنية بالشوفينية والتعصب والعرقية ٠

ثانيا : تبيان مواقع القوة والضعف في موقفنا ، ليكون ذلك عبرة لنا في نضالنا الراهن والمقبل من أجل تحرير أرضنا ٠

ثالثا : بلورة موقف سليم ، وطنيا وأمميا ، من الاحتلال الصهيوني في بلادنا ، ومن مشكلة اليهود والصهيونية ٠

والكتاب فوق هذا يحاول ان يلتزم بايضاح خط الحركة الوطنية ، الرسمي علنيا كان أو سريا ، ولا يتعدى ذلك لايضاح مواقف الاشخاص والجماعات ، خارج هذا الخط· سيان كانت هذه المواقف مؤيدة أو معارضة ، الا حيث كان ذلك لازما وضروريا ·

كما أن الكتاب لا يتطرق الى الحركة الوطنية العربية وموقفها ، لان ذلك يحتاج الى كتاب آخر ، لا استطيع الوعد بانجازه ·

بيروت نيسان ١٩٧٢

المؤلف

الفصل الاول

خلفية الصراع العربي ـ الصهيوني

١٨٨٢ - ١٩٤٨

يلجأ بعض الباحثين والصحفيين في الغرب الى فصل الصراع العربي الصهيوني في فلسطين عن خلفيته. ويقودهم هذا الفصل التعسفي حينا ، الاعتباطي حينا ، المغرض حينا آخر الى اعتبار الصراع العربي ـ الصهيوني صراعا دينيا أو عرقيا . وقد ساعدت الاوساط الصهيونية ، والاوساط المؤيدة لها ، على الترويج لهذا الاتجاه ، لانها تهدف الى وصم النضال العربي بالعرقية او التعصب الديني لتخفي ، أسباب الصراع الحقيقية .

وسأحاول هنا ان أقدم خلفية للصراع: تبين تاريخ الصراع وأسبابه وأهدافه وأطرافه وطبيعته .

١ ـ تاريخ الصراع وتطوره :

من المتفق عليه ان الصراع قد بدأ فعليا مع تبلور الصهيونية السياسية . وهذا يعني ان الصراع قد بدأ مع

مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ · ولكنه ظل ضيقا ومحدودا ، حتى اعلان وعد بلفور · ثم زاد تأججا بعد وضع سياسة الوطن القومي موضع التطبيق من خلال الانتداب البريطاني على فلسطين ·

ونستطيع ان نقول بأنه « لم يرافق نشوء الشعور القومي عند العرب في القرن التاسع عشر أي شكل من اشكال العداء لليهود قبل بداية الغزو الصهيوني والهجرة الصهيونيةالاولى عام ١٨٨٢ » (١) · وقد لاحظ اول قنصل بريطاني في القدس مدى ما يتمتع به اليهود من تسامح (٢) · ولهذا كان هنالك فرق في علاقات العرب بمستعمرات البيكا (المستعمرات الاولى) وعلاقتهم بالمستعمرات الصهيونية التي انشئت فيما بعد · « ومن يتجول في قرى البيكا يلاحظ حسن العلاقات السائدة بين اليهود والعرب،فليس بالمستهجن ان ترىالعربي جالسا في شرفة منزل يهودي · أما الحالة في المستعمرات الصهيونية ، فتختلف عن ذلك اختلافا بينا » (٣) ·

وكان هذا الفرق بينالمستعمرات القديمة والجديدةواضحا وملموسا · وقد أشارت اليه اللجنة الملكية في تقريرها سنة ١٩٣٧ ، وذكرت ان « ذلك الشعور الاخوي » ··· « لم يبق منه الا القليل » بسبب التطورات التي مرت بها العلاقات ·

---

١ ـ الكيالي ، عبد الوهاب : **تاريخ فلسطين الحديث** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، نوفمبر ١٩٧٠ ، ص ٤٧ ·

٢ ـ **المرجع السابق** ، ص ٤٧ ·

٣ ـ سمبسون ، السير جون هوب : **فلسطين ، تقرير عن الهجرة ومشاريع الاسكان والعمران** ، سنة ١٩٣٠ ، مطبعة دار الايتام السورية ، القدس ، ص ٧٥ ·

أما «اليهود العصريون» ، فان ذلك الشعور « لم يخامرهم ٠٠٠ في حياتهم قط » ٠

ولهذا كان من رأي اللجنة « ان النزاع ليس في جوهـره نزاعا عنصريا ناشئا عن كره قديم، يكنه العرب نحو اليهود٠ فلقد كان التنافر او الاصطدام بين العنصرين قليلا جـدا أو مفقودا بالمرة في سائر الاقطار العربية ، الى ان ولده النزاع القائم في فلسطين » (٤) ٠

وقد أكدت هذه الحقيقة كل المراجع التي قرأناها ٠ وهناك من ذهب الى انه « لم يكن في خلد العربي » قبل الحـرب العالمية الاولى « ما يحمله على التخوف من اليهودي ٠ ولكن الكراهية الكافية اتقدت نارها لما راحت السياسة البريطانية تلوح بالوطن القومي اليهودي تلويحا كان لتلك النار ترويحا ، فاضطرم وقودها » (٥) ٠

ان هذا الصراع اذن قد بدأ عفويا مع الهجرة الواسعةفي الثمانينات من القرن الماضي ، وتطور مع تطور سياسةالوطن القومي ، وكان يزداد تأججا وانتظاما كلما ازدادت سياسة الوطن القومي تقدما واندفاعا ٠ وسنرى في فصول الكتاب اللاحقة كيف كانت تتطور ردود الفعل الفلسطينية ، وكيـف كانت تتبلـور المواقف من خـلال تتبع مراحـل الصراع وانعكاساتها ٠

....

٤ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : تقرير عـرض على البرلمـان في شهر تموز سنة ١٩٣٧ ، ص ١٥٦ ، ١٧٢ ٠

٥ ـ نيوتن ، فرنسيس املي : خمسون عاما في فلسطين ، نقـله وديع البستاني ١٩٤٧ ، مطابع ريحاني ـ صادر ، ص ٧٠ ٠

٢ ـ اسباب الصراع وأهدافه :

وكانت اسباب الصراع وأهدافه واضحة منذ البدء · ذلك ان الهجرة الاولى التي قامت بها جماعات من اليهود هربا من الاضطهاد في بلاد اخرى، لم تثر خوف العرب ولا قلقهم· ولكن موجات الهجرة منذ سنة ١٨٧٥ أخذت تبعث على القلق · وقد كتب قنصل الولايات المتحدة في القدس الى وزارة الخارجية قائلا : «ان تدفق اليهود على فلسطين من روسيا بمثل هذه الكثرة سوف يقلب الحالة في البلاد ، فلا تمضي سنوات حتى يصبح اليهود هم سكان البلاد ، لا سكانها الاصليون » (٦) · وكتب عام ١٨٩١ قنصل آخر : « ان اليهود يتحدثون الان عن اقامة مملكة لهم في فلسطين ، ويشجعهم على ذلك مهاويس كثيرون في بريطانيا وامريكا » (٧) ·

وهنا يكمن السبب الاساسي·فلقد رأى العرب في الهجرة خطرا ، لا يهدد ارضهم ووسائل رزقهم فحسب ، بل يهدد وجودهم كله ·

ويستطيع الذي يتابع مؤتمرات الحركة الوطنية الفلسطينية، ويقرأ العرائض والقرارات المختلفة ، ويراجع الوثائق المتعددة ، ان يجد هذه الحقيقة واضحة مجسدة · فالهجرة الصهيونية تشكل :

....

٦ ـ مانويل ، فرانك أ· : **بين اميركا وفلسطين** ، ترجمة يوسف حنا ، منشورات دائرة الثقافة والفنون ـ وزارة الثقافة والاعلام ، عمان ١٩٦٧ ، ص ٢٠ ·

٧ ـ **المرجع السابق** ، ص ٣٠ ·

اولا ـ خطر على الاقتصاد الوطني :

وقد اعتبر محمد صلاح العماري ان « السيطرة الاقتصادية على فلسطين » و « استيلاء البنوك والمؤسسات اليهودية على جميع المرافق الصناعية والتجارية في البلاد » احد اخطار الصهيونية العشرة (٨) . وكان تغلغل اليهود في ميداني التجارة والصناعة قد جعل لهم « مقاما رفيعا في الشؤون الاقتصادية والتجارية » بات« يخشى معه ان تصبح أزمةهذه الشؤون كلها في ايديهم ، اذا استمرت الحال على ما نرى » (٩) . كان هذا سنة ١٩١٩ والانتداب ما زال في اول عهده والسيطرة ما زالت خطرا متوقعا . ولكن هذا الشعور أخذ يزداد حدة مع ازدياد تدفق الاموال وازدياد بروز السيطرة الاقتصادية الصهيونية على السوق في فلسطين . وتحكم بالمواطنين الفلسطينيين شعور « ان اليهود الاثرياء سيضعون ايديهم على كل شيء ، وبذلك تتدمر » تجارتهم . وكانوا يرون ان الصهيونيين « يتطلعون للحصول على امتيازات تؤدي الى دمارهم » . وهم لا يستطيعون « الصمود في وجه المنافسة » . وكيف يتسنى لهم ان يدخلوا ميدان المنافسة « ولدى اليهود بنوك مالية كثيرة ، وهي لا تقدم المساعدات الا لليهود » (١٠) . وكان عرب فلسطين يدركون مدى سيطرة اليهود على رؤوس الاموال . ولم يكن المهاجر

....

٨ ـ الكيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٦٦ .

٩ ـ بيدس ، خليل : **النفائس العصرية** ، الجزء ١٢ ، كانون الاول ١٩١٩ ، السنة ٧ ، اليهود في القدس (١٢٩ ـ ١٣١).

١٠ـ الكيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ١٨٨ .

الصهيوني مهاجرا أعزل ، بالنسبة لهم · لقد كـــان « يمثل حركة انشأتها جمعية دولية هامة تعضدها ، في رأي العرب، أموال لا تفنى » (١١) كما كان هذا المنافس هو الاقوى « علما ومالا » (١٢) ·

وكان هنالك عامل آخر يزيـــد من خوف العرب · وهذا العامل هو مساعدة الحكومةالبريطانية من خلال انتدابهاعلى زيادة السيطرة الاقتصادية الصهيونية · ولقد نص على ذلك صــك الانتداب ، فيما نــص عليه · واعتــرف « تقــرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آبسنة ١٩٢٩ » بنجاح « المشاريع اليهوديـــة في تأسيس صناعات جديدة في تل ابيب وحيفا وغيرها على نطاق يجب اعتبـاره نطاقا واسعا ، بالنظر للظروف الحاضرة في فلسطين »·كما اعترف التقرير بأن حكومة فلسطين مــدت في احوال كثيرة « يدها لمساعدة هذه الصناعات الحديثة ، أما بزيادة الرسوم الجمركية على الواردات لوقاية منتوجاتها ، أو بتخفيضهذه الرسوم عن المواد الضرورية لها » (١٣) ·

وتجلى الصراع في ميدان الاقتصاد في المجالات التالية :

أ : **الصراع على الارض** · وبينما كـان الفلاح الفلسطيني

---

١١ ـ لجنة التحقيق (شو) : **تقرير عــــن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب سنة ١٩٢٩** ، ترجمة رسمية ، مطبعة ديـــر الروم بالقدس ، ص ١٩٩ ·

١٢ ـ الكيالي ، عبد الوهاب : **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ، ضـد الاحتــلال البريطاني والصهيونية (١٩١٨ ـ ١٩٣٩)** ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٨ ، ص ٦ ·

١٣ ـ لجنة التحقيق (شو) : **المرجع السابق** ، ص ٣٢ ·

متمسكا بأرضه (١٤) ، كانت الحركة الصهيونية تفعل كلما تستطيع لتوسيع رقعة الارض التي تتملكهـــا · وقد سهلت سلطات الانتداب للحركة الصهيونية النجاح في مساعيها · ذلك انها أغلقت المصرف الزراعي العثماني ، وطالبت العرب بتسديد ديونه المستحقة · بينما لم تيسر لهم سبل الاقتراض· كما انها زادت الضرائب حتى بلغت سنة ١٩٣٠ حوالي٣٤٪ من الدخل الصافي ، ولم تراع حقوق الفلاحين العرب ، ولا اهتمت بمصالحهم عند اصدار قوانين التصدير والاستيراد· وعلى الرغم من هذا كله ، وعلى الرغم من الاغراءات المالية التي استخدمتها مؤسسات الحركة الصهيونية والافراد في سبيل الحصول على الاراضي،فقد كانت الاراضي التيءيملكها اليهود في فلسطين يوم ١٥/٥/١٩٤٨ كما يلي :

المساحة بالدونم	التفصيلات
٦٥٠ر٠٠٠	اراضي حصلعليها اليهود في ظل الحكمالعثماني، وكانت مسجلة باسمهم سنة ١٩١٨ ·
٥٠٠ر٠٠٠	الاراضي الاميرية التي منحتها سلطـات الانتداب للوكالة اليهودية ·
٦٢٥ر٠٠٠	اراضي باعتها عائلات غير فلسطينية ·
٤٠٠ر٠٠٠	اراضي منطقة مرج ابن عامر ·
١٦٥ر٠٠٠	اراضي امتياز بحيرة الحولة ·

....

١٤ ـ جاء في احتجاج مخاتير وائمة واعيان طولكرم على قيام الوطن القومي سنة ١٩١٩: «انعربفلسطين··· لا يسلمون بوجه من الوجوه بأن تستلب منهم بلادهم العزيزة عليهم ، فهم يحافظون عليها بكل الطرقالمكنة لهم ، وان هذا قد يثيـــر من المشاكل والاضطرابات ما يكون سببا للقلاقل ··· » · **وثـائق المقاومة الفلسطينية** ، مؤسسة الدراسات ، ص ٧ ·

٣٢٫٠٠٠	اراضي وادي الحوارث ٠
٢٨٫٠٠٠	أراضي مختلفة ٠
٣٠٠٫٠٠٠	اراضي باعها عرب فلسطين ٠
٢٫٠٧٥٫٠٠٠	المجموع العام (١٥) ٠

وكانت الاراضي التيملكها اليهود من أخصب الاراضي٠ وكان ما يزرع حمضيات منها ١٠٫٠٠٠ دونم سنة ١٩٢٢ من ٣٢٫٠٠٠ دونم ، و ١٤٣٫٠٠٠ دونم سنة ١٩٣٥ مقابل ١٣٥٫٠٠٠ يزرعها العرب،أما سنة ١٩٣٩ فقد كانتالاراضي المزروعة حمضيات ٢٩٣٫٠٠٠ نصفها لليهود (١٦) ٠

وقد جعلت الحركة الوطنية العربية في رأس مطالبها : وقف بيع الاراضي وانتقالها الى الصهيونيين (١٧) ، كما جعلت الحركة الصهيونية في رأس مطالبها : السماح بانتقال الاراضي وتسهيل عملية انتقالها (١٨) ٠

وكان من أسباب اضطرابات سنة ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ ان العرب « ينظرون بعين القلق والارتيابالى الاراضي الواسعة التي انتقلت الى أيدي اليهود ، كما يخشون ان تتسرب أراض

---

١٥ ـ الغوري ، اميل : **١٥ ايار ١٩٤٨** ، دار النشر العربية ، ١٩٥٩، ص ٥٨ ـ ٦٦ ٠

١٦ ـ علوش ، ناجي : **المقاومة العربية في فلسطين** (١٩١٧ ـ ١٩٤٨)، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٧٠، ص ١٦ ٠

١٧ ـ الكيالي ، عبد الوهاب : وثائق ـ **المرجع السابق** ، ينـدر ان تخلو من هذا المطلب مذكرة او احتجاج ٠

١٨ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، مطالب العرب واليهود وظلاماتهم ، الصفحات ١٨٨ ، ٤٧٦ ٠

أخرى الى أيدي هؤلاء ، بسبب ارتفاع الاسعار وضعف بعض مواطنيهم » ٠

وكان من الاسباب الاساسية لهذه الاضطرابـات : « فزع العرب من استمرار شراء اليهود للاراضي العربية » (١٩)٠

وكان استيلاء الصهيونيين على الارض، بمساعدة سلطات الانتداب ، يتخذ طابعـــا مأساويا ، اذ كان يستخدم العنف لاخراج المزارعين العرب من أراضيهم ، كما حدث في قضية وادي الحوارث والعفولة (٢٠) ٠

وقد اتخذت الحركةالوطنية العربيةمجموعة منالاجراءات لوقف بيع الاراضي ، اذ انها حرمت البيع بفتاوى ، وخونت الباعة والسماسرة ، واتخذت اجراءات زجرية بحق بعضهم، كما انها شجعت عمليةوقف الاراضي وأسستصندوقا مهمته شراء الاراضي العربية ومنعانتقالها الى الايديالصهيونية(٢١) وظل هذا الصراع دائـــرا حتى بدايــة حرب سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ ٠

وعندما انتهت الحرب العربية ـ الاسرائيلية سنة ١٩٤٩، اصبح للاحتلال الصهيوني سيطرة على ما يقارب ٨٠٪ مـن اراضي فلسطين التي هجرها معظم اهلها٠وهنا اتخذالصراع شكلا آخر ٠ سوف نرى اثاره على الفكر السياسي فيالمرحلة التالية ١٩٤٩ ـ ١٩٦٥ ٠

....

١٩ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ٠

٢٠ ـ نيوتن ، فرنسيس املي : **المرجع السابق** ، ص ١٥٠ ـ ١٥١ ٠

٢١ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ١١٥ ٠

ب : **الصراع في ميادين التجارة والصناعة** • كان الصراع في ميادين التجارة والصناعة صراعا بين مجتمع عربي متخلف ومجتمع صهيوني متقدم • وكانت الجاليات اليهودية القادمة الى فلسطين لا تحمل خبرات العالم الاوروبي في التجـــارة والصناعة فحسب ، بل تتوافر لها مبالـغ طائلة من الاموال المتدفقة • وقد قاد هذا الى توسع السيطرة الصهيونية على التجارة والصناعة باضطراد •

وسنقدم فيما يلي ثلاثة جداول تعطي صورة واضحة عن رؤوس الاموال اليهودية المستثمرة ، وعن شركـات الامتياز العربية واليهودية وعن الثروة الوطنية •

الجدول رقم ١

رؤوس الاموال اليهودية المستثمرة في فلسطين (٢٢) •

السنة	رؤوس الاموال
١٩٣٢	٣ر٠٠٠ر٠٠٠
١٩٣٣	٦ر٠٠٠ر٠٠٠
١٩٣٤	١٠ر٠٠٠ر٠٠٠
١٩٣٥	١١ر٠٠٠ر٠٠٠

٢٢ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ٢٨٢ •

الجـدول رقم ٢ (٢٣)

	عـرب		شركات الامتياز		يهــود	
	١٩٣٩	١٩٤٢	١٩٣٩	١٩٤٢	١٩٣٩	١٩٤٢
عدد العاملين في الصناعة	٤١١٧	٨٨٠٤	٢٦١٩	٣٤٠٠	١٣٦٧٨	٢٧٧٧٢
قيمة الانتاج القائمة بالألف	١٥٤٥	٥٦٥٨	١٢٥١	٢١٣١	٦٠٤٦	٢٩٠٤١
قيمة الانتاج الصافية بالألف	٣١٢	١٧٢٥	١١٠٦	١٦٣١	٢٤٥٥	١١٤٨٨
رأس المال المستثمر بالألف	٧٠٤	٢١٣١	٥٧٩٩	٦٢٩٤	٤٢٩١	١٢٠٩٤
قوة الماكنات بالحصان	٣٩١٤	٣٨١٢	١٢٣١٢٨	١٣٣٦٧٣	٤١٦٩٤	٥٧٤١٠
الاجور والرواتب	١٢٢	٥١١	٢٧٤	٦١١	١٠٠٨	٥٦٤١

....

٢٣ ـ الحسيني ، محمد يونس : **التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية** ، مكتبة الطاهر اخوان ، يافا ، مطبعة بيت المقدس ، ١٩٤٦ ، ص ١٢١ .

الجدول رقم ٣

الثروة الوطنية في فلسطين سنة ١٩٤٥

البيان	ثروة يملكها بالمليون جنيه فلسطيني: العرب	اليهود	الاخرون	المجموع
الموجودات الاجنبية المتحركة	٣٩ر٣	٦١ر٧	١٣ر٧	١١٤ر٧
الاراضي الزراعية	٧٤ر٨	٢٤ر٣		٩٩ر١
رأسمال الصناعة	٢ر١	١٢ر١	٦ر٣	٢٠ر٥
الموجودات التجارية المؤمنة لدى شركات التأمين	٢ر٠	٩ر٢	٢ر٣	١٣ر٥
السيارات	١ر٣	١ر٩		٣ر٢
الاموال المستثمرة في الزراعة : انبنايات والآلات والادوات والحيوانات الخ٠	١٣ر١	١٦ر٥		٢٩ر٦
المجمـوع	**١٣٢ر٦**	**١٢٥ر٧**	**٢٢ر٣**	**٢٨٠ر٦**

واذا كان الاستاذ محمد يونس الحسيني يشكك بصحة هذه الارقام ، ويقدم جدولا بديلا (٢٤) ، فان الجدول البديل لا يغير من الارقام المتعلقة بالصناعة والتجارة ، الا فيما يتعلق برأسمال الصناعة العربية ·

ان الارقام في الجداول الثلاثة واضحة · ويبين الجدول الاول نسبة تزايد رؤوس الاموال الصهيونية المستثمرة · ويبين الثاني الفرق بين حصة العرب من شركات الامتياز وحصة اليهود ، من حيث عدد العاملين وقيمة الانتاج القائمة والصافية ورؤوس الاموال المستثمرة وقوة الماكنات والاجور والرواتب · ويبين الثالث رأس المال الموظف في الصناعة عند العرب واليهود والموجودات التجارية المؤمنة والاموال المستثمرة في الزراعة ، بالاضافة الى أمور أخرى ·

وقد اهتم المهاجرون اليهود منذ البدء بالشركات المساهمة (شركات التعاون) ، وهو ما لم يهتم به العرب· وكتبت مجلة غرفة تجارة حيفا بهذا الصدد : « ومع اننا لا نكاد نقف على عدد من اعداد الجريدة الرسمية الا ونرى اسم شركة او شركتين من شركات التعاون اليهودية ، لا نذكر اننا وقعنا على اسم شركة من هذا النوع تألفت بين العرب » (٢٥) ·

وكانت هنالك ثلاثة عوامل تهيىء للمهاجرين الصهيونيين سبل النجاح :

---

٢٤ ــ الحسيني ، محمد يونس : **المرجع السابق** ، ص ١٧٩ ــ ١٨١ ·

٢٥ ــ **المجلة التجارية لغرفة تجارة حيفا** ، العدد الخامس، ايلول ١٩٣٠ ، ص ١٥٥ ــ نقابات التعاون ·

الاول : توافر الخبرات اللازمة · ويملك اليهود في هذا الميدان خبرات جمة نتيجة اوضاعهم التاريخية· وكان العرب يشعرون بالعجز امامهم ·

الثاني : توافر مصادر التمويل · ذلك ان المؤسسات العاملة من أجل الهجرة ، كانت تؤمن الاموال للاستثمار · كما ان علاقات اليهود بالبنوك والمؤسسات المالية العالمية ، كانت تسهل عملية الحصول على الاموال اللازمة · ولهذه الاسباب كان الاقتصاد الصهيوني ينمو على الرغم من الازمات· وحين وقعت الازمة الاقتصادية التي بدأت سنة ١٩٢٥ ، وامتدت على طوال السنوات الثلاث التالية ، وقعت « عدة تفليسات ، واقفلت عدة معامل صغيرة بسبب قلة رأس المال وعدم وجود الاعتماد » · وعلى الرغم من ذلك « فقد بقيت صناعات يهودية محلية يشتغل فيها اكثر من ٦٠٠٠ عامل مقابل ٥٠٠٠ سنة ١٩٢٥ » (٢٦) ·

الثالث : تشجيع السلطات البريطانية · وقد سهلت للصهيونيين الحصول على الامتيازات الهامة ، مثل مشروع روتنبرغ ومشروع استثمار البحر الميت (٢٧) · كما ان

....

٢٦ ــ **المرجع السابق** ، العدد الثاني ، نيسان ١٩٢٧ ، السنة ٣ ، ص ٥٢ ·

٢٧ ــ الكيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، ص ٧٣ ، ١٣٢ ·

السلطات البريطانية اخضعت سياسة التصدير والاستيراد لمقتضيات تطور الاقتصاد الصهيوني (٢٨) ٠

ولم يكن بدعا بعد هذا ان يتطور الاقتصاد الصهيوني ، وان يكون « جل المصانع الحديثة التي أسست في السنوات الاخيرة هي مصانع يهودية » (٢٩) ٠

ولم يكن هذا النشاط الاقتصادي الصهيوني مدمرا للاقتصاد الفلسطيني فحسب اذ ان آثاره تعدت فلسطين الى سورية ٠ مما جعل احدى نشرات غرفة تجارة دمشق تكتب سنة١٩٢٧: « ان المصنوعات الوطنية تأخرت كثيرا في المدة الاخيرة ، بسبب قرار حكومة فلسطين القاضي باعفاء المواد الاولية للصناعة من الرسوم الجمركية ٠ وهذه المواد هي غزل الصوف والقطن والحرير والصناعات بأنواعها ، حتى اصبحت فلسطين تنازع سورية بمصنوعاتها ٠ وبدلا من ان تستورد فلسطين من منسوجات سورية اصبحت تصدر اليها من صنائعها » (٣٠) ٠

وهكذا وجد التاجر الفلسطيني نفسه امام تاجر اكثر خبرة ومالا وأوثق اتصالا بالسوق العالمية ٠ كما وجد «الصناعي» الفلسطيني نفسه أمام « صناعي » متفوق في الخبرة والمال ، ووجدت الشركة « العائلية » الفلسطينية نفسها امام شركة

....

٢٨ ـ البيطار ، نديم : **قضية العرب الفلسطينية** ، مطابع صادر ـ ريحاني ، ١٩٤٧ ، ص ١١١ ـ ١٢٦ ٠

٢٩ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ٢٨١ ٠

٣٠ ـ **المجلة التجارية لغرفة تجارة حيفا** : العدد الخامس ، ايلول ١٩٢٧ ، السنة الثالثة ، ص ١٤٧ ٠

مساهمة حديثة ، ووجدت الادارات البدائية نفسها امام ادارات مجربة ومحنكة·ووجد رأس المال الفلسطيني الفردي، فوق هذا ، نفسه امامرأس المال الصهيوني بوفرته ونفوذهفي الاوساط المالية العالمية وبخبراته « العريقة » ·

وكان طبيعيا ان يحاول التاجر الفلسطيني والصناعي الفلسطيني ان يبحثا عن وسيلة يحميان بها مصالحهما · وكان شعورهما بالخطر يوحدهما مع الجماهير المضطهدة المستغلة في صراعها ضد الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية · ولهذا شارك التجار والصناعيون في الحركة الوطنية ، وقاموا في الوقت ذاته بعقد المؤتمرات وانشاء المؤسسات واتخاذ الاجراءات التي تجسد مصالحهم والمصالح الوطنية عموما · وكان من هذه الاجراءات :

« ١ ـ تشجيع المصنوعات والمؤسسات العربية الوطنية الحقيقية ·

٢ ـ مقاطعة المصنوعاتوالمحصولات والمؤسسات والمتاجر الصهيونية عامة والعمال الصهيونيين ·

٣ ـ الاستغناء عن البضائع الاجنبية والاستعاضة عنها بقدر ما هو موجود من البضائع الوطنية » (٣١) ·

ولقد « كان للمقاطعة التي قام بها العرب ضد اليهود ،بعد اضطرابات سنة ١٩٢٩، أثر بارز في تشكيلاتهم الاقتصادية· اذ قد دفعتهمتلك المقاطعة الىالاعتماد على انفسهموالاستغناء

....

٣١ ـ علوش ، ناجي : **المرجع السابق** ، ص ٣٠ ·

عن كثير مما كانوا يستهلكونه من البضائع والمصنوعات اليهودية، وقد أدى ذلك الى خلق بعض الصناعات والتجارات والشركات المختلفة التي لم تكن موجودة قبل هذا التاريخ » (٣٢) ·

ولقد تقدم عرب فلسطين في ميداني التجارة والصناعة ، ولكن التقدم الصهيوني كان اسرع واوسع · فقد كان عدد العاملين في الصناعة من العرب ٩٢٩ر٢٤ سنة ١٩٣١، بينما كان عدد اليهود ٢٣٥ر١٩ · ولم يكن عدد السكان اليهود آنذاك يبلغ ٢٥٪ من عدد السكان العرب · وكان يعيش من التجارة سنة ١٩٣١ حوالي١٣ر٢٠٪ من العرب و٤٢ر١٦ من اليهود· وكانت نسبة التجار اليهود من بين التجار الفلسطينيين ٨ر٣٦٪ بينما كان اليهود لا يتجاوزون ٠١ر١٨٪ من السكان (٣٣) ·

ج : صراع بين برجوازيتين صغيرتين وطبقتين عاملتين ·

لم يكن الصراع هنا صراعا بين الطبقات الثرية فحسب، كان صراعا أيضا بين برجوازيتين صغيرتين وطبقتين عاملتين : البرجوازية الصغيرة العربيةوالبرجوازية الصغيرةاليهودية، والطبقة العاملة العربية والطبقة العاملة اليهودية · وكان التنافس بين هذه الطبقات حادا ، لان البرجوازي الصهيوني الصغير والعامل الصهيوني شكلا تهديدا كبيرا وخطيرا

....

٣٢ ـ السفري ، عيسى : **فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية**، ص ٢٠١ ـ ٢٠٥ ·

٣٣ ـ علوش ، ناجي : **المرجع السابق** ، ص ٢٤ ـ ٢٥ ·

للبرجوازي الصغير العربي والعامل العـــربي · فالبرجوازي الصهيوني الصغير (حرفي ، مهني ، فـــلاح الخ) متفـــوق في علمه وخبرته ووسائل مساندته · انــه برجوازي صغير اوروبي ، يقف أمام برجوازي صغير مــن بلد متخلف · وهو فوق هذا برجوازي يهودي صغير يتملك تجربة واسعة وخبرة غير عادية ·

وما ينطبق على البرجوازي الصغير ينطبق على العامل · اذ ان العامل العربي البدائي واجه عاملا متقدما ·

وكان العامل اليهودي يحظى بالميزات التالية :

١ ـ كان يتفوق على نظيره العربيفي الاجر · وكانتنسبة الزيادة سنة ١٩٣٧ تبلغ ٦ر٦٣ ٪ في صناعة الموبيليا و ٤ر٧١ ٪ في الصناعات المعدنية ·

٢ ـ وكان يمتاز على نظيره العربي بأنه اكثر تنظيما ، لان الحركة النقابية الصهيونية كانت اكثر تقدما ، بما لا يقاس · وخاصة لان الهستدروت قادها منذ سنة ١٩٢٠ ، موحدا بين الاهداف السياسية والنقابية (٣٤) ·

٣ ـ وكان يمتاز على العامل العربي بالحماية التي تقــدم له ، وذلك بمنع استخدام العمال العرب ، وبتوفير امكانيات العمل من خلال تيسير سبل النجاح امام الزراعة والصناعة

....

٣٤ ـ القاضي ، ليلى : **الهستدروت** ، دراسات فلسطينية ، ٩ ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٧ ·

والتجارة الصهيونية ، وبفتح دوائر سلطات الانتداب امامه (٣٥) ٠

ولهذا كانت البرجوازية الصغيرة العربية، كالطبقةالعاملة العربية ، لا تواجه غزوا أجنبيا يهدد وطنها فحسب، بلتواجه عدوا قويا ينافسها على لقمة عيشها ٠

ثانيا ـ خطر على المطامح السياسية في الحرية والاستقلال :

لقد كان العرب يطمحون الى الاستقلال خلال الاحتلال العثماني ٠ وحاولوا معبداية القرن ان يتحرروا من الاتراك، ولذلك تحالفوا مع الحلفاء في الحرب العالمية الاولى ٠ ولكن نهاية الحرب حملت اليهم الاستعمار ، وحملت اليهم في فلسطين : الاستعمار والصهيونية ٠ وبينما أخذ العرب يناضلون من اجل الاستقلال وطرد الاحتلال اخذت الحركة الصهيونية تناضل من أجل بقاء الاحتلال ٠ وهكذا اختلف الهدفان اختلاف تضاد ٠ واذا كان العرب يناضلون من أجل الاستقلال ، كي يزيحوا كابوس الاحتلال عن صدورهم ، ويحولوا دون الصهيونية وتحقيق مآربها في ظل الاحتلال ، فان الحركة الصهيونية كانت تعمل لبقاء الاحتلال كيتستطيع ان تحمي « مشروعها » الاستيطاني ٠ كانت هذه الحقيقة واضحة ٠ وقد أشارت لها اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ في تقريرها قائلة : « والمفروض ان الانتداب ينتهي اجله عاجلا أم آجلا ٠ أما العرب فيتعجلون حلول هذا اليوم ، في حين ان

---

٣٥ ـ كثيرا ما اشتكى العرب من تمتع العامل اليهودي بعطف الحكومة ٠ **وثائق المقاومة الفلسطينية** ، ص ٢٩ ، ١١١ ٠

اليهود يعملـــون على تأخيـــره · والاسباب ظـــاهرة في الحالتين » (٣٦) ·

ولهذا كانت الحركـــة الوطنية الفلسطينية ترفـع شعار الاستقلال وتناضل من اجله · وهذا ما أكدته في مؤتمراتهـا ومظاهراتها وعرائضها وبرقياتها وثوراتها ، منذ سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٤٨ (٣٧) ·

وكانت الحركة الوطنية الفلسطينية تؤكد دائما: ان الشعب الفلسطيني جدير بالاستقلال ، وبأن له الحق في ان يقيم نظام الحكم الذي يريد، وان يرفض الاستعمار، كل اشكال الاستعمار، على أرضه · وكانت مطالبة شعب فلسطين بالاستقلال القومي تحتل المكان الاول دائما من بين مطالبه (٣٨) ·

وكانت التقارير تؤكد دائما على ان « خيبة أمل العرب في تحقيق الوعود بالاستقلال » من أهم اسباب الاضطرابات في فلسطين · فهذا هو السبب الرئيسي لاضطرابات سنة ١٩٢٠، كما جاء في تقرير اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ ، وجاء فـــي التقرير ان السبب الرئيسي لاضطرابات سنة ١٩٢١ هو عداء العرب لليهود « لدواع اقتصادية وسياسية » ونتيجة « فهمهم للسياسة الصهيونيـــة ، كما شرحهـا أصحاب الفكرة من اليهود » · أما هدف هياج سنة ١٩٢٩ فهو : « الهدف القديم بنفسه ، ألا وهو اقامة حكومة ذاتية وطنية » · أما اضطرابات

٣٦ ــ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ٤٨٦ ·
٣٧ ــ الكيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ·
٣٨ ــ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ١٧٣ ·

سنة ١٩٣٦ فأهم اسبابها : « رغبـــة العرب في الاستقـلال **القومي** » (٣٩) ٠

لقد كان موضوع السيادة اذن شغل الحركة الوطنيـــة الفلسطينية الشاغل ٠ وكانت ترفض بحث القضية من زاوية أخرى ٠ وحين حاولت بعض الاوساط الاستعمارية ان تخدع شعبنا بحديث مضلل عن الاستفادة من الاستعمارالصهيوني ماديا وعمرانيا ، كانت تجابـــه برد حاسم : السيادة اولا ٠ ويقول تقرير اللجنة الملكية المذكورآنفا انالعرب كانوايعبرون عن ردهم على هذه الاضاليل بقولهم : « تقولون اننا صرنــا أحسن حالا ، وان بيتنا قد زينه الغربـاء الذين دخلوا اليه ٠ ولكن البيت هو بيتنا ، ونحن لم ندع الغرباء اليه ، ولم نطلب اليهم تزيينه ، فسيان عندنا أكان ذلك البيت حقيرا أم مجردا من الزينة ما دمنا نحن الاسياد فيه » (٤٠) ٠ ولكي يكونوا اسيادا في وطنهم ، لا بد من ان تكون لهم حكومة مسؤولـة أمام مجلس تمثيلي منتخب، يمثل فيه كل السكان علىمختلف مللهم ونحلهم ٠

فمن ذا الذي يقف ضد تحقيق ارادتهم ؟

انه الاستعمار البريطاني الذي يحتل البلاد ، ويرفضتنمية مؤسسات الحكم الذاتي فيها ، والحركة الصهيونية التيتريد

---

٣٩ ــ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ٦٨ ، ٦٩ ، ٩٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ٠

٤٠ ــ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ١٧٢ ٠

بقاء الاحتلال مؤقتا ، حتى تضرب جذورها في فلسطين ، وتخلق مقومات الوطن القومي ·

والى هذين العدوين الاساسيين المتحالفين والمتداخلين اتجه عرب فلسطين في مقاومتهم ·

ثالثا ـ خطر على الوجود القومي :

كان عرب فلسطين يعرفون ان : « المسائل الاقتصادية مرتبطة ارتباطا كليا في الشؤون السياسية · ذلك لانه لا توجد مسائل اقتصادية قائمة بذاتها، مستقلة عن المسائل السياسية والاجتماعية الاخرى » (٤١) · وكانوا يعرفون جيدا ان السيطرة الاقتصادية تقود الى السيادة السياسية · ولهذا فان عرب فلسطين كانوا يدركون ان ما يجري لا يهددهم اقتصاديا فحسب ، بل يهدد مصيرهم (٤٢) · وكان منسنتائج استفحال الخطر ان باتوا « لا يرون في المهاجر اليهودي خطرا على معيشتهم فحسب ، بل ذلك السيد الذي قد يسيطر على البلاد في المستقبل » (٤٣) · وكان هذا الهاجس المروع يشغل بالهم منذ بدء الهجرة السياسية كما ذكرنا · ويستطيع الذي يتابع أدبيات مراحل تطور القضية ان يلمس هذا بوضوح ·

---

٤١ ـ الكيالي ، عبد الوهاب : **وثائق** ، ص ٦٤١ ·

٤٢ ـ تقول مذكرة الوفد الفلسطيني الى رئيس لجنة الانتدابات في جنيف (٢٧ـ٦ـ٣٠) : « ان مخاوف العرب لا تقتصر على مستقبلهم الاقتصادي فحسب ···· بل يخافون على مصيرهم » **وثائق المقاومة الفلسطينية** ، ص ١٧٦ ·

٤٣ ـ لجنة التحقيق (شو) : **المرجع السابق** ، ص ١٩٩ ·

ومن ذلك أن اسعــاف النشاشيبي نشر قصيدة سنة ١٩٠٩ جاء فيها :

ان الاستعمــار قــد جازى المــدى
دون ان يعدوه عــــن سير عداء
ان هذا الــداء قــد امسى عيــاء
فتلافــوه ســريعا بالــدواء
انهــا اوطــانكم فاستيقظــوا
لا تبيعوهــا لقــوم دخــلاء
كيــف ترجون حيــاة بعدهــا
ونعيمــا وهنــاء وصفــاء
فاعلموا يا قــوم ان لــم تعلموا
ان عقباكــم هــلاك وفنــاء(٤٤)

ولم يخف على أحد ان نية الحركة الصهيونية تتجــه الى ان تجعل من فلسطين « مستعمرة كبيرة يؤمها اليهود ٠٠٠٠ من كل صقــع فيجتمــع شملهم ، وتغص بهم أراضيهــا الرحبة » (٤٥) ٠

ولكن كيف يستطيعون تحقيق ذلك ؟

ان نجاح خطتهم « يتوقف على ثلاثة أمور وهي :

أولا : وجود أكثرية يهودية في فلسطين

---

٤٤ ــ بيدس ، خليل : **النفائس العصرية** ، السنة الثالــثة ، ١٩٠٩ ، المجلد الثاني ، ص ٥٧٦ ــ ٥٧٧ ٠

٤٥ ــ بيدس ، خليل : **المرجع السابق** ، الجــزء العاشر ، تشريــن الاول ، ١٩١١ ، السنة الثالثة ، ص ٤٥٧ ٠

ثانيا : امتلاك الجانب الاكبر من اراضي فلسطين

ثالثا : عدم اندماج اليهود مع السكان » ٠

وقد عقد الصهيونيون « النية على ان يكون اخوانهم الاكثرية في فلسطين تدريجيا » ، فاذا ما اصبحوا الاكثرية « لا يعود يحول دون قبضهم على أزمة الحكومة فيها وسن شرائعها حائل » (٤٦) ٠

وكان يتملك عرب فلسطين شعور ، قبل صدور وعد بلفور، بأن الحال اذا استمرت على هذا المنوال « فان الصهيونيين سيتملكون البلاد ، ونصبح نحن فيها غرباء » (٤٧) ٠ وكانت اهداف الصهيونية من ذلك أشد ما تكون وضوحا ٠ فالصهيونيون كما يقول خليل السكاكيني سنة ١٩١٤«يريدون ان يمتلكوا فلسطين قلب الاقطار العربية والحلقة الوسطى التي تربط شبه الجزيرة العربية بافريقيا ٠ وهكذا يبدو انهم يريدون كسر الحلقة وتقسيمالامة العربية الى جزئينللحيلولة دون توحدها ٠ فعلى الشعب اذن ان يكون واعيا انه يمتلك أرضا ولسانا ٠ واذا شئت ان تقتل شعبا ما فاقطع لسانه واحتل أرضه ٠ وهذا بالضبط ما يعتزم الصهيونيون ان يفعلوه بالامة العربية » (٤٨) ٠

---

٤٦ ــ بيدس ، خليل : **المرجع السابق** ، الجزء ١٦ ، ١٥ـ٢ـ١٩٢٠ ، السنة السابعة ، ص ٢١١ ٠

٤٧ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **تاريخ فلسطين الحديث** ، المصدر جريدة الاقدام ، ص ٧٩ ٠

٤٨ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٧٩ ٠

وازداد هذا الشعور وضوحا وحدة بعد اعلان وعد بلفور وتطبيق سياسة الوطن · ويجد المتابع صورا حية في برقيات الحركة الوطنية ومذكراتها استنكارا لهذه السياسة · ذلك « ان مبدأ الحق والعدل لا يجيز قهر أمة من الامم باكثار عدد أمة اجنبية عنهافي بلادها حتى تذيبهافيها»، كما جاء في احتجاج الفلسطينيين المنفيين الى هيئة مؤتمر السلم سنة ١٩١٨ (٤٩) · لان هذه السياسة ستؤدي « الى فناء السكان الاصليين » (٥٠) · وكان كل ما يجري يثبتلهم « على ان الشعب العربي الموجود في فلسطين اليوم لا يأتي عليه نصف قرن ، وهو في عالم الوجود » (٥١) ·

ولقد كان خليل السكاكيني موفقا عندما عبرعن هذهالحالة سنة ١٩٢٥ بقوله:«كان اليهود يجيئون الى فلسطينليموتوا، ثم جعلوا يجيئون ليعيشوا ، وهم الان يحاولون ان يجيئوا ليملكوا » (٥٢) ·

وكان من الطبيعي ان يتأجج هذا الشعور مع اندفاع سلطات الانتداب في تحقيق سياسة الوطن القومي · وقدعبر عن هذا الشعور فريح بومدين امام لجنة التحقيق المكلفة

---

٤٩ ــ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، ص ١ ·
٥٠ ــ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، ص ١٠ ·
٥١ ــ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، ص ١٢ ·
٥٢ ــ السكاكيني ، خليل : **فلسطين بعد الحرب الكبرى** ، الجزء الاول ، ص ١٣ ·

بالتحقيق في اضطرابات سنة ١٩٢٩ قائلا : « لم يبق شيء للعرب في هذه البلاد ، سوى الموت او الرحيل » (٥٣) ٠

وقد ظل هذا الشعور يعتلج في قلوب العرب ، ويثير هواجسهم ، فيثورون ويقمعون أو يهدأون حتى حدث ما كان متوقعا سنة ١٩٤٨ ، وقامت دولة الاحتلال الصهيوني ، وتشرد شعبنا بعد سنوات طوال من النضال ٠

وكانت هنالك عوامل أخرى تزيد هذا الصراع تأججا واشتعالا ، أهمها :

أ : **استهتار السياسة البريطانية بحقوق العرب ومشاعرهم واصرارها على تنفيذ المخطط الصهيوني** ٠ وكان هذا الاستهتار واضحا منذ البدء ، حين اعلن وعد بلفور اولا ، ثم حين عين هربرت صموئيل مندوبا ساميا على فلسطين ، وبعد ذلك ، حين أدمج وعد بلفور « في المادة ٩٥ من معاهدة سيفر (آب ١٩٢٠) الموقعة بين الدول الحليفة وتركية » (٥٤) ، وحين نص صك الانتداب على ان تكون غايته : « وضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي ، بحسب ما جاء بيانه في ديباجة هذا الصك»(٥٥)٠

واذا كان وعد بلفور قد أثار مخاوف العرب ، فان تعيين هربرت صموئيل مندوبا ساميا « ملأ الجو مخاوف واحتمالات خطيرة ، ذلك ان العرب من مسلمين ومسيحيين،

---

٥٣ ـ لجنة التحقيق (شو) : **المرجع السابق** ، ص ١٢٧ ٠

٥٤ ـ طربين ، احمد : **قضية فلسطين : (١٨٩٧ ـ ١٩٤٨)** ، الجزء الاول ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٨ ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ ٠

٥٥ ـ طربين ، احمد : **المرجع السابق** ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ٠

يصرون على حرب الصهيونية في غير هوادة ولا لين»(٥٦)٠ ولقد اعتبر الصهيونيون تعيين هربـــرت صموئيل ، وهو مرشحهم ، مندوبا ساميا على فلسطين دليل على التــزام بريطانيا بسياسة الوطن القومي ٠ أما العرب فقد رأوا فــي القرار البريطاني بتعيين هربرت صموئيل دليلا قاطعا علىما ينوي الانتداب عملــه في فلسطين ٠ امـــا مارلو ، الكاتب البريطاني المؤيد للصهيونية فقد رأى فيه : « دليلا على مدى ما هو مقصود ومقرر في السياسة البريطانية من دعم وتنمية الوطن القومي اليهودي » (٥٧) ٠

وكان اللنبي ، قد أبرق ، لدى سماعه خبر تعيين هربرت صموئيل محذرا ومنذرا ٠ وجاء في برقيته :

« بصدد الاثر على ابناء البلد اعتقد بأن تعيين الحاكـــم الاول يهوديا ، سيكون بالغ الخطورة ٠

فقد سبق واصبح السكان المحمديون في حالة هياج كبير ، انطلاقـــا مـــن الانباء القائلة بأن تصريح المستر بلفـــور سيشتمل في معاهدة السلام ٠٠٠ انهم سيعتبرون تعييـــن يهـــودي اول حـــاكم ، حتى ولو كان يهوديا بريطانيـــا ، بمثابة تسليم البلاد دفعة واحدة الى ادارة صهيونية دائمة ٠

واضاف اللنبي : انني اتوقع عند وصول نبأ تعيين المستر صموئيل حصول حركة عامة ضد الصهاينـــة ، وان علينا

---

٥٦ ــ مانويل ، فرانك أ٠ : **المرجع السابق** ، ص ١٦٣ ٠

٥٧ ــ Marlowe, John : *Rebellion in Palestine*, London. 1946, p.p. 96-97.

التأهب لمواجهة انتهاكات اليهود ، وحصول اغتيالات وغارات على القرى اليهودية وغارات على أرضنا من الشرق ٠ هذا اذا لم تكن الحركة اوسع ٠

ان السكان الوطنيين المسيحيين ، البروتستانت والكاثوليك والروم الارثوذكس سيستاؤن استياء عميقا من انتقال الحكم الى سلطة يهودية وسيلقون بكامل ثقلهم ضد الادارة ٠ وانهم ذوو تأثير كاف بجعل اي حكم من اي نوع كان ، صعبا (٥٨) ٠

ومع ذلك فقد جرى تعيين هربرت صموئيل !

وأثارت الموافقة على مشروع الانتداب موجة من الاستنكار والاحتجاج اشتركت فيها كل المؤسسات والمنظمات ٠ وقد استهلت اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني الخامس بيانا لها سنة ١٩٢٢ بقولها : « اجمعت الامة العربية الفلسطينية على رفض الانتداب ومشروع انشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ، وذلك بعد ان تجلت لها نتائج هذه السياسة الرهيبة على حياتها القومية والاقتصادية » (٥٩) ٠

وتمثل استهتار السلطات الانتدابية بما يلي :

١ ـ فتح باب الهجرة على مصراعيه ، على الرغم من

---

٥٨ ـ دورين انغرامز : اوراق فلسطين ١٩١٧ـ١٩٢٢ ـ بذور القضية، دار النهار للنشر ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ٠

٥٩ ـ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، المرجع السابق ، ص ٤٣ ـ ٥٦، وتراجع الوثيقة ٢٧ ٠

احتجاجات العرب المتواصلة ، وعلى الرغم من ان لجان التحقيق المختلفة قد اشارت الى ان الهجرة من اسباب الاضطرابات · واشار تقرير لجنة شو الى موضوع الهجرة مبينا « ان عدد المهاجرين من الصنفين الاول والثاني » – اي ذوي الوسائل المستقلة والذين يعتمدون على معيل مقيم في فلسطين – « بالواقع غير محدود » · كما اشار التقرير ايضا الى ان « سلطات المهاجرة » لا تباشر « مراقبة ما على ادخال هؤلاء المهاجرين ، الا اذا وجد سبب خاص يدعوها لذلك » · واضاف : « اذ ان من المحتم ان تسبب العادة المتبعة الآن » فيما يتعلق بالهجرة « قلقا لغير اليهود من سكان فلسطين » (٦٠) ·

وبحث تقرير السير جون هوب سمبسون سنة ١٩٣٠ الظاهرة ذاتها فذكر أنه : « يدخل البلاد سنويا عدد وافر من الناس بصفة سياح ، يبلغ احيانا بضعة آلاف ، ولا تنتبه الحكومة الا للقيل منهم » · هذا « فضلا عن المهاجرين من ذوي الاصناف المصرح بها ، لمن يرومون الاستيطان في فلسطين » · ثم يذكر التقرير ان « عددا ليس بالقليل » يدخل « البلاد بطريق التهريب والتملص من المراقبة الواقعة على الحدود » · ويضيف التقرير ان عدد السياح الذين ظلوا في البلاد خلال ثلاث سنوات ، كان كما يلي (٦١) ·

---

٦٠ – لجنة التحقيق (شو) : **المرجع السابق** ، ص ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ·

٦١ – سمبسون ، السير جون هوب : **المرجع السابق** ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ·

٦/٣٠/ ١٩٢٧ الى ١٩٢٨/٦/٣٠	٢٤٠٠
١٩٢٨/٦/٣٠ الى ١٩٢٩/٦/٣٠	٣٤٠٠
١٩٢٩/٦/٣٠ الى ١٩٣٠/٦/٣٠	٢٠٠٠

ولم تكتف الحكومة بذلك بل قامت تحت ضغط الحركة الصهيونية بتسجيل ستة آلاف سنة ١٩٣١ من المتسللين ، على اعتبار انهم مهاجرون « يقيمون في البلاد بصورة مشروعة (٦٢) » ٠

وبدأت تحت اشراف الانتداب موجات الهجرة تتدفق ٠ وكان ما دخل فلسطين في السنوات ٢٠ ـ ٢٩ حوالي مائة الف مهاجر ، وفي السنوات ٣٠ ـ ٣٥ حوالي ١٥٠ الفا وفي السنوات ٣٩ ـ ٤٥ حوالي ثمانين الفا (٦٣) ٠ وكانت من اسباب انخفاض معدلات الهجرة في هذه الفترة : صعوبة المواصلات خلال الحرب ٠ وقد بلغ أدنى حد لنسبة المهاجرين **اليهود الى السكان ١ر١١ ٪ سنة ١٩٢٢ ، واعلى حد ٦ر٣٠ ٪** في السنوات ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ على التوالي (٦٤) ٠

وكان العرب يرون في سيل الهجرة المتدفق خطرا على وجودهم وبقائهم ، ذلك ان « ازدياد السيل اليهودي معناه تعاظم العائق الذي يحول دون نيل العرب استقلالهم القومي»،

---

٦٢ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ١٠٥ ٠

٦٣ ـ سعد ، الياس : **الهجرة اليهودية الى فلسطين** ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ص ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٤ ٠

٦٤ ـ سعد ، الياس : **المرجع السابق** ، ص (٣٧ ـ ٣٨) ٠

ومعناه « ان المصير الذي يهدد العرب هو اسوأ من الامساك عن منحهم حريتهم ودوام حكم الانتداب » ٠٠ ان معناه «حكم العرب الفلسطينيين من قبـل اليهود » (٦٥) ٠ ومعناه فوق هذا وبعد هذا اجلاء العرب عن وطنهم « وبناء قومية اجنبية على انقاض القومية العربية » (٦٦) ٠

ب ـ السماح بانتقال الاراضي الى المؤسسات الصهيونية وتسهيل أمر انتزاعها من العرب المنتفعين بها ، وكان انتقال الاراضي ، كالهجرة ، يثير اشد مشاعر القلق لدى العرب ٠ وكان الاحتجاج على انتقال الاراضي يلازم الاحتجاج عـلى الهجرة ، ويلازم المطالبة بالاستقلال ٠ لقد كان هذا الثالوث ثالوث الحركة الوطنية الفلسطينية ٠ ولـكن سلطات الانتداب وأجهزتها المؤيدة للصهيونية ظلت تتجـاهل هذه الرغبـة الصميمية ٠ وعلى الرغم من الاحتجاجات والانتفاضات التي شهدتها فلسطين ، وعلى الرغم من تقارير اللجان التي اكدت : « ان البلاد لا تستطيع ان تعول عددا من المزارعين يزيد على من فيها ، الا اذا تغيرت اساليب الزراعة المتبعة الآن تغييرا اساسيا » (٦٧) ، فان سلطات الانتداب سارت ضمن خـط سياسة الوطن القومي في هذا المجال ايضا ٠

وحين اصدرت الحكومة البريطانية خطـة سياسية في

---

٦٥ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ١٠٩ ٠

٦٦ ـ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٤ ٠

٦٧ ـ لجنة التحقيق (شو) **المرجع السابق** ، ص ١٥٩ ٠ وسمبسون، جون هوب : **المرجع السابق** ، ص ٢٠٢ ٠

٢١/١٠/١٩٣٠ ، بعد دراسة تقرير سمبسون وشو ، سميت الكتاب الابيض ، قابلت الاوساط العربية هذه الخطة « بشيء غير قليل من الارتياح ، على الرغم من تمسكهـا بأسس السياسة البريطانية اليهودية وتأكيدها لوعد بلفور وصك الانتداب » • ولكن هذه الخطة سجلت : « مع ذلك ما لحق بالعرب من اضرار نتيجة انتقال هذه الاراضي لليهود ، واوصت بتقييد انتقال هذه الاراضي محافظة على حقوق الفلاحين وحرصا على المصلحة العامة » • الا ان الحكومة البريطانية ما لبثت ان تراجعت عن هذه الخطة ، تحت الضغط الصهيوني • سجلت هذا التراجع رسالة مكدونالد الى وايزمن في ١٣ شباط سنة ١٩٣١ وكانت هذه الرسالة « جوابا ادلى به مكدونالد في مجلس العموم بخصوص تفسير الكتاب الابيض » ، مسخ ما جاء في الخطة السابقة ، حتى ان العرب سموه « الكتاب الاسود » (٦٨) •

وسارت السياسة البريطانية على هذا المنوال ، حتى انتهاء الانتداب البريطاني • وكان من نتيجة هذه السياسة ان استولى الصهيونيون على أجود اراضي فلسطين ، كما بينا في فقرة سابقة •

جـ ـ تجاهل مطالب العرب الدستورية والاستقلالية : وقد بدا هذا واضحا منذ بداية الانتداب • فقد جاء الانتداب نكثا لكل العهود التي قطعت للعرب خلال الحرب• ثم جاء الانتداب مكرسا لسياسة الوطن القومي ومنفذا لها • ولما كان تنفيذ

....

٦٨ ـ طربين ، احمد : **المرجع السابق** ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ •

سياسة الوطن يقتضي استمرار الانتداب ، رفضت كل مطالب العرب الدستورية والاستقلالية · وكان الساسة البريطانيون يواجهون العرب دائما بهذه الحقيقة · وقد أثار تشرشل هذه القضية أمام مجلس الوزراء البريطاني قائلا : « ولقد رفضنا حتى الان ، لمصلحة السياسة الصهيونية ، منح العرب أي مؤسسة انتخابية ، ومن الطبيعي ان يقارنوا معاملتهم هذه بتلك التي يلقاها اخوانهم في العراق » (٦٩) · وعاد تشرشل فصرح في حزيران سنة ١٩٢٢ :« وان ذلك التصريح (يقصد تصريح بلفور) الذي أعيد تثبيته من قبل دول الحلفاء الكبرى في مؤتمر سان ريمو هو غير قابل للتغيير » (٧٠) · وعاد تشرشل ، فأكد لوفد فلسطيني قابله ، سنة ١٩٢٢ : « ان انشاء حكومة وطنية (يعني فلسطينية) في هذا الطور سيحول دون تنفيذ العهد الذي قطعته الحكومة البريطانية للشعب اليهودي » (٧١) ·

وحين زار رئيس اللجنة التنفيذية العربية لندن سنة ١٩٣٠ على رأس وفد ، وطرح جملة مسائل منها قضية الحكم الذاتي كان رد الحكومة البريطانية :

« لقد قيل للوفد ان التغييرات الدستورية الشاملة التي طلبها الوفد لا يمكن قبولها بالكلية ، لانها تجعل القيام

---

٦٩ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **تاريخ فلسطين الحديث** ، ص ١٨٣ ·
٧٠ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ٦٨ ·
٧١ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ٧٤ ·

بالتزامات حكومـة جلالتـه ، حسب صك الانتـداب ، مستحيلا » (٧٢) ٠

وظلت الحكومة البريطانية مندفعةفي تنفيذ هذه السياسة، وحين كانت تضطر احيانا للتوقف ، بسبب مقاومة العرب ، أو ترغم على الوعد بتحقيـق بعض الاجراءات الدستورية المحدودة ، كما حدث في قضية المجلس التشريعي كـانت لا تلبـث ان تتراجـع ٠ ذلـك ان المنـدوب السـامي ، ارثر واكهـوب ، فوضتـه الحكومـة البريطـانية فعرض في ٢١ كـانون الاول مشروع مجلس تشريعي ، مؤلف من ثمانية وعشرين عضوا ، نصفهم مـن العرب ، وما تبقى من الانجليـز والصهيونيين ٠ وأعلنـت الحكومة البريطانية اصرارها على تنفيـذ المشروع ٠ وقد « أبدى العرب » كما يقول الحاج أمين الحسيني« استعدادهم لبحثه » رغم هزاله ٠ « ولكن اليهود رفضوه معلنين انهم لا يقبلون الاشتراك في أي مجلس تشريعي لا يكون لهم فيـه نصف الاعضاء على الاقل » (٧٣) فما كان من الحكومـة البريطانية الا ان طوته ٠

وما حدث لمشروع المجلس التشريعي، حدث للكتاب الابيض الذي صدر سنة ١٩٣٩ ، والذي اعترف « بمبدأ تأسيس دولة فلسطينية مستقلة خـلال عشر سنين ، وتشكيـل مجلس

---

٧٢ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ١٠١ ٠

٧٣ ـ الحسيني ، الحاج امين : **حقائق عـن قضية فلسطين** ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦ ، مكتب الهيئة العربية العليا فـي القاهرة ، ص ٤٨ ـ ٤٩ ٠

تشريعي»، ولكن الحكومة البريطانية « علقت ذلك على ملاءمة الظروف وقبول كل من العرب واليهود به، وقد حددت الهجرة اليهودية فيه ، ومنع بيع الاراضي لليهود في بعض مناطق فلسطين » (٧٤) ٠ وقد قبله العرب بعد تردد ، ولكن الحركة الصهيونية قاومته ، والسلطات البريطانية لم تعمل على تنفيذه ٠

ولقد ظلت السلطات البريطانية متنكرة لحقوق عرب فلسطين كل مدة الانتداب ٠ « وقد رفض الانجليز ان يمنحوا العرب شيئا من الحكم الذاتي » كما يقول فرانك أ٠ مانويل « خشية ان يقضي العرب القضاء الاخير على فكرة الوطن القومي ، وهي فكرة كان الانجليز يريدون من ورائها خدمة غاياتهم الاستعمارية » (٧٥) ٠

وكانت السلطات البريطانية، تلجأ في سبيل تحطيم الارادة العربية الاستقلالية ، الى كل وسائل القمع والارهاب ، كما انها كانت تلجأ الى تسليح الصهيونيين ، في الوقت الذي تمنع كل من يحمل سلاحا أو يمتلك سلاحا ٠

وقد وصف خليل السكاكيني موقف السلطات البريطانية كما يلي (٧٦) :

---

٧٤ ـ الحسيني ، الحاج امين : **المرجع السابق** ، ص ٥٠ ٠

٧٥ ـ مانويل ، فرانك أ٠ : **المرجع السابق** ، ص ١٦٩ ٠

٧٦ ـ خليل السكاكيني : **فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى** ، الجزء الاول ، مطبعة بيت المقدس ، سنة ١٩٢٥ ، ص ٨ ٠

« فتحت باب المهاجرة على مداه فتدفق على البلاد ، وهي تكاد تضيق بأهلها ، سيلٍ من يهود اوروبا من الثوار والبلاشفة ، فكانوا سببا للثورات والاضطرابات ٠

« جعلت اللغة العبرية لغة رسمية ٠٠٠

« سلحت اليهود وجردت العرب من السلاح ٠٠٠

« جعلت الوظائف العالية في اليهود ٠٠٠

« جعلت تسن لهم القوانين لمصلحتهم ، من ذلك قانون الاراضي وقانون الاجارة وقانون منع الجرائم وغير ذلك ٠٠٠

« اعطت امتياز تنوير فلسطينبالكهرباء لروتنبرغ اليهودي ولم تبال باعتراض الوطنيين » ٠

٢ : الطبيعة العدوانية العرقية الاستفزازية للحركة الصهيونية ٠ ولقد كان طابعها هذا سمة واضحة وصارخة ٠ وتمثلت هذه الطبيعة العدوانية العرقية الاستفزازية ، اكثر ما تمثلت فيما يلي :

ا ــ انكار حق الشعب الفلسطيني في الوجود علىأرضه٠ ومن هنا ابتدعت نظرية الحق التاريخي لليهود في فلسطين، التي اعتبرها صك الانتداب صلة تاريخية (٧٧) ٠ وعليه : « فان فلسطين مقدسة بالنسبة لليهودي ، لذلك فنظرته نحو هذه الارض تختلف بالضرورة عن نظرته نحو أية ارض

....

٧٧ ــ غالي جفري بطرس : **فلسطين** ، ص ٢٢ ــ ٢٣ ٠

أخرى » (٧٨) · وهذا ما يجعل مارتن بوبر يقول في رسالته الى المهاتما غاندي : « اننا لم نستطع ولا نستطيع ان نتخلى عن المطلب اليهودي ، فهناك شيء اسمى حتى من حياة شعبنا مرتبط بهذه الارض ، انه عمل هذا الشعب ورسالته »(٧٩) ·

واذا كانت تصريحات المراجع الصهيونية المعتمدة حول تحويل فلسطين الى وطن قومي يهودي وترحيل عرب فلسطين الى البلاد العربية كثيرة ، فان الممارسة الصهيونية العملية كانت افضل اثبات لهذه الحقيقة · ولقد جاء في تقريراللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ : « ويلوح ان الروح القومية اليهودية ترفض احيانا ، من حيث تدري أو لا تدري ، فكرة ايجادشعب فلسطين » (٨٠) · ولذلك فهي تصر على ترجمة كلمة فلسطين بأرض اسرائيل ، كما يقول التقرير المشار اليه آنفا ·

وتؤكد كل الادبيات الصهيونية ، خلال المائة عام الاخيرة هذه الحقيقة تأكيدا لا لبس فيه ولا ابهام (٨١) ·

ومن المفيد هنا ان نذكر انه لا يبدو ، ان العرب كانوا

....

٧٨ ـ صايغ ، د· انيس : **الفكرة الصهيونية ، النصوص الاساسية** ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ص ٣٢٥ ·

٧٩ ـ صايغ ، د· انيس : **المرجع السابق** ، ص ٣٤٠ ·

٨٠ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ١٥٦ ·

٨١ ـ رزوق ، اسعد : **اسرائيل الكبرى ، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني** ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ·

« بارزين في عقل هرتزل » كما يقول لاكور • انه لم يهملهم اهمالا تاما • ولقد اجتمع ببعض منهم « وراسل قلة منهم ، وكان على علم بالحركة القومية الطالعة في مصر ، وأكد في مناسبات مختلفة على الصلة الوثيقة بين اليهود والمسلمين» •

ويذكر هرتزل في يوتوبياه : **التنويلاند** * : «**ان الهجرة جلبت للعرب** منافع هائلة • لقد تضاعف تصدير البرتقال عشرة اضعاف» • وتؤكد يوتوبياه «**ان الهجرة كانت بركة للجميع** ، مع ان ملاك الاراضي استفادوا اكثر من غيرهم ، لانهم باعوا الاراضي لليهود بأرباح كبيرة » •

وكان الهدف من التركيز على فائدة الهجرة للجميع تضليل الرأي العام الخارجي وايهام العرب بان الهجرة لا تمسهم •

واذا كان هرتزل لا يولي كبير اهتمام للعرب ، فان نوردو Nordo « لم يكن دائما هكذا متفائلا حول مستقبل العلاقات العربية اليهودية » • ولقد رأى مرة ان يعقد تحالف تركي صهيوني لمواجهة خطر حركة انفصالية عربية (١٩٠٣/٣/١٣) De Welt (٨٢) •

ب ـ الاصرار على استمرار الهجرة بلا حدود • وكان موضوع الهجرة يثير المواطنين العرب ، ويشعرهم بأن الوطن القومي قائم لا محالة • ولذلك كانت الحركة الصهيونية تناضل من اجل استمرار الهجرة واتساعها في الوقت الذي كان

---

* ـ عنوان كتاب ثيودور هرتزل بالالمانية ومعناه بالعربية « الارض القديمة ـ الجديدة » •

٨٢ ـ Laqueur Walter : *A History of Zionism*, Weidenfeld and Nicolson, London, p.p. 210-211.

العرب فيه يناضلون من اجل وقف الهجرة · وفي الوقت الذي كان العرب فيه يشتكون من تدفق الهجرة كانت الحركة الصهيونية تشتكي دائما من التضييق على الهجرة ·

وكان من ظلامات الحركة الصهيونية امام اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ : « الاحجام عن تسهيل المهاجرة تسهيلا حقيقيا وعدم كفاية جداول العمال » (٨٣) ·

وكانت تصاحب الاصرار على استمرار الهجرة تصريحات علنية بأن اليهود لا بد من ان يصبحوا أكثرية : وكان القادة الصهيونيون يجاهرون بهذه الحقيقة أمام لجان التحقيق ، كما كانت تؤكدها الصحف والبيانات والمذكرات وقد قال ساكر أمام لجنة شو سنة ١٩٢٩ :

« ··· الذي يهمنا هو انشاء الوطن القومي للشعب اليهودي ، وان تكون هنالك ، كما ذكرت سابقا ، مهاجرة غير مقيدة بأية قيود اصطناعية ··· »

وأضاف :

« واننا نأمل ان يسفر هذا التدرج الطبيعي عن ايجاد اكثرية يهودية في البلاد » (٨٤) ·

وقد أكد تقرير لجنة شو ، من جملة ما أكد ، حقيقتين :

الاولى : « ··· ان الادعاءات والمطالب التي قدمت من

---

٨٣ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ٤٨٠ ·
٨٤ ـ لجنة التحقيق (شو) : **المرجع السابق** ، ص ١٤٢ ·

جانب الصهيونيين بشأن مستقبل المهاجرة اليهودية الى البلاد أدت لدرجة ما الى اثارة المخاوف في نفوس العرب » .

والثانية : ان ما ورد حول المهاجرة « من مقررات مؤتمر زوريخ ، ومن الشهادات التي أديت أمامنا ، ومن تقرير السير جون كامبل ، هو في نظرنا ، بينة لا نزاع فيها بأن المراجع اليهودية انحرفت ، فيما يتعلق بالمهاجرة ، انحرافا خطيرا عن المبدأ الذي قبلت به الجمعية الصهيونية، سنة ١٩٢٢ ، القائل بوجوب تنظيم المهاجرة حسب مقدرة البلاد الاقتصادية على استيعاب مهاجرين جدد » (٨٥) .

وكان هذا الاصرار على استمرار تدفق الهجرة يزداد اثارة للعرب ، بمقدار ما يزداد عدد اليهود الوافدين الى فلسطين اولا ، وبمقدار ما يزداد تحدي الحركة الصهيونية، فيما يتعلق بالهجرة ، ثانيا .

ولقد تطور عدد اليهود في فلسطين كما يلي :

١٩٣٢	١٨٠ الفا
١٩٣٧	٣٩٥ »
١٩٣٨	٤١١ »
١٩٣٩	٤٤٥ »
١٩٤٠	٤٦٣ »
١٩٤١	٤٧٤ »
١٩٤٢	٤٨٤ »
١٩٤٣	٥٠٢ »

....

٨٥ ـ لجنة التحقيق (شو) : المرجع السابق ، ص ١٤٧ و ١٨٤ .

١٩٤٤	٥٢٧	«
١٩٤٥	٥٥٤	« (٨٦)

وتعرض تقرير اللجنة الملكية الى أثـــر استمرار الهجرة واستغلال الصهيونيين لها فقال :

« ولذلك لم يكن من الغريب والسفن التي تقل المهاجريـن اليهود تصل السفينة تلو السفينـــة ، وترحب بهـا الصحف العبرية بحماسة فائقة ، ان تزداد نار العداوة القديمة التهابا حتى اندلع لهيبها مرة ثانية » (٨٧) ·

جـ ـ اتباع اساليب استفزازية ، تثيـر النقمة والسخط ، وتدعو الى الريبة والشك · وبما انه ليس من السهل الاحاطة بأعمال الاستفزاز الكثيرة والمثيرة التي لجأت اليها الحركـة الصهيونية ، فاننا سنكتفي بذكـــر امثلة فقط ، ومن هـــذه الامثلة :

١ ـ حاول الصهاينة ان يكتسبوا حقوقا طقوسية جديدة في البراق · ولما كانت بعض الدعايات الصهيونية قد تحدثت كثيرا عن بناء الهيكل ، مكان المسجد الاقصى (٨٨)، فان اية

---

٨٦ ـ غالي ، جفري بطرس : **المرجع السابق** ، ص ٣١ ·

٨٧ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ١١٠ ·

٨٨ ـ تقول **الموسوعة اليهودية** في مادة صهيونية : ان اليهود يهدفون الى « العبادة في الهيكل ، اي المسجد الاقصى ، واقامة مملكتهم في فلسطين » ·

Canaan T. Dr. Med : *The Palestine Arab Cause,* Jerusalem, 1936, p.p. 18.

محاولة تمس البراق كان لا بد من ان تحدث لهيبا · ولقد حدث الاشتعال فعلا ·

كيف حدث ؟

هذا ما يرويه تقرير لجنة شو · والتقرير واضح وصريح· وسنذكر هنا بعض المعلومات التي أوردها التقرير :

يقول التقرير ، بأن « لجنة الدفاع عن حائط المبكى » قد أصدرت يوم ١٢/٨/١٩٢٩ «نداء الى شعب اسرائيل في جميع انحاء العالم » جاء فيه :

«لئن سكتنا ، او اعتمدنا على سياسة زعمائنا ، خسرنا حائط المبكى ، ذلك المقام الوطني المقدس ، الذي هو من أنفس مقتنياتنا » ·

ويضيف البيان :

« هلموا الى مساعدتنا ، وعاونونا في هذا الكفاح العادل لاسترداد هذا الحائط ، ولا شك ان النصر سيكون حليفنا » ·

وقامت مظاهرة يوم ١٤/٨/٢٩ في تل ابيب ليلة عيد الصيام عند اليهود (٩ آب) ، اتخذت فيها قرارات منها :

« ب ـ يطلب المجتمعون عزل موظفي حكومة فلسطين الذين غايتهم الجليلة احباط انشاء دولة يهودية في فلسطين، خلافا لاحكام صك الانتداب » ·

وصاح المحتشدون عند انتهـــاء الاجتماع « الحائـــط حائطنا » ٠

وقامت في اليوم التالي مظاهرة في القدس لاعلان قرارات تل ابيب ٠ وقد وصلت المظاهرة الى حائط المبكى ورفع العلم الصهيوني ، وقام احد زعماء المظاهرة بالقاء خطاب، تلا فيه المقررات المتخـــذة في اليـــوم السابق ٠ ثـــم انشد نشيد (هاتيكفا) ــ وهو نشيد « يمكـــن وصفه بالنشيد اليهودي الوطني » كما يقول التقريـــر ٠ وعلت بعد ذلك الهتافـــات « الحائط حائطنا » ٠

« وقد مر هذا الموكب » كما يضيف التقرير « في اثنـــاء ذهابه الى الحائط وايابه منه من احياء اسلامية ، غير انه لم يقع تصادم مع المسلمين ، لا في هذه الاحياء، ولا عندالحائط نفسه » ٠

ولكن الامور لم تقف هنا ٠ ولم يكن متوقعا ان تقف ٠

ويشير التقرير عينه الى انه:«في اليوم السادس والعشرين من شهر آب وقع ايضا هجوم من اليهود على مقـــام النبي عكاشه في القدس، وهو مقام مقدس قديم الاثر له مكانةكبيرة من التقديس في نفوس المسلمين ٠ واصيب المقام بتلف كبير ودنست قبور الصحابة الكائنة فيه » (٨٩) ٠

٢ ــ وضعت الحركة الصهيونية خطة لتسليـــح اليهود ٠

....

٨٩ ــ لجنة التحقيق (شو) : المرجع الســـابق ، الصفحات : ٦٩ ، ٧٣ ، ٨٧ ٠

وكانت هذه الخطة تكشف نفسها ، اما ببروز السلاح في مناسبات معينة ، كالاشتباكات والاستعراضات ، أو خلال اكتشاف الاسلحة في الموانىء ٠

ومما يذكره تقرير اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ ان الحالة ساءت في فلسطين في خريف سنة ١٩٣٤ ، وكان السبب ، اكتشاف : « أسلحة وذخيرة مخبأة في شحنة من الاسمنت مستوردة من بلجيكا » ٠ وقد اعتبر العرب ذلك « دليلا على ان اليهود يتسلحون بالسر تسلحا واسع النطاق » (٩٠) ٠ وأشار التقرير ان في وسع الحركة الصهيونية ان تضع في « الميدان نحو ١٠ر٠٠٠ محارب مدرب مسلح ، يدعمهم صف ثان يقدر عدده بنحو ٤٠ر٠٠٠ على وجه التقريب »(٩١) ٠

وكانت هذه الظاهرة بارزة ، حتى ان كتابا اجانبكثيرين اشاروا لها ٠ ومن ذلك ما كتبته فرنسيس املي نيوتن عن الامن الذي ما « اختل الا بعد قيام بيوت الاسمنت المسلح اليهودية ، وتسليح سكانها ،حتى باتوا ، حيثما واتاهمالحال من عدد وعدد،يحملون على الفلاحين العرب الآمنين ليجلوهم عن أراض كانت أراضي آبائهم واجدادهم » ٠

وتتحدث الكاتبة بعد ذلك عن ظهور الجيش الصهيوني في المعمعة واستخدامه السلاح « في وجوه العرب حملة العصي والسكاكين » ٠ وتذكر ان هذا « زاد العرب غضبا واوغر

٩٠ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ١١٧ ٠
٩١ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ٢٦٦ ٠

الصدور»·وتتساءل الكاتبة « كيف جاز ان ينظم هذا الجيش، بعدده وعدده ، ومنها السلاح الناري والزمن زمن حكـــم عسكري ؟ » وتضيف : « ذلك ما لم يفهم اسبابه فيهم ، وبقي سرا غامضا يشغل الخواطر »· ومن أطرف ما تذكره الكاتبة تعليقا على ما ذكرت ، انها كانت لديها « بندقية ألمانية عتيقة معلقة على الحائط ، أثرا وتذكارا ، فما رضي البوليس حتى استولى عليها » (٩٢) ·

ولذلك فقد كان « تجريد جميع اليهود مـن السلاح أسوة بالوطنيين الذين سلموا سلاحهم حين الاحتـلال البريطاني » او الذين انتزع سلاحهم منهم مطلبامن مطالب الحركةالوطنية الفلسطينية التي ظلت تتردد كل السنوات ١٩١٩ ـ ١٩٤٧ · وكانت العرائض والمذكـرات تستنكـــر تسليح المستعمرات وعناصر الحركة الصهيونية ، واستيراد الاسلحة بكثرة،كما كانت تطالب بحل الفرق العسكرية الصهيونية (٩٣) · ولكن هيهات ان تجد من يسمع ·

٣ ـ لجأ الصهيونيون الى سياسة انغلاق على المجتمـع العربي · وكان ان منعوا العمالالعرب من العمل فيالمشاريع والمؤسسات والمزارع اليهودية · وقد تناول تقرير السير جون هوب سمبسون هذا الموضوع ، فذكر كيف عملت الوكالـــة اليهودية والمؤسسات الصهيونيـــة الاخرى على حصر حق

---

٩٢ ـ نيوتن ، فرنسيس املي : المرجع السابق ، ص ٧٠ ، ٩١ ، ٩٢·

٩٣ ـ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، المرجـــع السابق ، ص ٢١ ، ٤٥ ،١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣٨٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩٦ ·

العمل في المؤسسات التابعة لها في العامل اليهودي • وكانت العقود تنص على ذلك صراحة •

ويشير التقرير المذكور الى قرار المؤتمر الصهيوني سنة ١٩٢١ في « ان الشعب اليهودي عقد النية على ان يعيش مع الشعب العربي باتحاد واحترام متبادلين ، وان يسعيا معا لجعل هذا الوطن المشترك بين الشعبين زاهرا ، بحيث يضمن تجديده الرقي القومي لكل من الشعبين بسلام » •

ولكن التقرير يضيف : ان الصهيونيين كثيرا ما يرددون « هذا القرار للدلالة على الغايات السامية التي تكنها صدورهم نحو العرب ، غير ان الشروط التي أشرت اليها ، فيما تقدم ، والمثبتة في عقود الاجار الرسمية ، ويرتبط بها كل من ينتمي لاية مستعمرة صهيونية ، لا تتفق مع هذه العواطف التي يعلنها الصهيونيون جهارا » (٩٤) •

وأشار تقرير اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ الى : «ان اليهود، تنفيذا لسياستهم التي ترمي الى زيادة السكان اليهود الزراعيين ، عمدوا الى تقييد تشغيل العمال العرب في الاراضي التي يملكونها » • ويذكر التقرير ايضا ان عدد العمال اليهود الذين كانوا يعملون في المزارع اليهودية بلغ ٤٠٪ سنة ١٩٣٥ ، فأصبح ٦٠٪ سنة ١٩٣٧ • ومما يذكره التقرير ايضا انه « قامت بالفعل حركة ترمي الى تخويف المزارعين اليهود الذين يستخدمون عمالا من العرب »(٩٥)•

٩٤ ـ لجنة التحقيق (شو) : **المرجع السابق** ، ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ •
٩٥ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ٣١٩ •

وانشئت حاميات صهيونية لتحقيق هـذا الغرض منذ أواخر العشرينات ٠

ولم تقف القضية عند تشغيل العمال العرب ، بل تعدت ذلك الى اشكال من المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية ٠

وقد أشارت صحيفة فلسطين في ملحق لهافي ٢١/٤/١٩١٤ الى المقاطعة هذه ، وذكرت انها ليست جديدة ، وان كانت قد ازدادت صراحة «فاليهود لا يشترون من المسلمين والمسيحيين، ويندر ان يعثر على أثر للعمـــال المحليين في المشروعـــات اليهودية » (٩٦) ٠ وأشارت التقارير البريطانية بعد احتلال القدس مباشرة ان اليهود « يعلنون عن رغبتهم بأن يصبحوا في حالة اكتفـــاء ذاتي ، دون حاجـــة الى اليد العاملـــة العربية ٠٠٠ » (٩٧) ٠

ومما يذكره تقرير اللجنة الملكية في هذا الصدد ان: «اليهود يحجمون عن الذهاب الى المستشفيات التي يوجد فيها مرضى من العرب ٠ وان كان بعض العرب يؤمون المستشفيات اليهودية الا في بعض ظروف استثنائية » (٩٨) ٠

وكان العرب دائمي الشكوى من هذا الانغلاق ٠ وكان من السهل تفسير ظاهرة الانغلاق هذه عند الحركة الصهيونية ٠

---

٩٦ ـ كيالي ، عبد الوهاب :المرجع السابق ، ص ٨٠ ٠
٩٧ ـ كيالي ، عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ١٠٤ ٠
٩٨ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : المرجع السابق ، ص ٤١٤ ٠

«فالوكالة اليهودية منذ البداية كانت تعتزم بناء اقتصاد يهودي صرف في فلسطين ، وهي لذلك لم تنظر أبدا الى تحسين العلاقات مع العرب ، ولم تحرص على ان يسودها الوئام · وبدا جليا ان الوكالة تتجاهل جميع المسائل الناجمة عن التباعد بين العرب واليهود ، وكانت تنفذ خطط التنمية دون ان تلتفت الى العرب، لان همها كان منصرفا للعناية باليهود، أما العرب فليذهبوا الى الجحيم » (٩٩) ·

ثالثا : تصاعد الحركة الوطنية العربية ، وتنامي الشعور الوطني المناهض للاستعمار في البلاد العربية · وكان هذا الشعور قد أخذ يتبلور منذ بداية القرن ، وتجلى في الحركات الاصلاحية المعادية لفساد الحكم العثماني ، وفي رفض قيام دولة صهيونية في فلسطين · ثم وجد تعبيره سنة ١٩١٦ في الثورة العربية · وحين انتصر الحلفاء بدأ العرب يتوقعون نوال بعض حقوقهم الوطنية · ولكن « الانتداب » فرض على المنطقة ، وفرض معه مشروع الوطن القومي · ولذلك بدأت المشاعر الوطنية تلتهب ، وأخذت الحركة الوطنية تتصاعد (احداث ١٩١٩ ، في مصر والعراق ، احداث ١٩٢٠ في فلسطين ، احداث١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ في سورية والريف المغربي، احداث ١٩٢٩ في فلسطين ، احداث ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ في فلسطين ايضا) هذا بالاضافة الى الكثير من الاحداث اليومية ومظاهر التململ السياسي ·

وكان ما يحدث في فلسطين يلقى صداه في انحاء الوطن

---

٩٩ ـ Marlowe, John, *op. cit.*, p. 85.

العربي ، كما كان ما يحدث في البلاد العربية يلقى صداه في فلسطين · وكانت المؤتمرات تنعقد ، والمظاهرات تنطلق والمذكرات ترسل كلما حدث في فلسطين حادث · كما ان المتطوعين العرب لم يتوانوا عن الحضور للمشاركة في الكفاح، حين انطلقت ثورة ١٩٣٦ ·

وكانت اقطار آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية تشتعل بالنضال ضد الاستعمار ، وما كان ممكنا ان تنعزل فلسطين عن هذه الحركة الواسعة النطاق ·

وكان على الشعب الفلسطيني والجماهير العربية ان تجابه شكلين من الاستعمار : الاستعمار البريطاني والاستعمار الصهيوني · وكان احدهما استعمارا سياسيا اقتصاديا عسكريا ، والآخر استعمارا استيطانيا · الاول الحاقي ، والثاني احلالي (١٠٠) · وكان احدهما متمما للآخر · وما فعله الفرنسيون في الجزائر، فعله البريطانيون والصهيونيون في فلسطين · فالاستعمار ، صاحب السلطة السياسية والعسكرية يمهد للاستيطان ويفتح له الابواب، ويقننه ويكرسه ويحميه · وكان التقدم الذي يحرزه الاستعمار الاستيطاني ، المتعارض مع مصالح أصحاب البلاد ، والمتناقض مع حريتهم ووجودها ، يزيد من تأجج الحركة الوطنية ووحدتها واندفاعها ·

---

١٠٠ ـ الالحاق هو الحاق شعب بأخر ، والاحلال هو احلال شعب مكان آخر ·

٣ ـ أطراف الصراع :

هذا كان الصراع · وكانت أسبابه : حرص العرب على الدفاع عن أرضهم وحريتهم وسعي الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية من اجل سلبهم وطنهم وحريتهم · أما أهداف الصراع فكانت : اقامة حكم وطني فلسطيني نيابي مستقل ، يمثل جميع السكان، وهذا ما ناضل من أجله العرب، أو تحويل فلسطين الى وطن قومي صهيوني ، وهذا ماعملت من أجله الحركة الصهيونية بحماية الاستعمار البريطاني ·

وما دام هذا هو الصراع ، وهذه هي أسبابه وأهدافه فلا بد لنا ان نحدد أطرافه · وأطرافه كما هو واضح : الحركة الوطنية الفلسطينية ، تعضدها الجماهير الفلسطينية العريقة، والجماهير العربية العريضة من جهة ، والحركة الصهيونية يدعمها الاستعمار البريطاني ، ثم الامبريالية الاميركية وكل الاوساط الاستعمارية الغربية، ما عدا المانيا الهتلرية وايطاليا الفاشية في السنوات (٣٣ ـ ٤٥) · وتدعمها ايضا كل جماهير اليهود في فلسطين ، وقطاعات واسعة من جماهير اليهود في العالم ·

ولم تكن داخل الجاليات اليهودية في فلسطين معارضة تذكر · ويعود ذلك الى أسباب عدة :

أولها : يعود الى ان اليهود الذين كانوا في فلسطين قبل سنة ١٨٨٢ ، كانوا من اليهود المتدينين · وهؤلاء ، وان استطاعوا ان يتعايشوا مع العرب ، فان تصاعد موجات

الحركة الصهيونية وانتعاش الآمال بقيام دولة« اسرائيل »في « أرض الميعاد » ، كان يجعلهم ضمن الموجة ٠

ثانيها : ان موجات الهجرة الاولى والثانية (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) كانت تعمر قلوب افرادها احلام صهيونية ٠ ولقد حدثت احتكاكات بين سكان المستعمرات التي أنشأتها « الطلائع » ، كما يسميهم بن غوريون ، وبين الفلاحين العرب الذين طردوا من أراضيهم٠كما حدث بالنسبة لمستعمرةملبس (بيتح تكفا) مثلا ٠

ثالثها : ان موجات الهجرة بعد سنة ١٩١٧ ، أي بعد صدور وعد بلفور، جاءت كلها تحت راية الحركةالصهيونية٠ وكانت مكاتب الهجرة في الخارج ونقابات العمال اليهود (الهستدروت) هي التي تختار المهاجرين ٠ وكان المذهب السياسي هو الاساس في الاختيار (١٠١) ٠

رابعها : ان الحركة الصهيونية هي التي كانت تتولى أمر المهاجرين والمقيمين في كثير من الامور التي تتعلق بالعمل والاسكان والحماية والتثقيف والتربية ، فكانت توفر العمل للعمال ، وتعطي الارض للمزارعين ، وتوفر المال لاصحاب الاعمال ، وتفرض على الكل حدودها وقيودها ، بمختلف الوسائل ٠

ولهذا كله ظلت الحركة الشيوعية ضعيفة٠وكان المهاجرون الشيوعيون ، الذين تولوا أمر المعارضة العنيفة من ١٩٢٢

١٠١ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ١٩٣ ٠

حتى ١٩٣٦ ، اما ان يضطروا الى الهرب من جحيم الصهيونية ، او أن يتكيفوا . ولقد انشق الحزب الشيوعي الفلسطيني سنة ١٩٣٦ ، بسبب الصدام بين اعضائه العرب واعضائه اليهود حول قضية تأييد ثورة سنة ١٩٣٦ .وتكيف منذ ذلك الحين الشيوعيون اليهود مع الصهيونية. كماسنرى في فصل لاحق .

وكانت الطبقة العاملة اليهودية هي التي تنظم الحاميات لمنع العمال العرب من العمل في المشاغل والمؤسسات والمزارع اليهودية .

ولهذا نستطيع ان نقول بأن الجاليات اليهودية كانت في طريق التحول الى مجتمع صهيوني مغلق ، وكان يسارها ـ ما عدا الشيوعيين ـ هو الاشد صهيونية والاشد خطرا والاشد عداء للعرب . كما سنرى فيما بعد .

لقد كان التناقض اذن بين الحركة الوطنية العربية والحركة الصهيونية تناقضا أساسيا . ولم تكن الجاليات اليهودية ، المفعمة بروح الانغلاق والتعصب ، المستسلمة للاحلام الصهيونية،قادرة على قبول نظرية التعايش مع العرب والدولة الواحدة التي يطرحها الشعب الفلسطيني .

٤ ـ طبيعة الصراع :

كان الصراع في فلسطين صراعا بين استعمار سياسي عسكري استيطاني وشعب يدافع عن حريته ووجوده ، ضمن ظروف الصراع بين القوى الاستعمارية الكبرى على السيادة

والاسواق في العالم • وقد مثل الشعب الفلسطيني الطرف المتخلف المستغل المضطهد المعرض للتشريد والمذلة ، ومثل البريطانيون والصهيونيون الطرف المتقدم المستغل المضطهد، القادر على السيطرة والاخضاع •

وقد حدد هذا كله طبيعة الصراع • وهو على هذا صدام بين الاستعمار السياسي العسكري الاستيطاني من جهة وبين ارادة التحرر والاستقلال والمحافظة على الوطن من جهة أخرى • ولقد فرضت طبيعة الجاليات الصهيونية ان يكون الصدام شاملا • فالجاليات الصهيونية في فلسطين ليست شعبا بالمعنى المتعارف عليه • انها موجات هجرة تدفعها أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية • وهي ، من حيثهي موجات هجرة سياسية، تختلف عن أية حالة أخرى فيالعالم، لاختلاف وضع اليهود في العالم عن وضع أية أمة أخرى ، ولاختلاف اهداف الهجرة الصهيونية والحركة الصهيونية عن أية هجرة أخرى • ان المهاجرين الفرنسيين الذين استوطنوا الجزائر مثلا ، كانوا جزءا من شعب موجود ، ولم يكنهدفهم ان يبنوا وطنا في الغربة ، لان ليس لديهم وطن • لقد أرادوا ان يجعلوا الجزائر قطعة من فرنسا • وكان « المعمرون » الفرنسيون يتأثرون بالتناقضات والصراعات الداخلية الفرنسية ، ويخضعون لها•ولما كان المجتمع الفرنسيمجتمعا طبيعيا ، يزخر بالتناقضات ، فلم يكن بالامكان ان تحكمهالى الابد الظاهرة الاكثر تخلفا فيه : الاستعمار الاستيطاني في الجزائر ، مع ان هذه الظاهرة كانت تؤثر في الصراعات الداخلية • ولقد حكمت التناقضات الفرنسية الداخلية التي

أزمتها الثورة الجزائرية ، على هذه الظاهرة بالاندثار في ظروف تصاعد حركات التحرر الوطني وانحلال الامبريالية العالمية . أما الحركة الصهيونية فهي حركة مجتمع شتات ، ومجتمع « المعمرين » الصهيونيين في فلسطين ليس امتدادا لمجتمع طبيعي ، انه امتداد للاوضاع والافكار الاكثر تخلفا في « المجتمعات » اليهودية ، وامتداد للعلاقة بين الرأسمالية اليهودية والامبريالية العالمية . ودولة اسرائيل التي حلم بها المعمرون الصهيونيون (١٨٩٧ ـ ١٩٤٨) هي الوطن ، ولا وطن غيرها الا ما تدعوه الحركة الصهيونية « شتاتا » . وهذا « الوطن » الغريب القائم على اشلاء شعب آخر ، المعبأ ضد ابناء الوطن المشردين ، الطامح في المزيد من السيطرة والانتصارات، تظل صراعاته الداخلية ثانوية، ويظل صراعه الخارجي هو الاساسي . وهو لا يهزم من الداخل ، بل من الخارج . وهذا شأن كل الدول الاستعمارية و« المجتمعات » الاستعمارية . لقد انهارت الامبراطورية الروسية بسببتفاقم أزمتها الداخلية الناتجة عن ضعفها وهزيمتها في الخارج ، وتتفاقم أزمة بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة اليومبسبب تراجعها في الخارج . و « دولة اسرائيل » مصرعها في الخارج :تدهور الامبريالية العالمية ونمو حركة التحررالوطني العربية وحركات التحرر في العالم الثالث .

وكانت هذه الطبيعة الشاملة للصدام بين « المجتمع » الصهيوني والمجتمع العربي ، وبين المطامح الصهيونية والمطامح العربية واضحا من البدء . وقد أشار تقريراللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ الى هذه الحقيقة ، مبينا ان اللجنة كانت

تتوقع ان تجد : « أمتين تتحاربان في نطاق دولة واحدة » · ويضيف التقرير : « غير اننا لم نكن نتوقع قط ان نجد بين هاتين الامتين هوة تبلغ مثل هذا المبلغ من الاتساع ، او بالاحرى هوة يتعذر التقريب بين شقيها »· وقد وصل اعضاء اللجنة المذكورة الى : « أن الفكرتين القوميتين قد نشأ بينهما تصادم وتضارب ، وانه لا يمكن حل هذا التصادم حسب النظام الذي أخذه الانتداب على عاتقه ، الا اذا أهملت احدى الفكرتين او أهملتا معا » · ولكن كيف يمكن ان تهملا معا الا اذا ألغي وجود الشعب الفلسطيني ؟

وحاول التقرير في مكان آخر ان يبين طبيعة التصادم ، فاشار الى « ان اندماج العرب واليهود معا أمر مستحيل حدوثه . فالعرب يرون ان جل ما يمكن ان يصل اليه اليهود هو ان يتبوأوا المكان الذي تبوأوه في مصر العربية او في اسبانيا العربية في السابق · اما اليهود فيرون ان العرب لا مكان لهم بينهم ، وان شأنهم معهم لن يختلف عن شأنهم مع الكنعانيين الذين كانوا يقيمون في ارض اسرائيل القديمة » (١٠٢) ·

والواقع ان هذا ليس موقف الحركة الوطنية العربية بالضبط وان كان بعض الوطنيين يرددونه ، فالحركة الوطنية قد طرحت مبدأ المساواة في المواطنية والحقوق السياسية ، ثم تطورت نظرتها هذه فيما بعد ، كما سنرى · ولكن الحركة

---

١٠٢ ـ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ٢ ، ٨١ ، ٤٨٥ ·

الوطنية الفلسطينية كانت ضد وجود الوطن القومي اليهودي، ضده كلية واطلاقا وبلا تردد، لانها كانت تعتبره الغاء للوجود الوطني الفلسطيني · فهل يعني رفض قيام الوطن القومي اليهودي رفضا لوجود اليهودي مواطنا ؟

لقد كانت الحركة الوطنية الفلسطينية ، كما سنوضح فيما بعد واضحة هنا ايضا · وتمثل وضوحها فيما يلي :

اولا : انها قاومت فكرة الوطن القومي اليهودي ، ولم تأخذ موقفا معاديا من اليهود ، كما اشارت كل التقارير ، ولذلك فان اولى الاحتجاجات التي ارسلها العرب ، بعد الحرب اكدت على ان « اخواننا اليهود سكان الوطن الاصليين ، هم اخواننا في السراء والضراء لهم ما لنا وعليهم ما علينا ·· » (١٠٣) وقد ظلت الحركة الوطنية ، حتى بعد تدفق الهجرة ، مستعدة لقبول اليهود مواطنين ، ولكنها غير مستعدة لقبولهم دولة ·

ثانيا : انها اعلنت بصراحة ، وامام وايزمن نفسه عندما زار فلسطين سنة ١٩١٨ ، من « ان كلا المسلمين والمسيحيين سيعاملون مواطنيهم اليهود ، كما يعامل بعضهم بعضا ، ما دام اليهود يحترمون حقوق هاتين الديانتين ، مؤيدين بذلك الكلمات بالافعال » · وما ان سمع وايزمن الكلام حتى سارع الى الكتابة الى بلفور محتجا على تطبيق النظام الديمقراطي لانه ـ كما يقول ـ « لا يأخذ بعين الاعتبار تفوق اليهود على

....

١٠٣ ـ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، ص ٢ ·

العرب ، اعني الفارق النوعي الجوهري بين العرب واليهود» وطالب وايزمن في الرسالة عينها بانشاء جامعة عبريـــة ، وتسليم حائط المبكى لليهود وتسليمهم الاراضي البور واراضي الدولة (١٠٤) ٠

وعلى الرغم من هذا كله ظلت الحركة الوطنية الفلسطينية مستعدة لاحترام حقوق اليهودي في المواطنية ٠

ثالثا : انها اتبعت في استراتيجيتها اسلوبمهاجمة معسكر واحد من معسكرات الخصم ، لا الاشتباك مع قوى الخصـــم كلها ٠ وكان تقدير الحركة الوطنية الفلسطينية انهــــا لا تستطيع مواجهة الاستعمار انذاك (١٩٢١) ، وان الهدف المرحلي هو ايقاف الهجرة واحباط وعد بلفور ، ولذلك رأت ان هناك « وسيلة فعالة واحدة فقط للحيلولة دون الهجــرة والقضاء على تصريح بلفور ، تلك هي القيام بسلسلة منظمة من الغارات على اليهود في فلسطين » (١٠٥) وظل الامر كذلك حتى سنة ١٩٢٩ ٠ وتعتبر المرحلة بين ١٩١٩ و١٩٢٩ مرحلة فشل الصهيونية فقد اثبت اليهود : « حتى ذلك الوقت انهم لا يصلحون للوقوف امام العرب ٠٠ » (١٠٦) ٠ وبدأ الاستعمار البريطاني يتراجع مؤقتا سنة ١٩٣٠ ، وقد جاء تقرير السر جون هوب سمبسون ، ثم كتاب باسفيلد الابيض

---

١٠٤ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **تاريخ فلسطين الحديث** ، ص ١١٤ ٠

١٠٥ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ١٨٨ ٠

١٠٦ ــ مانويل ، فرانك أ٠ : **المرجع السابق** ، ص ١٦٩ ٠

مهدئين · ولكن السلطات البريطانية عادت وتراجعت عنهما سنة ١٩٣١ ·

وكان موقف الحركة الوطنية الفلسطينية يتبلور في السنوات ٢٩ ــ ٣١ · وبينما كان الهدف الاساسي للهجوم في السنوات السابقة على سنة ١٩٢٩ هو المستعمرات اليهودية واماكن تجمع اليهود ، وهذا ما يؤكده تقرير اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ ، فان سنة ١٩٢٩ شهدت اتجاهين : الاول يدعو الى توجيه الهجوم نحو الصهيونيين والثاني ــ وهو الاضعف ــ وكان يدعو الى توجيه المقاومة نحو الانكليز لا نحو اليهود » (١٠٧) · ولكن الحركة الوطنية الفلسطينية عادت وحددت عدوها الرئيسي ، منذ سنة ١٩٣١ · وقد بلور هذا الاتجاه حزب الاستقلال العربي (١٩٣١ ــ ١٩٣٣)· وعندما انتفض العرب سنة ١٩٣٣ كانت انتفاضتهم هذه المرة ضد السلطات البريطانية،فالسلطات البريطانية هي العدو(١٠٨)· واضطرابات سنة ١٩٣٣ « لم تكن كلها حتى ولاجلها موجهة ضد اليهود ، بل ضد حكومة فلسطين » ·

وما حدث سنة ١٩٣٣ حدث سنة ١٩٣٦ ، اذ ان « الاضطرابات كانت تستهدف الحكومة مباشرة ، وبصورة جلية » (١٠٩) · ولم يكن هذا غريبا ما دام القسام قد اعتبر الحكومة العدو الرئيسي (١١٠) ·

---

١٠٧ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٢٤٠ ــ ٢٤١ ·

١٠٨ ــ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ١١٢ ·
وكيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٢٨٢ ·

١٠٩ ــ اللجنة الملكية لفلسطين : **المرجع السابق** ، ص ١٣٦ ·

١١٠ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٢٩٢ ــ ٢٩٣ ·

وكان هذا الاتجاه واضحا في فلسطين منذ سنة ١٩٢٩ ٠ فقد جاء في احتجاج المحامين العـــرب على منشور المندوب السامي بشأن احداث سنة ١٩٢٩:ان « النزاع الحاد » الذي حدث في فلسطين بين العرب واليهود كـان نتيجة السياسة البريطانية الصهيونية « التي لا يد للعرب فيهـا » (١١١) ٠ وحين اجتمع مندوبوالهيئات الوطنية السياسية في حيفا سنة ١٩٣٦ توصلوا الى « ان سبب الاضطرابـــات التي وقعت ، وتلك التي تـــرزح تحتها البــلاد الآن ، والتي ســوف لا تكون الاخيرة من نوعها ، هو مثابرة الحكومة على تنفيذ هـــذه السياسة البغيضة القاتلة » (١١٢) ٠ وجاء في النداء الذي اصدره الحرس الوطني الى الامة في العام عينه :

« لقد رأينا ان نغير اساليب كفاحنا ، قبل ان نطلب الــى الانكليز تغيير سياستهم ٠٠ هم الاصل في قضيتنا واليهود الفرع هم الذين رمونا بالصهيونية ، وهم الــذين يهددون دماء ابنائنا دفاعا عن هذه الحركة الآثمة » (١١٣) ٠

وقد ظل الامر كذلك حتى وجد العرب انفسهم امام اليهود، وجها لوجه ، سنة ١٩٤٧ ، عندما قررت بريطانيا الانسحاب٠

وكانت هنالك عوامل أخرى تؤثر في الصراع من بعيد او قريب ، دون ان يكون لها أثر مباشر ٠ واهم هذه العوامل :

---

١١١ ــ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، ص ١٤٦ ٠
١١٢ ــ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، ص ٣٧٥ ٠
١١٣ ــ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، ص ٤٠٥ ٠

اولا : الموجة العالمية المعادية للسامية ، والتي برزت من خلال المذابح ضد اليهود في روسيا القيصرية وقضية دريفوس في فرنسا (١٨٩٧) ، ثم قضية بروتوكولات حكماء صهيون ، وبعدئذ الحركات المعادية لليهود في اوروبة (١٩٣٣ ـ ١٩٤٥) ٠

وقد رافقت هذه الحملة دعايات حول اليهود وتآمرهم للسيطرة على العالم ، واستخدامهم « للاساليب الخبيثة » من اجل تحقيق سيطرتهم ٠

وكانت هذه الدعايات واسعة الانتشار،ولا غرابة اذا عرفنا ان الجنود الانجليز الذي كانوا يحاربون في الجبهة الروسية هم اول من جاء ببروتوكولات حكماء صهيون الى فلسطين مطبوعة باللغة الانكليزية ٠

ثانيا : النظرة الشعبية العربية الى اليهود ، وهي نظرة مستمدة من عاملين :

اولهما ، النظرة الدينية المسيحية ـ الاسلامية ٠ وهذه النظرة تقوم عند المسيحيين على اساس ان اليهود هم الذين صلبوا المسيح ، مع ان المسيح قال : جئت لاتمم الشريعة ٠أما عند المسلمين ، فعلى الرغم من اعتبار اليهود من اهل الكتاب ، فان قصة خيانة اليهود للرسول لا تزول من الاذهان ٠ وهناك في تراثنا ما يسمى « الاسرائيليات في التفسير والحديث » ، وهي تدل « على كل ما تطرق الى التفسير والحديث من اساطير قديمة منسوبة في اصل روايتها الى مصدر يهودي او نصراني او غيرهما ٠٠ » ٠ وكان عبد الله بن سبأ اليهودي « من أئمة الضلال ورؤوس الفساد ٠٠٠ الذي تبطن الكفر والتحف الاسلام ، وتظاهر بالتشيع لآل البيت خداعا منه ، واحتيالا على

بث سمومه وافكاره الخبيثة بين المسلمين » (١١٤) ٠ وقد قاد هذا الى حملات على محرفي كلام الله وسنة رسوله ٠ كما ان هنالك آيات في القرآن مثل : « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والـــذين اشركوا ٠٠٠ الخ » جعلت المفسدين يذهبون اشتاتا ، ويقولون ما يريدون (١١٥) ٠ وقد صدر عدد كبير من الكتب العربية ، خلال السنين الخمسين الاخيرة ، التي تعالج قضية اليهود من منطلقات غيبية (١١٦) ، و « اول ما نلاحظه حول هذا التفسير لواقع الشعب اليهودي وتاريخه هـو انه مغرق في المثالية والخيال ، ولا يمت بصلة الـى الواقع

....

١١٤ ـ الذهبي ، محمد السيد حسين : **الاسرائيليات فـي التفسير والحديث** ، مجمع البحوث الاسلاميـة ، الكتـاب السابع والثلاثون ، اكتوبر ١٩٧١ ، ص ٢٠ و ٨ ٠

١١٥ ـ الشريف ، الدكتور محمود بن : **اليهـود فـي القرآن** ، دار الكاتب العربي ، المكتبة الثقافية ، العدد ٢٣٠ ، ص ٣ وسائر الكتاب ٠

١١٦ ـ نذكر على سبيل المثال ، لا الحصر :

الخربوطلي ، الدكتور علـي حسين : **العلاقـات السياسية والحضارية بين العرب واليهود** ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ٠

دروزة ، محمد عزة : **تاريخ بنـي اسرائيل من اسفارهم** ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ١٩٦٩ ، ط٠ ٢ ٠

طعيمة ، صابر عبد الرحمن : **الصهيونية في التاريخ** ، مكتبة القاهرة الحديثة ٠

السقاف ، ابكار : **اسرائيل وعقيدة الارض الموعودة** ، عـالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٧ ٠

دروزة ، محمد عزة : **الجذور القديمة لاحداث بنـي اسرائيل واليهود وسلوكهم واخلاقهم**، مكتبة اطلس ، دمشق ، ١٩٦٩ ٠

التاريخي المتحرك ، او الى صيرورة الجماعات البشرية وحركتها المستمرة » (١١٧) ٠

ثانيهما : الوظائف الاجتماعية التي كان يقوم بها اليهود قديما وحديثا ، وعلى رأسها الربا وبيع الخمور ، وهما من المحرمات دينا والمكروهات عرفا لدى العرب ٠

وبعد هذا كله ، لا بد من النظر الى الصراع العربي ـ الصهيوني في فلسطين من خلال اعتبارين :

الاول : يدور حول سيكولوجية الجماعات في الحرب الاهلية او الدينية او القومية ، اي الحروب الشاملة بين أمة وأمة او طبقة وطبقة او طائفة وطائفة ٠ وفي مثل هذه الحروب تتحد أمة او طبقة او طائفة ضد امة اخرى او طبقة اخرى او طائفة اخرى ٠ ونضرب على ذلك امثلة من حروب الكاثوليك والبروتستانت في اوروبا ، صدامات المسلمين والهندوس في الهند وحروب اليونانيين والاتراك وصدامات القبارصة الاتراك والقبارصة اليونانيين الخ ٠ وهي صدامات عنيفة وكلية : اي انها ضد الافراد ، المدنيين والعسكريين،والممتلكات العسكرية والمدنية ٠ وبما ان كل طرف من الطرفين يريد ان يسحق الآخر سحقا ، فلا بد من ان تنتج عن مثل هذه الحروب مآس كثيرة وجماعية احيانا ٠

الثاني : ان معاملة طرف لآخر ، لا يجوز ان تؤخذ بمعزل عن موقف الطرف الآخر ومعاملته ٠ وعلى هذا ، فلا يجوز ان يدان طرف على تصرف جاء رد فعل لتصرف الطرف الآخر او موقفه ، دون ان يؤخذ تصرف الثاني بعين الاعتبار ٠

....

١١٧ ـ العظم ، صادق جلال : **دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية** ، دار الطليعة ، تموز ١٩٧٠ ، ص ١٢ ٠

انني أرى ان هذه الملاحظات كانت ضرورية لايضاح احداث المرحلة الاولى من موضوع بحثنا ، هذه المرحـــلة التي تنتهي سنة ١٩٤٩ ٠ اما المرحلة التالية ١٩٤٩ ـ ١٩٧١ فلها حديث آخر ، لأنها مرحلة مختلفة تماما ٠ ذلك ان ما توقعه شعبنا منذ البدء قد وقع : وانتهى الى شتات ، وقامت دولة الاحتـــلال الصهيوني ٠

الفصل الثاني

الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهيونية الى ١٩٤٨

شهدت هذه الفترة ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : وتبدأ مع بداية القرن التاسع عشر ، وتنتهي سنة ١٨٩٧ ، مع انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول · ويمكن ان نـؤرخ لهذه المرحلة بالغزوة الفرنسيـة لفلسطين ، وبنداء نابليون بعودة اليهود اليها · وكان من ملامح هذه المرحلة :

أ ـ مشاريع الاستيطان الاولى ، حوالـي منتصف القرن الماضي ، وقد قام بهذه المشاريع مونتيفيوري (١) ، وكانت ذات طبيعة خيرية ·

ب ـ بروز الاهتمامات الـدولية في المنطقـة ، ولا سيما اهتمامات بريطانيا ، واتجاه بريطانيا للاعتماد على اليهود (٢) ·

---

١ ـ هناك عدد من الكتب حول هذا المشروع ·

٢ ـ أ ـ زين ، نور الدين زين : **الصراع الدولي في الشرق الاوسط** ،

جـ ـ مشاريع الاستيطان الثانية التي بـــدأت في سبعينات القرن الماضي ، والتي بدأها ادموند روتشيلد ، سنة ١٨٧٠ (٣) ، ثم تدفق موجة الهجرة الاولى (١٨٨٢

....

←

دار النهار للنشر الفصل الاول والثاني والثالث الصفحـــات (٩ ـ ٥٩) ٠

ب ـ دومال ، جاك ، ولورا ، ماري : **التحدي الصهيوني** ، ترجمـة نزيه الحكيم ، دار العلم للملايين ، دار الآداب ، ص ٣٠ ٠ كتب بالمرستون سنة ١٨٣٨ الى نائب القنصل في القدس :« كن حاميا لليهـود بصورة عـــامة » ٠ وكتب بالمرستون سنة ١٨٤٠ الى السفير البريطاني في استانبول : « كمـــا ان تشجيع السلطان لليهود وفتحه أبواب فلسطين أمامهم ، سيقيمان عقبة في وجــه ما يحتمل ان يقوم به محمد علي او خلفــــه من مغامرات ٠٠٠ احمل هذه الفكرة سرا الى الحاكم التركي ٠ واطلب منــه في صراحة تامة ان يشجع يهود أوروبا على العودة الى فلسطين » ص (٣٠ ـ ٣١) ٠

ونشرت التايمز اللندنية في ١٧/٨/١٨٤٠ مقـــالا بعنوان : « سوريا ـ انبعاث اسرائيل » جاء فيه : « ان الاقتراح القائـل بتهجير اليهود الى بلاد آبائهم ليسكنوها تحت حماية خمس دول لم يعد يشكل مسألة جديرة بالبحث وحسب ، بل هو موضــوع قائم فعلا ويتطلب دراسة جديـــة » ايفانوف ، يوري :**احذروا الصهيونية** ، ترجمة احمد داود ٠ وزارة الثقافة في دمشق ، ١٩٦٩ ، ص ٥٤ ٠

جـ ـ توما ، اميل : **جذور القضية الفلسطينية** ، اصدار المكتبــة الشعبية ٠

٣ ـ هندي ، هاني : **حول الصهيونية واسرائيل** ، دار الطليعة، ١٩٧١، ص (٣٦ ٣٧) ٠

ـ ١٩٠٣) وموجة الهجرة الثانية (١٩٠٤ ـ ١٩١٣) (٤) ٠

د ـ تخوف السلطنة العثمانية من الهجرة ، وخاصة بعد سنة ١٨٨١ ، واصدار قانون سنة ١٨٨٢ الذي يمنع الهجرة الى فلسطين على اليهود ، ويمنع عليهم شراء الاراضي فيها ٠ ولكن الهجرة تستمر بسبب الرشوة والفساد ، وتدخل الدبلوماسية الانكليزية والاميركية (٥) ٠

وعاد الباب العالي ، فأصدر سنة ١٨٩٣ أمرا صريحا يحرم على اليهود شراء الاراضي في فلسطين ٠

وقد قدر الاب سيلاميرل ، قنصل الولايات المتحدة في القدس ، عدد اليهود في فلسطين في اواخر القرن الماضي (١٨٩٠ ـ ١٨٩٥) كما يلي :

في القدس	٢٥٣٢٢
في صفد	٦١٢٦
في طبرية	٢٩٠٠
في يافا	٢٧٠٠
في حيفا	١٦٤٠
في الخليل	١٢٠٠
في عكا	٢٠٠

٤ ـ سعد ، الياس : **الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة** ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية بيروت ، ص (١٤ ـ ١٨) ٠

٥ ـ مانويل ، فرانك أ٠ : **المرجع السابق** ، ص ٢٧ ٠

في الرملة	١٦٦
في نابلس	٩٩

كما قدر عدد اليهود في المستعمرات بألفي شخص ، وعدد المستعمرات باحدى عشرة مستعمرة · وقـــال ميرل « عن تلك المستعمرات انها دليل قاطع على ان اليهود لا يصلحون للحياة الزراعية ··· » (٦) ·

وكان في فلسطين ، حتى انعقاد المؤتمـر الصهيوني الاول سنة ١٨٩٧ ، تسع عشرة مستعمرة ، عـــدد سكـانها ٤٢٥٠ شخصا ، ومساحتها خمسة واربعون الف اكر (٤٨٤٠ ياردة، حوالي ٤٠٠٠ متر) · وكان عـــدد اليهود في نهاية القـرن خمسين الفا ، نصفهم تقريبا في القدس · وكان ما يملكونه من الاراضي غير المستغلة ، بالاضافة الى مساحـــة المستعمرات المذكورة ، يساوي عشرة آلاف اكر غرب النهر ، وعشرين الفا شرقي النهر (٧) · ومن الجدير بالذكر انه ليس هنالك معلومات دقيقة ومعتمدة عن هذه المرحلـة (٨) ، وان كـــانت المعلومات المذكورة اعلاه هي المعتمدة من الحركة الصهيونية ·

وكان هناك فارق بين المستعمرات التي انشأها روتشيلد ، والمستعمرات التي نشأت مع موجة الهجرة الاولى · ذلك ان

---

٦ ـ مانويل ، فرانك ٠ي : **المرجع السابق** ، ص ٣٠ ·

٧ ـ David Ben Gurion : (Concieved and edited by) *The Jews in Their Land,* Aldus Books, 1966, P. 278.

٨ ـ بيدس ، خليل : **المرجع السابق** ، الجزء العاشر ، تشرين الاول سنة ١٩١١ ـ السنة الثالثة : ساعاتي ، نجيب ميخائيل : بعض مزارع اليهود في فلسطين من سنـــة ١٨٦٠ الى سنة ١٩٠٠ الصفحات ٤٥٢ ـ ٤٥٧ ·

المستعمرات التي انشأها روتشيلد كانت تستخدم العمال والحراس العرب ، بينما منعت المستعمرات الجديدة استخدام العرب منعا قاطعا (٩) ٠

ويذكر قنصل الولايات المتحدة في القدس ، في تقاريره عن هذه المرحلة : « ان اليهود شعب متعصب يرفض الامتزاج بغيره ٠٠٠٠ وليس في اليهود اي استعداد طبيعي للامتزاج بالغير » (١٠) ٠

المرحلة الثانية : وتبدأ بانعقاد المؤتمر الصهيوني سنة ١٨٩٧ ، وتنتهي سنة ١٩١٦ ، بقيام الثورة العربية ٠

وقد شهدت هذه المرحلة :

أ ـ المؤتمر الصهيوني الاول ، الذي عقد في بال بسويسرا ، والذي كرس فكرة الوطن القومي ، ووضع اسس العمل لتحقيقها ٠ وقد قال هرتزل في التعليق على المؤتمر : « لو اني جئت لاوجز مؤتمر بال في كلمة واحدة ـ وهذا ما لن افعله جهارا ـ لقلت : في بال أقمت الدولة اليهودية ٠ ولو اني اعلنت هذا القول اليوم ، لقابلني العالم كله بالهزء والسخرية ، ولكن ربما في مدى سنوات ، وبالتأكيد في مدى خمسين سنة ، سوف يرى كل انسان الدولة اليهودية » (١١) ٠

---

٩ ـ هندي ، هاني : **المرجع السابق** ، ص (٣٧ ـ ٣٨) ٠
١٠ ـ مانويل ، فرانك أ٠ : **المرجع السابق** ، ص ٣١ ٠
١١ ـ طربين ، احمد : **المرجع السابق** ، ص (٧٠ ـ ٧١) ٠

ب ـ بداية النشاط الصهيوني المنظم في ميادين الدبلوماسية والاعـــلام والجباية والاستيطان والهجرة . وكـان شغلهم الشاغل يتركز على البحث عـــن دولة تتبنى مشروعهم . وقد حاولوا ان يقنعوا المانيه القيصرية، ثم اتجهوا الـــى بريطانيا ، وربطـوا خلال الحرب العالمية الاولى مصيرهم بمصيرها . ولكـن الحركة الصهيونية كانت قد حددت طبيعتها ودورها ، منـذ صدور كتاب هرتزل : الدولة اليهودية . يقول هرتزل: « وبالنسبة لاوروبا ، فاننا سنشكل هناك قسما من السور المواجه لآسيا ، فنكون طليعة حراس الحضارة بوجه البربرية . سنبقى على علاقة دائمة مع اوروبا كلها التي يتوجب عليها ضمان وجودنا » (١٢) .

جـ ـ قيام الحركة الدستورية في السلطنة سنـــة ١٩٠٧ ، ثم تسلم حزب تـــركية الفتاة السلطـــة . وقـد تأمل الصهيونيون بتحقيق احلامهم ، بعـــد « الانقلاب » المذكور « اذ حصلوا على تأييد غير رسمي من بعض الشخصيات اليهودية التركية البارزة ... » (١٣) .

وقد دخل فلسطين خلال الفترة (١٩٠٣ ـ ١٩١٣) ما بين خمسة وثلاثين الـــى خمســة واربعين الف يهودي (١٤) . ولكن ذلك تم بالرشوة ، لان قوانين منع الهجرة وتحريم امتلاك الاراضي، ظلت مفروضة.

....

١٢ ـ هندي ، هاني : **المرجع السابق** ، ص (٤٤ ـ ٤٥) .
١٣ ـ سعد ، الياس : **المرجع السابق** ، ص ، ١٨ .
١٤ ـ سعد ، الياس : **المرجع السابق** ، ص ، ١٧ .

وقد قام بعض رجال العهد الجديد بعمل كل ما يستطيعون لفرض هذه القوانين ·

د ـ بداية المقاومة العربية المنظمة للهجرة ولانتقال الاراضي · وقد تحول مجلس المبعوثان الى منبر لكشف اخطار الحركة الصهيونية ومطالبة الحكومة باتخاذ الاجراءات الضرورية لمواجهتها · وقامت الصحف العربية بدورها في هذا المجال ·

هـ ـ اتفاق بريطانيا وفرنسا على اقتسام ارث « الرجل المريض » ، بعد انتهاء الحرب ، واتفاق بريطانيا والملك حسين شريف مكة على استقلال المشرق العربي ووحدته ، مقابل انتفاض العرب على الاتراك (١٥) · ولكن بريطانيا في هذا الوقت بالذات كانت تجري اتصالاتها مع الحركة الصهيونية ·

و ـ انخفاض عدد اليهود في فلسطين وانعدام الهجرة اليها خلال سنوات الحرب بسبب ظروف الحرب العامة (بؤس ، جوع ، انقطاع المواصلات الخ·) · وكان التشديد الذي مارسه الاتراك على اليهود ، بسبب خوفهم من صلات هؤلاء ببريطانيا ، احد الاسباب الرئيسية ·

---

١٥ ـ يراجع بهذا الشأن : موسى ، سليمان : **الثورة العربية الكبرى، وثائق وأسانيد** ، دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، ١٩٦٦ ·
وسعيد ، امين : **اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين** ، دار الكتاب العربي ·

وكان في فلسطين سنة ١٩١٤ خمسة وثمانون الف يهودي· وكانت هنالك ثلاثون قرية يهـودية فيهـا حوالي ستة آلاف يهودي · ولكن هذا العدد انخفض في نهاية الحرب الـى ستة وخمسين الفا (١٦) ·

وحين بدأت الحرب تسلمت الولايات المتحدة شـؤون الدول الحليفة في السلطنة العثمانية · وكان سفير الولايات المتحدة آنذاك يهوديا يدعى هنري مورجانتو · وكان مورجانتو محرجا بسبب دينه ، حتى ان تقاريره كانت تختلف عـن التقارير التي يذيعها الانجليز ·

وكانت المشكلة المعقدة التي واجههـا مورجانتو ، هي ان خمسين الفا من اليهود المقيمين في فلسطين والذين يحملون الجنسية الروسية ، صدر قرار بطردهم ، لانهم رفضوا التجنس بالجنسية العثمانية ·

وقد ارسلت الولايات المتحدة قبطان الباخرة تنسي التي شرعت في نقل اليهود المبعدين الى الاسكندرية ، لكـي يتحقق بنفسه من وضعية اليهود في فلسطين · وكان القبطان ديكر : « مكلفا بالبحث عن حكاية ابعاد اليهود عـن فلسطين وحكاية الحرب المقدسة وافناء اليهود » ·

ونشرت (هآرتس) في ٢٥ــ١ــ١٩١٥ اعلانا ارسله بهاء الدين ، مستشار جمال باشا ، باللغة العبرية ، جاء فيه : « ان الحكومة التركية ، بناء على اعمال العناصر التي تتآمر باسم الصهيونية ، لاقامة مملكة يهودية في فلسطين ، تأمر بمصادرة

....

١٦ - Ben Gurion, David : *Ibid.*, p.p. 292-293.

جميع الطوابع والاعلام والاوراق المالية التي تخص الحركة الصهيونية ، كما تحظر تداول شيكات بنك انجلو فلسطين ، وتلغي جميع المؤسسات الصهيونية التي تسربت الى البلاد من الخارج » . ويضيف الاعلان : « فمن الواضح الجلي ان اوامرنا بمطاردة كل نشاط صهيوني لا شأن له باليهود من مواطنين ... اما اوامرنا تلك فلا تتناول سوى الصهيونيين ومؤسساتهم ونشاطهم ... اننا نحن المواطنين العثمانيين لكنا اصدقاء لليهود الحلفاء الاوفياء لنا ، اما اولئك الصهيونيون ، تلك العناصر الثورية الفاسدة التي تعمل على انشاء دولة في مملكتنا ، فهم اعداء لنا ، ونحن سنظل اعداء لهم الى آخر الدهر » .

وكان جمال باشا قد منع رفع الاعلام الصهيونية واستخدام اللافتات العبرية .

الا ان الضغط الخارجي ، وعلى رأسه ضغط الولايات المتحدة ، وضغط اليهود في الداخل عن طريق متنفذيهم في حزب الاتحاد والترقي ، قاد الى الغاء قرار ابعاد اليهود الروس في آذار سنة ١٩١٥ . وفي نيسان من العام عينه بدأت المساعدات تصل الى يهود فلسطين من غرب اوروبة والولايات المتحدة ومن لاهاي (١٧) .

المرحلة الثالثة : وتبدأ بصدور وعد بلفور في ٢ ـ ١١ ـ ١٩١٧ ، وتنتهي بصدور قرار التقسيم في ٢٩ ـ ١٠ ـ ١٩٤٧ . وقد شهدت هذه المرحلة :

---

١٧ ـ مانويل ، فرانك ا. : **المرجع السابق** ، الصفحات (٤٨ ـ ٦٢).

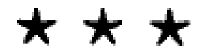
أ ـ احتلال الجيش البريطاني فلسطين ، بقيـــادة الجنرال اللنبي ، وفرض السيطرة الاستعمارية على فلسطين كلهـــا ٠

ب ـ ادماج وعد بلفور بصك الانتداب ، واختيار بريطانيا دولة منتدبة على فلسطين ٠

جـ ـ تنفيذ المخطط الصهيوني في فلسطين وقيام المؤسسات الصهيونية فيها لتحقيق المشروع الصهيوني ٠ وبذل الجهود الجبارة من اجل الهجرة غير المقيدة وانتقال الاراضي دون قيود ٠

د ـ تصاعد المقاومة العربية ضد الاستعمـــار والصهيونية بأشكال مختلفة ، تراوحت بين العريضة والاستنكار ووصلت الانتفاضة والثورة ٠ ونذكر في هذا المجال وقائـــع سنـــة ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ ٠

وقد تزايد عدد المهاجرين الصهيونيين في هذه المرحلـــة ، فبينما كان في فلسطين ، في نهاية الحرب ستة وخمسون الفـــا فقط ، كما مر معنا ، اصبح عددهم في احصاء سنة ١٩٢٢ م ٠ ٨٣٧٩٠ ، وسنة ١٩٣١ م ١٧٤٦٦٠٦ ، وسنـــــة ١٩٤٤ م٠ ٥٢٨٧٠٢ ، وسنة ١٩٤٨ م ٥٩٠،٠٠٠ (١٨) ٠



١٨ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٤١٣ ٠

المرحلة الاولى : ١٨٠٠ ـ ١٨٩٧

تذكرالمراجع الصهيونية المعتمدة ان احتلال الصليبيين لفلسطين انهى وجود اليهود فيها ، حتى انه لم يكن فيها سنة ١١٧٠ « الا يهودي واحد في اللد ، واخر في حيفا واثنان في بيت لحم ٠٠٠ واربعة في القدس يعملون صباغين بموافقة ملك الصليبيين » ٠ وتشير هذه المصادر ان صلاح الدين طلب من اليهود ان يعودوا ، وان الطائفة بدأت تتكون من جديد ٠ وانه كان من بين القادمين يهود من فرنسا وبريطانيا واسبانيا ، ومن المانيا في القرن الثالث عشر ٠ وتذكر هذه المراجع ان اليهود كانوا يعملون في الحرب والسمسرة ،وانهم لم يكونوا « يلاقون مضايقات من العرب » ٠ اما « الحافز الرئيسي للهجرة » انذاك فقد « كان اضطهاد اليهود في المنفى» ولكن البابا امر المدن الايطالية سنة ١٤٨٢ بعدم السماح ليهود اوروبة بالهجرة ٠ ولكن فتح العثمانيين القسطنطينية افسح لهم مجال السفر ٠

ولقد تحمس اليهود لاحتلال العثمانيين فلسطين ، وتعاونوا مع الجيش العثماني ٠ وكان من نتيجة ذلك ان انفجرت المظاهرات ضدهم ، في فلسطين ومصر ، وتضرر يهود صفد ٠ ولكن هيمنة العثمانيين فتحت المجال امام الهجرة من اسبانيا وشمال افريقيا ٠ «ولم يشجع الاتراك الهجرة ابدا ولا عرقلوها » ٠

وحين وافق السلطان سليمان سنة ١٥٦١ على تحويل مدينة طبرية الى مدينة يهودية ، عارض المسيحيون ، وتدخل البابا مع الصدر الاعظم لافساد المشروع،ورفض العمال العرب

ان يعملوا · ولكن والي دمشق ساعد على اتمام بناء السور · الا ان التطور توقف بموت السلطان سليم سنة ١٥٧٤ ·

هاجمت القبائل العربية صفد سنة ١٥٦٧ ، ثم سنة ١٥٨٧ ، «فأخذ اليهود يهربون الى طبرية وبيروت ودمشق ومصر»· وهاجم القحط والطاعون صفد سنة ١٥٩٩ وسنة ١٦٠٢ ، ثم هاجمها الدروز سنة ١٦٠٤ ، واحتلوها سنة ١٦٢٨وسنة١٦٣٦ مرة ثانية · « وقد عفا الجوع والمرض والنهب على الجليل وانهك القرى اليهودية في القرن السادس عشر » ·

وقد ازدهرت القدس بعد اضمحلال صفد ، ولكن تسلط محمد بن فاروق من نابلس سنة ١٦٢٥ ادى الى ضعف اليهود·

ولا تذكر المراجع الصهيونية حوادث اخرى (١٩) ·

ولكن هنالك مراجع تشير الى ان يهودا حاسيد ، الذي «قاد اول حركة اشكنازية الى فلسطين في عام ١٧٠٠» اقترض اموالا من عرب القدس على امل سدادها من المساعدات التي ستصله · ولما لم تصل المساعدات ، وطال الزمن بالدائنين دون ان يتسلموا ديونهم من اليهود والاشكناز : هجموا عليهم وحرقوا كنيسهم ، وهدموا مؤسساتهم ، فعاد من الاشكناز من عاد الى اوروبة ، واعتنق الباقي الدين الاسلامي او المسيحي»

١٩ـ Ben Gurion David : *Ibid.,* p.p. 215, 217, 222, 223 228, 237-238, 329.

لقد وضع تصور هذا الكتاب وحرره بن جوريون نفسه ، وقدم له سلمان شازار رئيس جمهورية « اسرائيل » · والكتاب مرجع هام جدا فيه معلومات وتفاصيل ليست مذكورة في اي كتاب آخر ·

ولم يجرؤ اليهود « على الظهور في فلسطين حتى عام ١٨١٦ حين اصدر السلطان ارادة سامية» باعفائهم من ديونهم (٢٠)٠

ولا تتحدثكتب التاريخ ، ولا تقارير السفراء الاجانب عن وقوع اشتباكات او احتكاكات بين العرب واليهود في فلسطين ، خلال الثلاثة ارباع الاولى من القرن التاسع عشر ٠ بينما ذكرت تقارير قناصل بريطانيا « عشرات الشكاوى اليهودية من الحكومة العثمانية ومن الباشاوات المسؤولين ومن أقليات اخري غير عربية كاليونانيين » وما ذكر من الحوادث كان فرديا ، وكان يحدث بين افراد الشعب الواحد ٠ ومع هذا فقد رفع الدبلوماسيون الانجليز في المنطقة ، الذين كانت حماية اليهود وتسهيل امر اقامتهم وتملكهم من مهماتهم، منذ اوائل الاربعينات ، تقارير ما بين ١٨٥٠ و ١٨٨٠ يحتجون فيها « على سوء تصرف اليهود تجاه سكان البلاد » (٢١) ٠

وبدأت سنة ١٨٧٥ موجات الهجرة تتدفق ، وكان معدل عدد المهاجرين يبلغ الفين في العام ، مما جعل قنصل الولايات المتحدة يكتب الى وزارة خارجيته :

«ان تدفق اليهود على فلسطين من روسيا بمثل هذه الكثرة ، سوف يقلب الحالة في البلاد ، فلا تمضي سنوات حتى يصبح اليهود هم سكان البلاد ـ لا سكانها الاصليون» ٠

....

٢٠ ـ مانويل ، فرانك أ٠ : **المرجع السابق** ، ص (١٢ ـ ١٣) ٠

٢١ ـ صايغ ، انيس : **الهاشميون وقضية فلسطين** ، منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية ، سنة ١٩٦٦ ، ص ٤٣ ـ ٤٤ ٠

وازداد الاضطهاد على اليهود في روسية القيصرية ، بعد محاولة اغتيال القيصر ، سنة ١٨٨١ « فزادت الهجرة الى فلسطين وتفاقمت مشاكل اليهود هناك » ·

وحين عين قنصل جديد للولايات المتحدة في القدس سنة ١٨٨٢ ، كتب بعد تعيينه بقليل يقول :

« ان جميع القيود التي وضعها الاتراك على الهجرة اليهودية لم تفد ولم تصد التيار الجارف · ويبلغ عدد المهاجرين اليهود الذين يستقرون في البلاد كل عام نحو سبعة الاف · وهذا العدد هو العدد الصحيح الذي توصلت اليه من تحرياتي مع الدوائر اليهودية · اما الحكومة التركية فتقدر العدد باربعة الاف فقط ،لانها تبني تقديرها على عدد المهاجرين الذين يأتون عن طريق يافا فقط ، مع ان اليهود الان تعلموا فنون التهريب ، فهم يتسللون من بيروت ومن غيرها حتى يتفادوا مراقبة السلطات » ·

واشار القنصل سيلاميرل الى ان « اليهود يتحدثون عن اقامة مملكة في فلسطين » ، كما اشار الى تعصب اليهود وهو ما ذكرناه في الفصل الاول · كما ان القنصل ارسل الى حكومته يحذرها من التورط في مشاكل اليهود بفلسطين « لان المسلمين لن يسمحوا لليهود بانشاء دولة في فلسطين »(٢٢) ·

وكان لا بد ان يجلب تدفق الهجرة مشاكله معه · ففي عام

....

٢٢ ـ مانويل ، فرانك ٠١ : المرجع السابق ، الصفحات ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ·

١٨٨٦ حدثت اولى الصدامات · ذلك ان فلاحي الخضيرة وملبس (بيتح تكفا) ، الذين فقدوا اراضيهم حين تحولت الى مستعمرات هاجموا قراهم التي فقدوها (٢٣) ·

وقام سنة ١٨٩٠،وفد من وجهاء القدس ، بالاحتجاج على المتصرف رشاد باشا لانه تحيز لليهود (٢٤) · ويعبر هذا الاحتجاج عن التخوف الذي اخذ بقلوب العرب من جراء الهجرة الصهيونية ·

وكانت النيويورك ديلي تربيون قد نشرت مقالا يوم ٣١ـ ٥ ١٨٩١ عنوانه « الاستعمار الزراعي اليهودي في فلسطين يبشر باحسن النتائج » · وقد حث المقال « الحكومة الاميركية على التدخل في اقتطاع فلسطين وطنا لليهود واسكان المهاجرين الروس فيها » (٢٥) ·

وعاد وجهاء القدس في ٢٤ ـ٦ـ١٨٩١ فارسلوا احتجاجا الى الصدر الاعظم في الاستانة طالبوا فيه « بمنع هجرة اليهود الروس الى فلسطين ، وتحريم استملاكهم للاراضي فيها» (٢٦) وقد حدد هذا الاحتجاج شعاري الجماهير الفلسطينية الاساسيين خلال هذه المرحلة والمرحلة التالية (١٨٩٧ ـ ١٩١٦) : منع الهجرة وتحريم استملاك الاراضي · وسيظل هذان الشعاران مرفوعين حتى ١٩٤٧ ·

---

٢٣ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٤٨ ·
٢٤ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٤٩ ·
٢٥ ـ مانويل ، فرانك أ· : **المرجع السابق** ، ص ٣٢ ·
٢٦ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٤٩ · وصايغ ، أنيس : **المرجع السابق** ، ص ٤٤ ·

ويبدو ان النقمة الشعبية كانت واضحة للعيان حتى ان آحاد هاعام ـ الذي زار فلسطين سنة ١٨٩١ بدعوة من جمعية (احبة صهيون) وتفقد مستعمراتها ، كتب مقالا بعد عودته الى اوروبة « حذر فيه الصهيونيين من ثورة عربية قومية ضد مستعمراتهم » وابان ان هنالك « مشكلة يهودية » في فلسطين عينها (٢٧) ٠

وقد عاد الفلاحون الذين فقدوا اراضيهم ، فهاجموا الخضيرة وملبس سنة ١٨٩٢ ٠ وفي سنة ١٨٩٥،وقبل المؤتمر الصهيوني ، نبهت بعض صحف القاهرة الى النتائج الخطرة المترتبة على الهجرة الصهيونية الى فلسطين (٢٨) ٠

وهكذا نجد ان فلسطين كانت ملاذا لليهود الهاربين من الاضطهاد ، وخاصة في روسية القيصرية بعد سنة ١٨٨١٠وان هؤلاء الوافدين لم يجدوا عداء من العرب ٠ الا ان تدفق الهجرة ، والحديث عن قيام مملكة يهودية ، وتشجيع بريطانيا بالذات على استيطان اليهود في فلسطين، بعث الشك والريبة في قلوب العرب ، فبدأوا عملية الاحتجاج والاستنكار وطالبوا بوقف الهجرة ومنع شراء الاراضي ٠ وكانت حوادث العنف الوحيدة في هذه المرحلة هي هجمات الفلاحين على الخضيرة وملبس التي تحدثنا عنها ٠

لقد بدأ شعب فلسطين يحس بالخطر الذي يتهدد وجوده ٠

ويبدو ان تصرفات المهاجرين كانت عليائية واستفزازية، حتى ان آحاد هاعام كتب سنة ١٨٩١ ، بعد زيارته لفلسطين

---

٢٧ ـ صايغ ، أنيس : **المرجع السابق** ، ص ٤٥ ٠ والاسم الحقيقي لآحاد هاعام هو : اشر جنزبيرج ٠

٢٨ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٤٩ ٠

قائلا : « وهم (اي اليهود) يعاملون العرب بروح العداء والشراسة ، ويمتهنون حقوقهم بصورة معوجة ولا معقولة ، ثم يوجهون لهم الاهانات دون اي مبرر كاف ، ويفاخرون بتلك الافعال فوق كل ذلك» . ثم يضيف : « وليس هناك بيننا من يقف بوجه هذا الميل الخسيس والخطر في ان واحد » . ولم يفته انتقاد موقف الصهيونيين عموما من العرب ، وكيف يفكرون « بأن العرب كلهم من الوحوش الهمج الذين يعيشون كالحيوانات ولا يفقهون ما يدور حولهم » (٢٩) .

المرحلة الثانية ١٨٩٧ ـ ١٩١٦

تبلورت في المؤتمر الصهيوني الذيانعقد سنة ١٨٩٧ الفكرة الصهيونية في مشروعصهيونييقوم على اساس خلاص اليهود بقيام وطن قومي لهم ، كما ولدت حركة صهيونية ، وتحددت ملامح استراتيجية صهيونية . وتتضمن النقاط الاربع التي نص عليها برتوكول بال الخطوط العامة لهذهالاستراتيجية وهذه النقاط هي :

« ١ ـ تشجيع استيطان العمال الزراعيين والصناعيين اليهود في فلسطين وفقا لخطوط مناسبة .

٢ ـ تنظيم اليهود وربطهم بواسطة مؤسسات عامة على الصعيدين المحلي والعالمي ، تتلاءم مع القوانينالمرعية في كل بلد .

....

٢٩ ـ رزوق ، اسعد : **اسرائيل الكبرى ، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني** ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٩٨ .

٣ ـ تقوية المشاعر اليهودية والوعي القومي اليهودي وتعزيزهما ·

٤ ـ انجاز خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الحكومات المعنية ، حيث يكون ذلك ضروريا لتحقيق هدف الصهيونية » (٣٠) ·

وتتضمن هذه الخطوط العامة للاستراتيجية الصهيونية تحركات في المجالات التالية : الاستيطان ، خلق المؤسسات الصهيونية ، تأجيج الوعي القومي اليهودي ، والقيام بالاتصالات الدبلوماسية اللازمة · وكان هذا كله يعني بدء عمل استيطاني وتعبوي ودعاوي واعلامي وسياسي ودبلوماسي منظم · ونتيجة هذا اخذ رد الفعل العربي (فلسطينيا وعربيا) يزداد حدة ووضوحا وتنظيما ·

وفي الوقت الذي كان يجري فيه العملمن اجل عقد المؤتمر الصهيوني ، كان متصرف القدس يبحث مع قنصل المانيا فيها: «ضرورة وضع حد للخطر الصهيوني على فلسطين» (٣١) · وفي العام ذاته كان مفتي القدس محمد طاهر الحسيني يرأس هيئة مكلفة من السلطة بالتدقيق في نقل الملكية،وذلكللحيلولة دون حصول المهاجرين الصهيونيين على اراض جديدة(٢٢) ·

وما ان انعقد المؤتمر الصهيوني الاول وصدرت قراراته حتى

....

٣٠ ـ Sokolov, N. : History of Zionism, London. 1919, p. 269.
والترجمة مأخوذة من كتاب : طربين ، احمد : المرجع السابق ، ص ٦٨ ·

٣١ ـ صايغ ، انيس : المرجع السابق ، ص ٤٦ ·

٣٢ ـ كيالي ، عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٥٠ ·

بدأ الهجوم العربي المضاد . ولقد شهد عام ١٨٩٨ بداية هذه الحملة المضادة (٣٣) . وتشير تقارير سنة ١٨٩٨ الى ان(«اهل فلسطين وقفوا موقفا حازما ضد المشاريع الصهيونية والهجرة اليهودية وامكان قيام (اسرائيل) في بلادهم ، لانهم اعتبروا ذلك خطرا على حقوقهم وامتيازاتهم ») (٣٤) . ولم تقتصر هذه النقمة على فلسطين بل امتدت الى شرقي الاردن ، حيث قام العرب بالقضاء على المستعمرة الوحيدة التي اسست في منطقة جرش (٣٥) .

وعبرت هذه النقمة عن نفسها سنة ١٩٠٠ بحملة عرائض واسعة النطاق ، ضد بيع الاراضي للمهاجرين الصهيونيين (٣٦) .

وشهدت سنوات (١٩٠٥ ـ ١٩٠٧) موجة جديدة من الهجرة . كما شهدت السلطنة العثمانية سنة ١٩٠٧ ميلاد الحياة الدستورية على يد جماعة « تركية الفتاة» .

واخذت الحركة السياسية العربية ، في هذا المناخ تنمو وتتصاعد وكان الصراع مع الحركة الصهيونية محورا من محاورها : الدستور، المساواة، محاربة الهجرةالصهيونية.

ولقد كان نجيب عازوري،وهو لبناني عمل موظفا في القدس من ١٨٩٨ الى ١٩٠٤ ، واستقال عند تعيين المتصرف احمد رشيد بك الذي لم ينفذ قوانين الباب العالي المتعلقة بالهجرة

....

٣٣ ـ رضا ، رشيد : **المنار** ، السنة الاولى ، ١٨٩٨ جـ ٦ ص ١٠٨ .
٣٤ ـ صايغ ، أنيس : **المرجع السابق** ، ص ٤٥ .
٣٥ ـ صايغ ، أنيس : **المرجع السابق** ، ص ٤٥ .
٣٦ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٥٠ .

وامتلاك الصهيونيين للاراضي ، قد حذر العرب من خطر الصهيونية في كتابه « يقظة الامة العربية » الذي صدر سنة ١٩٠٥ . وجاء في مقدمة هذا الكتاب ما يعتبر رؤية ثاقبة للتاريخ :

« هنالك حادثان هامان من طبيعة واحدة ، ولكنهما متعارضان . وهما يقظة الامة العربية والجهد اليهودي الخفي لانشاء ملك اسرائيل القديم من جديد وعلى مقياس اوسع . ان مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر الى ان تغلب احداهما الاخرى . ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متعارضين» . وكان نجيب عازوري قد اصدر سنة ١٩٠٤ بيانه التاريخي : بلاد العرب للعرب ، ووصلت نسخ منه الى فلسطين سنة ١٩٠٥ ، « وانتشرت لدرجة حملت السلطات العثمانية على اعتقال بعض اعيان العرب في يافا وغيرها من المدن والقيام بتفتيش منازلهم واوراقهم »(٣٧) .

واتخذ المؤتمر الصهيوني الثامن سنة ١٩٠٧ قرارا بمباشرة «النشاط الاستعماري العملي في فلسطين على اوسع نطاق» ولم يفت ماكس نوردو ان يعلن في ذلك المؤتمر ، وبعد دفاع حار عن الحركة الصهيونية ، مهمة الصهيونية في فلسطين قائلا : « نحن ننوي الذهاب الى فلسطين بمثابة الحملة المعتمدين للمدنية والتحضر ، ورسالتنا هي توسيع الحدود الاخلاقية (الادبية) لاوروبة حتى نصل الى الفرات»ثم يضيف

....

٣٧ ـ رزوق ، اسعد : **المرجع السابق** ، ص (١٤٩ ـ ١٥٠) .

نوردو (« بأن فلسطين تحوي كثافة سكانية ضئيلة ، مما يؤهلها لاستيعاب الملايين من المستوطنين المتحمسين للعمل » والذين «لا يمكنهم الانتعاش الا هناك دون سائر الامكنة») (٣٨) ٠

واخذ الوعي العربي، مع اتضاح اهداف الحركة الصهيونية وتصاعد الحركة السياسية في انحاء السلطنة العثمانية عامة يزداد تبلورا وعنفا وعمقا واتساعا ٠ وتشير تقارير البرت عنبتي ـ المعتمد الرسمي « للجمعية الاستعمارية اليهودية » في فلسطين الى ان الفلاحين كانوا يخشون خطر الصهيونية، ولذلك كانوا يسألونه: « هل صحيح ان اليهود يودون الاستيلاء على هذا البلد » (٣٩) ٠

وانشىء سنة ١٩٠٨ مكتب فلسطين في يافا الذي تولى امره الدكتور ارثر روبين ، وكانت مهمته شراء الأراضي في فلسطين وفي هذا العام بالذات «بوشر ببناء الاحياء اليهودية قرب يافا» التي أصبحت فيما بعد مدينة تل أبيب ٠ وأنشأ الصهيونيون في العام ذاته « شركة انكلو ليفانتين المصرفية في الاستانة، كما أنشأوا « شركة تطوير الاراضي الفلسطينية » و « الصندوق الثقافي اليهودي » « لشراء الاراضي بحجة بناء المدارس والمعاهد التربوية » وشركة المكابي للاراضي ، وشركات أخرى لعبت دورا هاما في توسيع الاستيطان الصهيوني وتوطيده فيما بعد (٤٠) ٠

وصدرت سنة ١٩٠٨ جريدة الكرمل بحيفا لتجعل فضح الحركة الصهيونية وكشف مخاطرها مهمتها الاولى وهدفها

....

٣٨ ـ رزوق ، اسعد : **المرجع السابق** ، ص (١٤٩ ـ ١٥٠) ٠

٣٩ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٥٠ ٠

٤٠ ـ هندي ، هاني : **المرجع السابق** ، ص ٥٨ ـ ٦٢ ٠

الاساسي ، « ولكن الحملة التي بدأتها الكرمل امتدت واتسعت على صفحات صحف أخرى في فلسطين وخارجها » (٤١) ·

وقامت في هذا العام عينه تظاهرات شعبية ضد «الهجرة اليهوديةوالحركةالصهيونية» وأخذ عربفلسطينيقومونبعمليات اغارة هجومية على المستعمرات الصهيونية: « يسرقونمواشيها ويقطعون أغراسها ويفلتون مواشيهم على الحقول ويحطمون الاسوار » · وكانوا يفعلون ذلك لانهم : « اعتبروا اليهود ألد أعدائهم » (٤٢) · وكانت تقارير سنة ١٩٠٨ « تدل على أن الفلاحين في منطقة حيفا وطبريا يضمرون شعورا من العداء نحو الملاكين العرب اصحاب الاراضي الشاسعة (مصطفى باشا ، فؤاد سعد ، آل سرسق) ، وكذلك الامر بالنسبة للمستعمرين اليهود » (٤٣) · وتشير المعلومات الى ان الهجمات المسلحة زادت حدة بعد سنة ١٩٠٨ على المستعمرات اليهودية والافراد· كما تشير الى ان «الحملة الصحفية وصلت حتى الفلاحين في اكواخهم الطينية والبدو في خيامهم » (٤٤)·

وبعد أن جرت انتخابات مجلس المبعوثان في السلطنة العثمانية ، انتقل الصراع ضد الصهيونية الى داخل المجلس أيضا ، ومنذ سنة ١٩٠٩ خاصة · ولقد اجبر النواب العرب في مجلس المبعوثان رئيس الوزراء على ان يعلن « انه لنيسمح لليهود باستيطان فلسطين » · كما أنهم « اجبروا وزير

---

٤١ ــ علوش ، ناجي : **المقاومة العربية في فلسطين** ، دار الطليعة ، ط ٢٠ ، ص ٣٨ ·

٤٢ ــ صايغ ، انيس : **المرجع السابق** ، ص ٤٦ ·

٤٣ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٥٧ ·

٤٤ ــ والتر لاكور : **المرجع السابق** ، ص ٢١٥ ·

الداخلية سنة ١٩١١ على ان يعلن معارضته للاهداف الصهيونية » (٤٥) · وأنشئت سنة ١٩٠٩ اول مستعمرة جماعية في الشجرة ، قرب الناصرة ، وكان بن غوريون من عمالها · ويصف بن غوريون هذه الفترة بأنها قاسية ، مشيرا الى غارات العرب الليلية على سكان المستعمرات المختلفة (٤٦) ·

وتظهر في هذه الفترة (١٩٠٩/١٠/٧) أول وثيقة هامة عن موقف الفلسطينيين من اليهود والحركة الصهيونية · وكانت الوثيقة عبارة عن دراسة نشرها يوسف الخالدي بين فيها ان هدف الحركة الصهيونية هو انشاء دولة صهيونية في فلسطين· وقد حذر من قيام هذه الدولة لان قيامها : « لا يمكن ان يتم دون اصطدامات وصراع دموي بسبب المعارضة العربية لقيام مثل هذه الدولة » ·

ويستطيع القارىء ان يلمس في دراسة يوسف الخالدي قضيتين هامتين :

اولاهما : انه يلمس أن في اوربة « مشكلة يهودية » · ولذلك فقد « اقترح اقامة وطن قومي لليهود خارج فلسطين » ·

ثانيهما : أنه يفرق « بين الصهيونيين وغير الصهيونيين من اليهود » (٤٧) ·

وكان النضال داخل مجلس المبعوثان وخارجه يتفاعلان ·

....

٤٥ ــ صايغ ، انيس : **المرجع السابق** ، ص ٤٧ · وكيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٦٠ ·

٤٦ ــ Pearlman, Moshe : *Ben Gurion Looks Back*... p. 23.

٤٧ ــ **الاهرام** ١٩٠٩/١٠/٧ ·

ففي سنة ١٩٠٩ انشئت « منظمة محلية مهمتها الحيلولة دون بيع الاراضي الى اليهود » ٠ كما واصلت الصحف العربية حملاتها على الذين يبيعون أراضيهم للمهاجرين الصهيونيين ٠ وكان للكرمل دورها المشرف في هذا المضمار فاشتكى الصهيونيون من مقالاتها ، وكان ان عطلت مؤقتا في اوائل صيف ١٩٠٩ ، وفي شتاء ذلك العام ٠ وتقدم في حزيران من ذلك العام نائب مدينة يافا باستجواب في مجلس المبعوثان « تساءل فيه عما تقصده الصهيونية ، وعما اذا كانت الحركة الوطنية لليهود تنسجم مع مصلحة الامبراطورية العثمانية »٠ ولقد طالب باغلاق ميناء يافا في وجه المهاجرين من اليهود ٠

وأوفدت الاهرام في تشرين الاول من ذلك العام مراسلا الى فلسطين فكتب يقول : « ان الفلسطينيين قلقون من الحركة الصهيونية ، فالهجرة اليهودية المستمرة تخلق لديهم المخاوف والقلق ، فالبلاد تكاد الآن تكون في ايدي الاجانب » ، وأشار المراسل الى « ان الفلسطينيين يتهمون الحركة الصهيونية في فلسطين بأنها تهدف الى اقامة دولة صهيونية مستقلة ، ويؤكدون ان بعض اثرياء اليهود قد بدأوا يدفعون الرشوة للحكومة العثمانية ، حتى يعفى اليهود العثمانيون في فلسطين من الخدمة العسكرية ، ويكرسوا كل جهودهم للنشاط الاستعماري ، في وقت لم يكن للمسلمين والمسيحيين خيار في تحمل اعباء تلك الخدمة العسكرية البغيضة » (٤٨) ٠

وقرر بعض الوطنيين محاربة الحركة الصهيونية بخلق وعي قومي ، عن طريق نشر الثقافة القومية ٠ ولذلك انشأوا

....

٤٨ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٦٠ ٠

معهدين هما معهد الدستورية والروضة (٤٩) · واستمرت الى جانب ذلك البرقيات الاحتجاجية وعرائض الاستنكار وارسال الوفود · وكان من نتيجة حقد الاوساط الصهيونية على بعض النواب العرب في مجلس المبعوثان ان عزت انتشار الروح المعادية لليهود الى خطاباتهم (٥٠) ·

واستمرت سنة ١٩١٠ حملات الصحف وحملات النواب حتى ان الدكتور جاكبسون كتب في شهري آذار ونيسان من استنابول يقول : « ان النواب العرب ، ولا سيما روحي بك الخالدي ، كانوا يشنون حملة لسن تشريع جديد ضد الهجرة اليهودية الى فلسطين » · أما الجماهير فقد استمرت في ارسال البرقيات والعرائض، مطالبة بوقف الهجرة ومنع بيع الاراضي، ومتهمة الصهيونيين بالعمل على حرمان السكان الاصليين من أراضيهم · ومن البرقيات التي ارسلت الى الحكومة المركزية برقيتان احداهما من الناصرة والثانية من حيفا · وبرقية ثالثة من يافا وقعها مائة وخمسون شخصا (٥١) · وقد نشرت هذه البرقيات في صحف الآستانة (٥٢) · ومن الظواهر المثيرة للانتباه ان « مناشير » مناهضة للصهيونية وزعت باليد في يافا · وبدأت تظهر في الصحف الاسبوعية الهزلية رسوم كركاتورية لليهود · كما قام نجيب نصار بالمساهمة في الكتابة

....

٤٩ ـ صايغ ، انيس : **المرجع السابق** ، ص ٤٦ ·

٥٠ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٦٢ ·

٥١ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٦١ ـ ٦٢ ·

٥٢ ـ Hourani, Albert : *Middle Eastern Affairs,* Number four, St. Antonys Papers. Number 17.

Mandel, Neville : *Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine (1882 - 1914),* p. 95.

للصحف العربية ضد الصهيونية، ودعت هذه الصحف الزعماء العرب للكتابة في الموضوع نفسه ٠

ولعل رسالة شكري العلي ، قائمقام الناصرة الى سامي باشا الفاروقي قائد الحملة العسكرية التي ارسلت لاخماد الانتفاضات في حوران، خير ما يدل على النظرة آنذاك لموضوع الصهيونية ٠

يقول شكري العلي ، بعد ان يتحدث عن النبوءات التوارتية حول عودة اليهود الى صهيون :

« وعليه فان (اليهود) قد سعوا وما زالوا يسعون الى شراء معظم القرى والاراضي والدساكر في امبراطوريتنا البهية ٠ أن اليهود لا يختلطون مع العثمانيين اطلاقا ، كما انهم لا يشترون منهم ٠ ولليهود بنك خاص ، هو بنك الانجلو ـ بلستاين ، الذي يقرضهم النقود بفائدة ١٪ سنويا ٠ ولقد أسسوا في كل قرية ومستعمرة لجنة مركزية ومدرسة ، ويقف على رأس كل مدينة ومستوطنة مدير ومدير منتدب ٠ ولليهود علم أزرق ، في وسطه نجمة داود ، تحتها كلمة عبرية تعني « صهيون » ، كناية عن القدس التي تصفها التوراة على أنها « ابنة صهيون » ٠ وهم يرفعون هذا العلم بدلا من العلم العثماني ، وفي مهرجاناتهم واجتماعاتهم ينشدون النشيد الوطني الصهيوني ، وعندما يأتي اليهود الى (دوائر) الحكومة يقولون انهم مسجلون في السجلات العثمانية (اي انهم رعايا عثمانيون) وهذا كذب وخداع ٠ ولكن عندما يجلبون أمام محكمة عثمانية ، ينكشف مكرهم ، لانهم يرجعون بسرعة الى ممثليهم الاجانب (اي القناصل)

لحمايتهم وتبرئتهم من جريمتهم ، ولانهاء اعمالهم وشؤونهم دون معرفة الحكومة اطلاقا ···· وعندما تدخل بيوتهم ترى كيف يملأونها بالاسلحة وبنادق المرتين · ولهم خدمات بريدية خاصة وما شابه » (٥٣) ·

وسجلت سنة ١٩١١ تصاعدا في الموقف المعادي للصهيونية :

فعلى صعيد الحملة الدعاوية ، قام نجيب نصار بكتابة مجموعة من المقالات ضد الصهيونية ، كانت الاولى من نوعها في العربية ، ونشرت فيما بعد بكتاب عنوانه : « الصهيونية : تاريخها ، عرضها ، اهميتها ، ملخصا عن الانسيكلوبيديا اليهودية ، حيفا ١٩١١ » ·

وعلى صعيد العمل السياسي في مجلس المبعوثان ، عرض النواب العرب مناقشة قضية الصهيونية ، خلال جلسة لمناقشة الموازنة، وتكلم روحي الخالدي نائب القدس فقدم مدخلا تاريخيا للصهيونية ، مؤيدا باقتباسات من الكتاب المقدس ، وقاطعه احد الاعضاء قائلا : ان المجلس يناقش الميزانية ولا يناقش التوراة ·

ولما شعر العرب ، بأن السلطة تتذبذب ، وقراراتها لا تنفذ تماما ، وفي كل الاحوال ، كان لا بد من ان يبحثوا عن اسلوب يدافعون به عن أنفسهم · وهنا نشأ الحزب الوطني في يافا (٥٤) · وكان من اهداف الحزب :

---

٥٣ _ Mandel, Neville : *Ibid.*, pp. 94 - 95

٥٤ _ Mandel, Neville : *Ibid.*, pp. 97 - 98

« توجيه كل الجهود نحو معارضة قانونية للحركة الصهيونية ، ومحاربتها بسلاح الحق ، بالاضافة الى اثارة وعي الامة للعواقب الوخيمة للصهيونية وتذكير الحكومة بواجباتها التالية :

أولا : منع الهجرة وذلك بتطبيق نظام جواز السفر الاحمر (كان هذا الجواز وسيلة لمنع تلاعب المهاجرين ، اذ انهم يعطون الجواز الاحمر عند الدخول ، ويبقى جوازهم في دائرة الجوازات حتى يعودوا) ٠

ثانيا : منع بيع الاراضي ٠

ثالثا : اجراء احصاء لليهود واعطاء العثمانيين منهم بطاقة هوية واضحة ٠

رابعا : فرض رقابة حكومية وبرنامج الدراسة الرسمي على مدارسهم ٠

خامسا : حظر اجتماعاتهم الخاصة ، ما لم يسبقها الحصول على اذن خاص من السلطات ، وفقا للقوانين المرعية الاجراء بهذا الصدد ٠

سادسا : اجراء اعمال مسح لاراضي المستعمرات ، وفرض مختلف الضرائب والاعشار والويركو ، مع اعادة تقييم وتقدير المبالغ المالية التي ضاعت على الخزينة عن السنوات الماضية » (٥٥) ٠

ان هذا البرنامج السياسي يستهدف ، ولاول مرة ، لا منع

---

٥٥ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٦٣ ٠

الهجرة وبيع الاراضي فحسب ، بل يستهدف اخضاع المهاجرين الصهيونيين ، أفرادا واملاكا ، لانظمة الدولـــة وفرز اليهود العثمانيين من غيرهم • لماذا ؟ لم يحدد البرنامج • ولقد اعتبر الحزب الوطني ان التعامل مع الصهيونيين جريمة ، كما طالب، بالاضافة الى حظر بيع الاراضي ، بمقاطعة كل المؤسســات الصهيونية وخاصة بنك الانجلو بالستاين الصهيوني (٥٦) •

وشهدت السنوات الثلاث التالية (١٢ ، ١٣ ، ١٤) التـي سبقت الحرب ما يلي :

أولا : أخذت اتصالات تجري بين الحكومة المركزية ، فـي عهد حزب الحرية والائتلاف ثم في عهد حزب الاتحاد والترقي، وبين الصهيونيين • وكـــان غرض الاتصالات أن يساعــد الصهيونيون الحكومة على الحصول على قروض ومساعـدات للخزينة المفلسة ، مقابل فتح الابواب امام الاستعمار الصهيوني في فلسطين • وقد اقترح طلعت باشا سنة ١٩١٣ قيام تحالف « اسلامي يهودي » • وكان ان كتب طلعت باشا الــى حكام بيروت والقدس طالبا تخفيف القيود على اليهود •

كما ان حزب الاتحاد والترقي ، اخبر الصهيونيين ، بعـد المؤتمر العربي الاول في باريس ، أنهم اذا استطاعوا عقــد اتفاق مع العرب « فان حزب الاتحاد والترقي سيقوم بالباقي» • « اي سيزيل القيود على اليهود في فلسطين » • وقام الحزب ، وهو ما زال يأمل بالرأسمال اليهودي ، بتنازلات هامة ، اذ انه الغى نظام الاقامة المحددة بثلاثة أشهر لليهود ، ثم اوقف ثلاث صحف عربية معادية للصهيونية (الكرمل في حيفا ، وفلسطين

....

٥٦ ـ صايغ ، أنيس : **المرجع السابق** ، ص ٤٧ ـ ٤٨ •

في يافا ، والمقتبس في دمشق) • وسمح الحزب فـوق ذلك لجمعية صهيونية بافتتاح مركز لها في الآستانة (٥٧) •

ثانيا : بدأت جماعات من العـرب (حـزب اللامركزية ، وجمعية بيروت الاصلاحية) تدعو لتحالف عربي ـ صهيوني • وقد جرت اتصالات في هذا المجال ، قادت الى اتفاق شفـوي تمهيدي ، تلته بيانات ، نشرت فيما بعد في الصحف العربيـة واليهودية •

أدت هذه الاتصالات الى التأثير على الابحاث في المؤتمـر العربي الاول ، كما أدت الى التأثير على قراراته (٥٨) ، اذ ان المؤتمر لم يهاجم الهجرة الصهيونية في أبحاثه او قراراته •

ثالثا : تصاعدت موجة المقاومـة في فلسطين في هـذه السنوات • وتمثل التصاعد في الآتي :

١ ـ نشأت جمعيات لمكافحة الحركـة الصهيونية ودرء الخطر الصهيوني نذكر منها : « جمعية مكافحة الصهيونية» التي أنشئت سنة ١٩١٣ في نابلس • ثم تأسست سنة ١٩١٤ الجمعيات التالية في القدس :« الجمعة الخيرية الاسلامية»، و«جمعية الاخاء والعفاف» ، و«شركة الاقتصاد الفلسطيني العربي » و « شركة التجارة الوطنية الاقتصادية » • وكان هدف هذه المؤسسات :« الوقوف في وجه الاخطار الوشيكة التي تهدد أرض الوطن وانقاذ البلاد من الدمار » (٩٥) • وأسس مثل هذه الجمعيات في يافا وفي حيفا ، كما أسس

....

٥٧ ـ Mandel, Neville: *Ibid.*, p.p. 99, 100, 101.

٥٨ ـ Mandel, Neville: *Ibid.*, p.p. 100 - 101.

٥٩ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٧١ ـ ٧٢ •

مثل هذه الجمعيات في بيروت والآستانة والقاهرة· ونشرت « جمعية مكافحة الصهيونية » أهدافها التالية :

« ١ ـ معارضة الصهيونيين بكل الوسائل ، سواء بايقاظ الرأي العام وتوحيد وجهات النظر حول هذه النقطة ، وبنشر برنامج الجمعية بين كل أوساط الامة العربية عامة ، وفي سورية وفلسطين خاصة ·

٢ ـ تأسيس فروع وجمعيات في كل مدن سورية وفلسطين من أجل هذا الغرض وحده ·

٣ ـ السعي لنشر الوحدة بين كل العناصر التي تتكون منها الامة العربية ·

٤ ـ تقديم مساعدات في الشؤون الاقتصادية والتجارية والزراعية ، وتطوير المزارعين والفلاحين من أجل أن يكونوا قادرين على انقاذ انفسهم من أيدي الصهيونيين ·

٥ ـ ارسال ممثلين الى كل ذوي العلاقة في هذه المسألة لوقف جدول الهجرة الصهيونية » ·

ويضيف ماندل « ان هذا كان البرنامج الرسمي للجمعية، ولكن الارهاب ضد المستوطنين اليهود في فلسطين جرى التفكير به في السر » (٦٠) ·

ب ـ اشتدت حملات الصحف العربية في فلسطين ودمشق والقاهرة ضد الحركة الصهيونية · وقد خاضت الاهرام جدلا سياسيا ضد الصهيونية (٩ شباط ١٩١٣) ·

---

٦٠ ـ Mandel, Neville: *Ibid.*, p.p. 102 - 103.

أما نجيب نصار فقد دعا الى مؤتمر ، كالمؤتمر العربي الاول ، لمناقشة الخطر الصهيوني ٠

وكتب نجيب نصار في الكرمل (العدد ٣٦٠ ـ ١٩١٣/٨/٢٢) حول هذا الموضوع قائلا : « ان الفرصة يا قومي تكاد تضيع فسارعوا الى عقد المؤتمرات للبحث عن الطرق المؤدية لتنظيم هيئتكم الاجتماعية وحفظ كيانكم وألا صرتم حكاية تاريخية بعد حين ٠٠٠ » ٠

وقد وجدت الفكرة تأييدا ٠ وكانت الكرمل تنشر البرقيات والرسائل المؤيدة ٠ ومن هذه البرقيات نورد البرقية التالية التي ارسلتها الشبيبة الفلسطينية من الآستانة : « نحبذ فكرة المؤتمر الفلسطيني لمقاومة الصهيونية راجين توفيق السراة لما يحفظ الوطن ويخلصه » (العدد ٣٦٣ ، ١٩١٣/٩/٩) ٠

وكانت جريدة فلسطين (١٩١٣/٧/٩) قد ناقشت عدم اتخاذ قرار ضد الهجرة الصهيونية في المؤتمر المذكور (٦١) ٠

جـ ـ اشتدت النقمة الجماهيرية حتى ان مظاهرات قامت في نابلس سنة ١٩١٣ ضد اعتزام السلطة بيع اراضي بيسان للمنظمات الصهيونية ٠ ونشرت الكرمل يوم ٤ـ٧ـ١٩١٣ صورة مضبطة احتجاج من غزة والقدس ويافا على ما نشرته الصحف من عزم الحكومة على اعطاء ثمانماية ألف دونم لشركة الاصفر ٠ وجاء في المضبطة : كتاب مفتوح الى أمير المؤمنين وسلطان العثمانيين والصدر الاعظم وناظر الداخلية : « ٠٠٠ فتغلغل الشركات الصهيونية

---

٦١ ـ Mandel, Neville : *Ibid.*, p.p. 100 - 101.

داخل هذه البلاد طولا وعرضا لا تقل نتيجتها في المستقبل عن حرب البلقان ••• » العدد ٣٤٦ ، ١٩١٣/٧/٤ •

ونشرت الكرمل ايضا ترجمة لبرقية ارسلها امراء العشائر ورؤساء المزارعين في غور بيسان احتجاجا على بيع الاراضي المدورة • تقول هذه البرقية :

« اننا نقاوم هذه المصيبة بكل قوانا ، ونهدر آخر نقطة من دمائنا في حين اننا لا نتأخر لحظة عين عن بذل كل مرتخص وغال في سبيل سلامة دولتنا العلية ••• » •

ونشرت الكرمل برقيات احتجاج أخرى (العدد ٣٥٤ ، ١٩١٣/٨/١ • وكتبت الكرمل معلقة على جواب البرقية المذكورة : « ان قيام الاهالي لمطالبة الحكومة بعدم بيع الجفالك المدورة للغير لاكبر دليل على صدقهم » واظهارهم القلق والخوف من سقوط وطنهم في ايدي اجنبية لاعظم برهان على حرصهم الشديد على وطنهم ••• » (العدد ٣٥٦ ، ١٩١٣/٨/٨) • وتشير الكرمل الى ان اعضاء الجمعية العربية في الآستانة قد خطبوا طالبين عدم بيع الاراضي المدورة • (العدد ٣٥٧ ، ١٩١٣/٨/١٢) •

وعلى الرغم من تصاعد النقمة وتصاعد الحملات السياسية ضد الصهيونية ، فقد جرى اتصال بين ناحوم سوكولوف من اللجنة التنفيذية الصهيونية وناصف الخالدي وبعض الوطنيين العرب من اجل تفاهم عربي صهيوني • وكان ناصف الخالدي رئيس المهندسين الحكوميين في بيروت ومن دعاة التعاون العربي الصهيوني• وقد صحب سوكولوف الى بيروت ودمشق، وجمعه بمحمد كرد علي ، وعبد الرحمن الشهبندر وجريس الفاخوري وآخرين • وتم الاتفاق على ان تعقد اجتماعات

أخرى . وقد طلب العرب من الحركة الصهيونية ان تقدم وثائق تبين أهدافها في فلسطين ، وان « تعلن رغبتها في الاندماج مع السكان المحليين بتعلم العربية ، وبفتح مدارسها ومرافقها للعرب » . كما ان ناصف قدم لائحة من عشرة أسماء للاجتماع بالصهيونيين كلهم من الملتزمين المناهضين للصهيونية ، وفهم رؤساء تحرير الكرمل وفلسطين والمقتبس . كما ان ناصف اشترط على الصهيونيين ألا يحضروا الى الاجتماع اي فرد اشترك في اية مباحثات لشراء اراض في فلسطين . وكان هذا كله كفيلا ان تعود الى تعثر المباحثات . ولكن والي بيروت عارض ، فيما بعد ، في عقد الاجتماع ، فقبل الطرفان ذلك كمبرر لعدم عقده (٦٢) .

وشهدت سنة ١٩١٤ ، نتيجة تصاعد النقمة الشعبية التي أججها اتضاح المخاطر الصهيونية من جهة واقدام السلطة المركزية على تقديم تنازلات ، الى تحول في الموقف الشعبي . « واصبح قتل المستوطنين اليهود اكثر تواترا . ولم يكن محصورا بشمال فلسطين ، كما كانت الحالة فيما مضى تقريبا » (٦٣) .

وكان واضحا في كل هذه النشاطات والحملات والعمليات ما يلي :

أولا : أن كل حركة من حركات المهاجرين الصهيونيين كانت توحي بالريبة . وان المصدر الاساسي لهذه الريبة هو الخشية من قيام دولة صهيونية في فلسطين . فحين اقيمت محاكم خاصة باليهود في تل أبيب ومستعمرات أخرى هاجمت احدى

---

٦٢ _ Mandel, Neville : *Ibid.*, p.p. 103 - 104.

٦٣ _ Mandel, Neville : *Ibid.*, p. 102.

الصحف هذه الظاهرة ، اذ تكمن فيها بذور : « **خلق دولة ضمن** دولة في فلسطين » (٦٤) ٠

ثانيا : ان هذه النشاطات والحملات والعمليات كانت تبين ، بشكل او بآخر ، ان المعركة مع الحركة الصهيونية هي معركة بقاء او فناء ، وان نجاح الحركة الصهيونية سيعني : « ان الصهيونيين سيمتلكون البلاد ونصبح نحن فيها غرباء » ٠ وكان التخوف الشعبي يذهب أبعد من ذلك ، وكأنه يستشرف المستقبل ٠ ذلك أنه : « اذا لم يخف المخلصون الى انقاذ الفلسطينيين ، فان مصيرهم سيكون مماثلا لمصير الهنود الاميركيين ٠ فالصهيونية التي تشكل دولة ضمن الدولة تهدد مصير العرب وصميم وجودهم في فلسطين » (٦٥) ٠

ثالثا : ان هذه الحملات والنشاطات والعمليات كانت تستهدف ما يلي :

أ ــ تعبئة البلاد ضد الحركة الصهيونية (جمعيات ، برقيات ، مظاهرات ، شركات الخ) ٠

ب ــ ممارسة الضغط على السلطة في الآستانة من أجل اتخاذ اجراءات تحول دون تمكن الحركة الصهيونية من التوسع والتغلغل ٠

جـ ــ تعبئة الرأي العام ، فلسطينيا وعربيا ، ضد السماسرة وبائعي الاراضي ، وكبار الملاك خاصة ٠ وجاء في النداء العام الى الفلسطينيين الذي نشرته الكرمل : « اياكم ان تبيعوهم أراضيكم ، ولا تترددوا في استخدام

---

٦٤ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٧٢ ٠

٦٥ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٨٠ ٠

القوة لمنع الفلاحين من بيع أراضيهم • وعليكم منذ الآن ان تطردوا سماسرة بيع الاراضي وتلعنوهم » (٦٦) •

وهذه النشاطات موجهة أساسا الى العرب لكي يتيقظوا ويتنبهوا ويتعلموا ويتنظموا ، فليس لهم ان يلوموا : « الصهيونيين بقدر ما ينبغي ان تلوموا زعماء بلدكم وموظفي حكومتكم الذين يبيعون الارض ويعملون كسماسرة لهم » •

وقد تعهد راغب النشاشيبي، احد المرشحين لمجلس المبعوثان سنة ١٩١٤ : « بمحاربة الصهيونية دون ان يسيء الى مشاعر اليهود العثمانيين » (٦٧) •

وعندما بدأت الحرب العالمية الاولى تقلص النشاط الصهيوني في فلسطين ، واتجه النشاط العربي الى العمل السري •

ان هذه الفترة (١٨٨٢ ــ ١٩١٦) فترة هامة • ففيها تكون هؤلاء الذين قادوا الحملة ضد الصهيونية في السنوات التالية للاحتلال البريطاني • ويثبت تاريخ هذه الفترة أن نظرة الريبة الى الحركة الصهيونية لم تبدأ بعد وعد بلفور ، وان مقاومة الصهيونية ليست وليدة ما بعد الحرب العالمية الاولى (٦٨) •

ويرى ماندل ، وهذا ما نتفق معه فيه ، ان هنالك اسبابا اجتماعية واقتصادية وسياسية وراء هذا الصراع • فمن

---

٦٦ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٧٥ •

٦٧ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٧٦ •

٦٨ ــ تايلر ، الدكتور الن : **تاريخ الحركة الصهيونية (١٨٩٧ ــ ١٩٤٧)** ص (٥١ ــ ٥٢) و :

Mandel, Neville : *Ibid.*, p.p. 77 - 78.

الناحية الاجتماعية كان المجتمـــع الفلسطيني مجتمعا متخلفا ومغلقا ، ومجتمع كهذا لا بد ان يكون محافظا ، وان يكون أهله ملتصقين بالارض · كما أن مثل هذا المجتمع ينظر بريبة الـــى الغريب دائما·وقد كان لاختلاف العادات واللغة اثره في موقف سكان البلاد عربا ويهودا من المهاجرين الجدد (٦٩) · ومـــن الناحية الاقتصادية لم تخف فقط طبقة رجال الاعمال العـــرب الصغار فحسب ، كما يشير ماندل ، بل خاف الفلاحون والعمال والبرجوازية الصغيرة والحرفيين ، لان المهاجرين الصهيونيين قدموا تحديا لكـل هؤلاء · ذلك أنهـــم ضموا في صفوفهم : « حرفيين ، ومستخدمي مكاتب وخريجي جامعات وكليـــات تلموديـــة » (٧٠) · وكانت تقف وراءهم أموال الحركـــة الصهيونية العالمية ونفوذها وخبرتها ، وخبرة اليهود العالميـة في كل المجالات · أما من الناحية السياسية ، فقد كان هنالك عداء للاوروبيين وعـدم ثقة بهم في نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين،بسبب نزعتهم الى السيطرة والاستعمار والاحتلال · أما بالنسبة للموقف من اليهود،المشكلة في الحركة الصهيونية ، وفي مسلك المهاجرين الصهيونيين ازاء العـــرب الذين اضطر آحاد هاعام أن يتفقد تصرفاتهم(٧١) ، كمـــا أشرنا سابقا ·

فكيف ، بعد هذا كله ، نقيم موقف حركتنا الوطنية من اليهود والصهيونية ؟

---

٦٩ - Bein, Dr. Alex : *The Return to the Soil, A History of Jewish Settlement in Israel*, Jerusalem 1952, p.p. 42-43.

٧٠ - Bein, Dr. Alex : *Ibid.*, p.p. 36.

٧١ - رزوق ، اسعد : **المرجع السابق** ، ص ٩٨ ·

ان ما يبدو واضحا هو قدرة الجماهير ، ممثلة بالصحافة والادب وممثلي الشعب ووجهائه وابنائه العاديين ، حتى بدو بيسان ، على ادراك خطورة الحركة الصهيونية على الوطن . الوطن هو المستهدف ، الوجود الوطني هو المعرض للخطر . واذا كانت الحركة الصهيونية تشتري أرضا وتحاول السيطرة على الاقتصاد ، فانما ذلك هو البداية فقط ، ذلك ان « من يملك الارض والاقتصاد هو السيد الحقيقي، أما السياسي فهو مجرد تابع له » (٧٢) .

وما دامت القضية قضية وطن ، فان علينا ان نفعل كل ما نستطيع من أجل حماية الوطن . ماذا نستطيع ان نفعل : احباط مشاريع الحركة الصهيونية بوقف الهجرة ، ومنع بيع الاراضي للصهيونيين والمؤسسات الصهيونية . ولكن كيف يتحقق ذلك ؟ باستخدام كل الوسائل للضغط على السلطة ، صاحبة الحل والعقد ، وباللجوء الى العنف أحيانا ، لاجبار السلطة على اتخاذ القرارات او لفرض التراجع على الحركة الصهيونية . هذا جانب . أما الجانب الآخر فهو محاربة الذين يسهلون الهجرة ويساعدون على بيع الاراضي ، وتعبئة الشعب سياسيا واقتصاديا وتنظيميا ليتمكن من عملية المواجهة .

والعملية موجهة ضد الحركة الصهيونية ، وضدها فقط . وليس ضد اليهود عامة ، واليهود الوطنيين (العثمانيين) خاصة ، فهؤلاء ، على الرغم من الموقف التقليدي من اليهود ، ومن تأثير الافكار الدينية ، بشر كالبشر ، لهم مالنا وعليهم ما علينا . وكفاحنا ضد الصهيونية يجب الا يسيء لهم ، ومحاولة

....

٧٢ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ٧٧ .

منع الهجرة ووقف بيع الاراضي تستهدف امرا واحدا : حماية الوطن ، لان الهجرة ذات طبيعة سياسية • ولقد أبدى العرب استعدادهم لقبول اليهود ، ولكن دون صهيونية وعلى أساس ان يحدث تمازج ، كما تثبت لنا قضية اتصالات ناصف الخالدي مع سوكولوف المارة الذكر • خط واضح ومحدد أجمع عليه كل العاملين ضد الحركة الصهيونية، من نجيب عازوري الى طلاب الازهر الشريف • والجدير بالذكر ان هذا الخط حرض على العرب الذين يبيعون أراضيهم او يسمسرون لبيعها ، ولكنه لم يحرض على الصهيونيين • ومع ذلك شهدت هذه المرحلة هجمات على أفراد وعلى مستعمرات وممتلكات صهيونية ، فلماذا ؟ وهل تمثل هذه الهجمات خروجا عن هذا الخط ؟

ان هذه الهجمات لم تكن مخططة في هذه المرحلة • لقد كانت عمليات انتقامية قام بها هؤلاء الذين طردوا من أراضيهم، كما كانت تعبيرا ساخطا جدا من فلاحين رأوا بأم أعينهم قيام قلاع تأسيسية للدولة الصهيونية بين ظهرانيهم • وكانت طريقة بنائها والمواقع الاستراتيجية التي تحتلها والابراج التي تقام لحراستها ، والاسلاك التي تنصب حولها، ونظام الحراسة فيها توحي بالخوف ، وتبعث على القلق • ويكفي ان يقرأ القارىء ما يذكره قادة الحركة الصهيونية عن مرحلة البناء هذه (٧٣) •

ان بن غوريون يصف سهد الليالي التي عاشها خوفا من هذه الهجمات ، ولكنه يعزوها الى النهب والسرقة ، ويتهم بها البدو ، وينفيها عن سكان القرى المجاورة للمستعمرات (٧٤) •

---

٧٣ ــ آلون ، يغال : **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، دار العودة•

٧٤ ــ Pearlman, Moshe : *Ben Gurion Looks Back...*, Simon and Schuster, New York, 1965, p.p. 16, 26, 28.

وربما كانت بعضا كذلك ، فتلك سمة من سمات العهد العثماني، ولكن هل نستطيع ان نعزوها كلها للنهب والسرقة ؟ ان ماندل الذي درس هذه المرحلة جيدا يؤكد حقيقة مناقضة وهي : « أن الطابع البسيط لهذه النزاعات وغياب النغمات الدينية والوطنية فيها لا تقلل على المدى القصير من المرارة التي أحست بها الاطراف المهاجمة ، ولا كانت على المدى الطويل خالية من الدلالات السياسية » (٧٥) ٠

وهذا في تقديري لا يعكس الحقيقة تماما لانه لا ينسجم مع مستوى الحملة السياسية الاعلامية ضد الحملة الصهيونية ٠ ذلك ان القول بأن هذه الاعمال ليست ذات أهداف سياسية اطلاقا ، او لم تكن لها مضامين سياسية مباشرة ، في وقت كانت الحملات السياسية والاعلامية ضد الصهيونية تتصاعد وتتأجج ، انما يعزل ظاهرة العنف عن الظاهرة السياسية ٠ وهو غير ممكن ٠

واذا كانت قضية العلاقات العربية ـ اليهودية تواجه صعوبات وعقبات منذ البدء ، فان نشاط الطلائع الصهيونية منذ سنة ١٩٠٨ من اجل « فتوحات العمل » (٧٦) التي عنت « صهينة » المؤسسات اليهودية ومنع العامل العربي من العمل في المؤسسات اليهودية ، زاد الامر تعقيدا ٠ ذلك ان قرارا كهذا اقام سورا بين العرب واليهود واقنع العرب ان تخوفاتهم من الهجرة اليهودية ومن مشروع قيام دولة صهيونية في فلسطين كانت في محلها ٠

٧٥ ـ Mandel, Neville : *Ibid.*, p.p. 85 - 86.

٧٦ ـ Bein, Dr. Alex : *Ibid.*, p.p. 40 - 41, 44, 54, 61.

ومع هذا فقد كان العرب يحسون ان موضوع الهجرة يتعلق بهم ، ولهم الحق وحدهم ، كأي شعب في العالم ، ان يقرروا ما يريدون وما لا يريدون · فهم يريدون أن يظلوا في وطنهم ، وان يظل وطنهم لهم وهم لا يريدون أن يصبحوا غرباء في وطنهم ، ولا يريدون ان يصبحوا عبيدا ، ولا يقبلون أن يصيروا لاجئين ·

وهم كانوا يحسون حس المتيقن أن الحركة الصهيونية تطلب منهم ذلك كله ·

المرحلة الثالثة : ٢/١١/١٩١٧ ـ ٢٩/١١/١٩٤٧ ·

صدر وعد بلفور ، بعد مخاض طويل · وكانت بريطانيا ، على الرغم من موافقتها على المشروع الصهيوني ، تحسب حساب العقبات التي تقف في طريقه ، وعلى رأسها معارضة العرب (٧٧) · ولذلك فقد حاولت الصياغة البريطانية النبقة ان تخفي مخاطر الوعد وراء كلمات مدروسة · وان تخفف وقعه على العرب بالايحاء اليهم ان حقوقهم المدنية والدينية لن تمس · ولكن العرب كانوا يعرفون بعض ما تكتبه الصحف عن النشاط الصهيوني قبل صدور الوعد ، وكانوا يتابعون ، منذ مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ ، نشاط الحركة الصهيونية · ولذلك لم يكن متوقعا أن يخدعهم نص الوعد مهما دقت صياغته ·

ولقد كان الوعد نصرا حاسما للحركة الصهيونية · وأول انتصاراتها السياسية وأعظمها · وهذا ما يؤكده ايبان · فوعد بلفور في رأيه : « النصر الديبلوماسي الحاسم للشعب اليهودي

---

٧٧ ـ John, Robert, Hadawi, Sami : *The Palestine Diary,* Vol. 1, 1914-1945, The Palestine Research Center, Beirut, p. 75.

في العصر الحديث » (٧٨) · ذلك أن الوعد أمد الحركة الصهيونية بشرطين أساسيين للنجاح : اولهما : وجود قوة عظمى تتبنى المشروع الصهيوني ، وثانيهما : اكتساب شرعية دولية · وكانت الحركة الصهيونية تبحث عن هذين الشرطين منذ مؤتمر بال · وها ان الفرصة قد واتتهم ·

وكان الصهيونيون يعرفون ماذا يريدون من وعد مثل وعد بلفور · وهم يريدون ، من بين ما يريدون : « أن يشرف اليهود على البلاد ، وان يقع عبء التنظيم كله عليهم ، وان يعملوا خلال العشر او الخمسة عشر عاما القادمة ، في ظل الحماية البريطانية المؤقتة » · كما ان الصهيونيين كانوا يعرفون الدور الذي سيلعبونه في المنطقة ، اذ ان وجود « مجتمع يهودي قوي على مجنبة مصر » يشكل « حاجزا كفوءا ضد اي خطر يحتمل ان يأتي من الشمال » (٧٩) ·

وكان تحقيق الوعد يقتضي وجود احتلال بريطاني ·
ولقد حصل ان دخلت الجيوش البريطانية فلسطين في الوقت الذي صدر فيه وعد بلفور تقريبا · وما كان ذلك صدفة ، ولا كان دخول ثلاث كتائب يهودية مع اللنبي صدفة أيضا ·

وكان العرب يطمحون الى الاستقلال ، ولقد ثاروا وتحالفوا مع الحلفاء من أجل هذه الغاية · ولذلك فقد كان محتما ان يجيء مشروع الانتداب البريطاني ومشروع الوطن القومي صفعة حادة لاحلامهم وامانيهم ونضالهم ·

---

٧٨ ـ Eban, Abba : *My People : The Story of the Jews,* weidenfeld and Nicolson, 1969, p. 559.

٧٩ ـ رسالة وايزمن الى سكوت Eban, Abba : *Ibid.*, p. 355.

وهكذا كان ان وضعت الحركة الصهيونية نفسها أمام مطامح العرب الوطنية وجها لوجه ٠

ومنذ اللحظة التي اعلن فيها وعد بلفور على صفحات التايمز ، قام المنفيون السوريون في القاهرة ، بارسال احتجاج رسمي الى المندوب السامي (٨٠) ٠ وأخذت موجة النقمة تتصاعد مع شيوع أخبار الوعد ، خاصة بعد أن أعلنهالثوار البلاشفة وحاول الاتراك الاستفادة منه لاستمالة العرب من جديد (٨١) ، والتخريب على المخططات البريطانية ٠

وتشير التقارير البريطانية التي كان يرسلها معتمدون في المنطقة ، خاصة في القدس والقاهرة ، الى ان هذه النقمة أخذت تتنامى ٠

ويشير أول التقارير المرسلة بعد احتلال القدس الى : « ان نبأ تصريح بلفور ، فيما يتعلق بفلسطين جديد على القدس ، وقد أحدث قدرا غير ضئيل من المخاوف بين العناصر التي بلغني أنها تحاول مقابلتي » ٠ كما يقول الكولونيل ديدس ، التابع للبعثة العسكرية المصرية ٠ كما رفع ديدس في غضون الاسبوع نفسه تقريرا أشار فيه الى توتر العلاقات بين العرب واليهود ، والى شعور متبادل بالعداء ، ويذكر التقرير ان هذا الشعور ازداد حدة في الاونة الاخيرة « بسبب تصريح بلفور » كما ذكر فيه ان :« الاحتكاك بكلمة مختصرة ليس ببعيد »(٨٢) ٠

....

٨٠ ـ John, Robert, Hadawi, Sami : *Ibid.*, p. 95.

٨١ ـ رسالة جمال باشا الى فيصل وخطاب جمال باشا في بيروت بتاريخ ٤/١٢/١٩١٧ ٠

John, Robert, Hadawi, Sami : *Ibid.*, p.p. 95 - 96.

٨٢ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ١٠٤ ٠

ولعله من المفيد أن نورد هنا تحليل خليل السكاكيني لوعد بلفور وما فهمه اليهود والعرب منه . ذلك أن هذا التحليل يساعدنا على وعي ابعاد القضية . يقول السكاكيني : « لقد فهم اليهود من هذا الوعد انهم اصحاب البلاد ، وان العرب ليسوا الا دخلاء ولكن ثقلاء ، والا ضيوفا ولكن على غير الرحب » . وبعد أن يعدد السكاكيني بعض اقوال لوايزمن وموند حول تهويد فلسطين يحدد موقف العرب قائلا : « أما العرب فقد فهموا من هذا الوعد بقرينة ما فهم اليهود منه ، وبقرينة ما قامت به الحكومة من الاعمال في سبيل انشاء الوطن القومي . ان هذا الوعد يجردهم من حقوقهم السياسية، اي من الاشتراك في الحكم والادارة . فاذا كان للبلاد مجلس تشريعي فلا يحق للعرب ان يكونوا ناخبين او منخوبين . واذا تألفت وزارة فلا يحق للعرب ان يكون فيها منهم أحد ، بل لا يحق لهم ان يشغلوا منصبا في دوائر الحكومة كبيرا او صغيرا » (٨٣) .

وكتب كلايتون لوزارة الخارجية ، في العشرين من كانون الاول سنة ١٩١٧ ، اي بعد احتلال القدس بأحد عشر يوما : « ان العرب ما زالوا قلقين ويشعرون ان الحركة الصهيونية تتقدم بسرعة ، مما يهدد مصالحهم . ان الحوار والتفاعل مع اليهود لا ريب سيؤول الى تهدئة مخاوفهم ، شرط ان يتصرف هؤلاء حسب المبادىء الليبرالية التي وضعها القادة اليهود في لندن » .

وكتب كلايتون مرة أخرى في الرابع عشر من كانون الثاني

---

٨٣ ـ السكاكيني ، خليل : **فلسطين بعد الحرب الكبرى** ، الجزء الاول ١٩٢٥ ، مطبعة بيت المقدس ، ص ٢ ـ ٣ .

... « أن السكان المحليين من العرب مازالوا يظهرون بعض التوتر ضد النشاط الصهيوني ويخشون ان تكون النتيجة قيام حكومة يهودية في فلسطين » (٨٤) .

وكان سلوك الحكام الجدد والقادة الصهيونيين يوحي بالمزيد من الريبة والشك . فالبيانات والايصالات التي صدرت عن الحكم العسكري الجديد ، كانت تضع اللغة العبرية الى جانب العربية والانجليزية . كما ان الموظفين الانجليز كان بينهم عدد من اليهود الصهيونيين والانجليز المناصرين للحركة الصهيونية . ثم ان وايزمن وصل القدس ، بعد احتلالها بقليل (١٩١٧/١٢/٩) . وقد حشد الحاكم العسكري جمعا من الزعماء والوجهاء العرب ليتحدث اليهم وايزمن ، في محاولة لكسب « ودهم » ، فأثارهم بحديثه عن ارتياحه لفتح الباب امام اليهود للعودة الى وطنهم (٨٥) .

وأشارت المصادر البريطانية الى أن مجرد الاعلان عن تشكيل البعثة قاد الى أن تبدأ العناصر الاسلامية ـ المسيحية بالعمل « في جو من التوتر الحار » الذي « لم يبدده وصول السادة أنفسهم ...» (٨٦) .

وعاد وايزمن مع لجنة مرافقة الى فلسطين في ربيع سنة ١٩١٨ ، فشاع فيها ، كما يقول وايزمن : « أن الانجليز ارسلوا في طلب اليهود ليستولوا على البلاد » . ويروي وايزمن في

---

٨٤ ـ دورين انغرامز : **اوراق فلسطين** (١٩١٧ ـ ١٩٢٢) ، بذور القضية ، دار النهار للطباعة والنشر . ص ٢٧ .

٨٥ ـ علوش ، ناجي : **المرجع السابق** ، ص ٤١ .

٨٦ ـ دورين انغرامز : **المرجع السابق** ،ص ٣١ .

مذكراته تحفظات اللنبي ، ازاء عمل اللجنـــة ، كما يروي ان حاكم يافا العسكري قال له : « ان على اللجنة ، اذا ارادت ان تجتاز الاراضي الاميريـــــة ، ان تصطحب معها فرقـــة عسكرية » (٨٧) ٠

وحين التقى وايزمان بعدد من السياسيين ورجال الدين في يافا يوم ١٩١٨/٥/٨ ، وتحدث اليهم عن المشروع الصهيوني، اجابه واحد منهم ان « كلا المسلمين والمسيحيين سيعامــــلون مواطنيهم اليهود ، كما يعامل بعضهم بعضا ، ما دام اليهـــود يحترمون حقوق هاتين الديـــــانتين ، مؤيدين بذلك الكلمات بالافعال » (٨٨) ٠

وانكشف سر وعد بلفور رسميا في فلسطين في اواسط سنة ١٩١٨ ، فأحدث ذلك نقمة واسعة ، وخيبة أمل كبيرة، وتصميما على الكفاح ٠ وجاء في احد التقارير التي ارسلت بعد ذلك ان: « الاعلان الاخير حول المسألة اليهودية الذي أصدرته حكومـة صاحب الجلالة أثر اثرا عميقا في المسلمين والمسيحيين الذين يتطلعون على فلسطين وسورية بألم وخوف من اليهود » (٨٩)٠

ولقد قررت البعثة الصهيونية ان تحتفل بالذكرى الاولـــى لوعد بلفور ٠ فاستثار ذلك الجماهير العربيـــة استثارة بالغة كما تذكر التقارير (٩٠) وذهب وفد عربي لمقابـــلة الحاكـم العسكري ستورز وابلاغه ان العرب مصممون عـــلى تعطيل

---

٨٧ ـ Weizmann, Chaim : *Trial and Error*, Harpar and Brothers, New York, 1949, p.p. 211 - 224.

٨٨ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ١١٤ ٠

٨٩ ـ صايغ ، انيس : **المرجع السابق** ، ص ٤٩ ٠

٩٠ ـ دورين انغرامز : **المرجع السابق** ، ص ٣٩ ٠

الاحتفالات الصهيونية . فأنذرهم الحاكم العسكري باعتقال كل من يقوم بمثل هذه المحاولة . ولكن البعثة الصهيونية حصلت على موافقة من السلطة على برنامج احتفالاتها مع بعض التحفظات الشكلية . ومن هذه التحفظات ان تتفرق المظاهرة قبل بوابة يافا حتى لا تصطدم مع العرب . ولكن المظاهرة الصهيونية لم تتقيد بالتعليمات ، والعرب لم يخافوا تهديد الحاكم العسكري ، فالتقت المظاهرتان ، وحدثت صدامات .

وكانت صحيفة صهيونية تدعى فلسطين قد نشرت في هذه الاثناء مقالتين اولاهما : « ... تمد حدود فلسطين شمالا الى ضواحي مدينة بيروت » ، والثانية : « ... تصر على جميع الاراضي المروية شرقي الاردن » . والمقالتان ، فوق هذا ، تتحدثان عن « دولة يهودية مستقلة » .

وقد زادت هاتان المقالتان من التوتر المتفاقم ودفعت كثيرا من العرب الذين أخذوا موقف المتفرج الى تبني موقف اكثر ايجابية من نضال شعبهم (٩١) .

ونستطيع ان نقول ان قضية مقاومة الحركة الصهيونية كانت محورا لكل الاحداث التي حدثت بعد هذا التاريخ . فمنذ سنة ١٩١٩ اخذ النضال يزداد تنوعا وشدة وعنفا . فمن الهجمات على المستعمرات والاحياء الصهيونية، الى المؤتمرات الى الانتفاضات ، الى الوفود ، الى العرائض والمسيرات والاحتجاجات . وكانت الحركة الوطنية تواجه سلطة الاحتلال، كما تواجه الحركة الصهيونية .

---

٩١ ـ **المرجع نفسه** ، ص ٤٧ .

وركزت الحركة الوطنية منذ البدء على المطالب التي استقر عليها النضال خلال المرحلتين السابقتين وهي :

أ ــ وقف الهجرة الصهيونية ٠

ب ــ وقف بيع الاراضي ٠

جـ ــ مقاومة قيام دولة صهيونية في فلسطين ٠

ولكن الحركة الوطنية اضافت الى هذه المطالب بعض المطالب الاخرى ، ومن أهمها اثنان ، الاول : اعتبار فلسطين جزءا من « سورية الطبيعية » ٠ وقد ظل هذا الشعار مرفوعا حتى سنة ١٩٢٦ ٠ والثاني : قيام حكم وطني نيابي مستقل يرتبط مع بريطانية بمعاهدة ٠

واذا ما تابعنا المسيرة ، منذ سنة ١٩١٩ ، فاننا سنجد أن الموقف من اليهود والحركة الصهيونية استمر كالسابق : مقاومة الهجرة ، مقاومة بيع الاراضي ، ورفض قيام دولة صهيونية في فلسطين ٠ ولكن هنالك ما يقنع دائما بأن الموقف هو موقف ضد الخطر الصهيوني ، وليس ضد اليهود٠ ما كانت ترفضه الحركة الوطنية ليس وجود عشرة او عشرين او مائة او ألف او آلاف او عشرات الآلاف من اليهود ، انما ما كانت ترفضه هو ضياع الوطن ، تحول المهاجرين الصهيونيين الى أغلبية تحكم ابناء البلاد الاصليين ، او تحولهم الى مشردين غرباء ٠

كان الموقف يزداد توترا ٠ ولقد ابرق كلايتون في السادس والعشرين من آذار قائلا : « ازدادت مؤخرا الدعاوة المضادة للصهيونية ازديادا بالغا في فلسطين ٠ ويتفاقم امر المشاعر بين المسلمين والمسيحيين الذين يتوجسون من اعطاء امتيازات سياسية واقتصادية لليهود نتيجة تسوية السلام ٠٠٠

وثمة مرتكزات عديدة للاعتقاد بأن الشعب المعـــادي لليهود يهيأ في القدس ويافا وكل مكان · ان تدابير الاحتياط تتخذ ولكن اعلاننا بأن اليهود سينالون اي امتيازات خصوصية من شأنه تفجير الاضطرابات » ·

وكان كلايتون ، يقدم هذه المحاذير ، لترافق اتخاذ اي قرار· وكان قبل ذلك قد ابرق في ١٩/٢/٢٦ مشيرا الى أن « الغموض الذي يكتنف التسوية المقبلة في سورية وفلسطين يسبب التململ المتزايد » · وأشار في برقيته هذه الى ··· « أن الخوف مـــن الصهيونية بات الآن منتشرا بين جميع طبقات المسيحييـــن والمسلمين · وقد تفاقم كثيرا على اثر ما نشر فـــي الصحف الصهيونية وفي اعقاب خطب الصهيونيين البارزين عن منهاج بعيد الاهداف ، يتقدم كثيرا على ما يحاول طمسه الدكتـــور وايزمن في مباحثاته هنا مع المسيحيين والمسلمين ···»(٩٢)·

وعقد سنة ١٩١٩ المؤتمر القومي الاول · وقد اصدر هـذا المؤتمر ميثاقا نص على ما يلي :

« **أولا** : رفض وعد بلفور والهجرة الصهيونية والانتداب الانجليزي ·

ثانيا : اعتبار فلسطين جزءا من سورية ، وتسميتهـــا سورية الجنوبية والمطالبة بوحدة سورية الكبرى ·

ثالثا : استقلال فلسطين التـــام ضمن الوحـــدة العربية » (٩٣) ·

وأرسل المؤتمر برقية احتجاج الى مؤتمر الصلح في باريس،

....

٩٢ ـ **المرجع نفسه** ، ص ٦٤ ـ ٦٦ ·

٩٣ ـ علوش ، ناجي : **المرجع السابق** ، ص ٤٢ ·

تسجل احتجاج ممثلي شعب فلسطين الشديد على « ما سمعوه من ان الصهيونيين نالوا وعــــدا بجعل فلسطين وطنا قوميـا لهم · وانهم ينوون الهجرة الى البلد واستعماره » (٩٤) ·

ولقد قدمت الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا مذكرة الــى الحاكم العسكري فيها ، بمناسبة انتصار اللنبي على الاتراك ، اوضحت فيها موقف الحركة الوطنـــــية والشعب الفلسطيني بجلاء ، فعرب فلسطين : « لا يمكن ان يوافقوا على اخضاعهم للاستعباد بل بالعكس ··· فنحن العرب غير معادين للآخرين ، ولا يخطر ببالنا على الاطلاق طرد العناصر الاخرى من بلادنا ، ولكننا لا نستطيع الموافقة عــلى ان يحرمنا ضيوفنا اليهود من حقوقنا السياسية ، ولسنا نرغب في اعطاء حقوق المواطنيـــة للسكان المحليين الذين يفدون من اماكن خـــــــارج بلدنا » · وتضيف المذكرة في شرحها لاسبـــاب الرفض : « اننا نرفض رؤية ملايين اليهود يتدفقون على فلسطين ، لانهم سيستوعبون ويحتكرون كل منتجات فلسطين ، اذ ينبغي ألا يغيب عن الدولة ان اليهودي لا يحب الا اليهودي،ولا يساعد الا اليهودي»(٩٥)· وكانت الحركة الصهيونية قد زادت من فعاليتها لخلق « اكتفاء ذاتي » في المستوطنات الصهيونية ، محاولة فرض منع تشغيل العمال العرب في المشاريع الصهيونية ·

واصدرت الجمعية الاسلامية ــ المسيحية منشورا بمناسبة زيارة لجنـــة كنج ــ كراين ، طرحت فيه مطالب عرب فلسطين ، فاكدت وحدة فلسطين مع سورية ، واعتبرتها جزءا منها · كما

....

٩٤ ــ علوش ، ناجي : **المرجع السابق** ، ص ٤٣ ·

٩٥ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ١٢٠ ·

انها اكدت رفض البرنامج الصهيوني · ولقد رفض المنشور « ان تتحول فلسطين الى وطن قومي لليهـــود » ثم اضاف : « ونحن لا نسمح كذلك لاي يهودي بالهجرة الى بلادنا » · ومع هذا فالمنشور لم ينس اليهود المحليين : « الذين كانوا يقطنون فلسطين من قبل » · ويرى المنشور ان هؤلاء ينبغي « اعتبارهم مواطنين يتمتعون بالحقـــوق والواجبات » التـــي يتمتع بها العرب (٩٦) ·

ويشير تقرير لجنة كنج ـ كراين الى ان الصهيونيين « الذين لا يزيد عددهم على عشر المجموع الكلي لسكان البلاد يقفون وحدهم في المطالبة بتنفيذ فكرة الـــوطن القـــومي لليهود في فلسطين » ، « اما بقية السكان مـــن مسلمين ومسيحيين على السواء ، فانهم كانوا متمسكين باتحاد سورية واستقلالها ، ويعتبرون فلسطين جزءا لا يتجـــزأ منهـــا ، تاريخيا وجغرافيا وسياسيا » (٩٧) ·

وعقد المؤتمر السوري العام في حزيران سنـــة ١٩١٩ ، فشارك فيه عدد كبير من الفلسطينيين ، وحضره ممثلون عن اليهود ، كما جاء في المذكرة التي قدمها المؤتمر الى « الفريق الاميركي من بعثة الحلفاء » · اكدت هذه المذكرة ايضا رفض « مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي مـــــــــن البلاد السورية ، اي فلسطين ، وطنا قوميـــا للاسرائيليين » ورفض «هجرتهم الى قسم من البلاد اذ ليس لهم فيها أدنى حق، ولانهم خطر شديد جدا على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقوميـــة

....

٩٦ ـ كيالي ، عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ١٣٦ ·
٩٧ ـ حسن ، صلاح الدين : فلسطين وحق تقرير المصير ، لجنة كنج كراين ، منشورات دار مكتبة الفكر ـ ليبيا ، ص ٥٧ ·

والكيان الساسي • أما سكان البلاد الاصليون من اخواننا الموسويين فلهم ما لنا وعليهم ما علينا » (٩٨) •

وتبلورت عام ١٩١٩ القناعة بالحاجة الى خلق حالة من « الاضطرابات المتواصلة » ضد المهاجرين الصهيونيين ، وذلك من اجل وقف الهجرة • وفي اواخر العام قام مسلحون عرب بمهاجمة مستعمرات في الجليل الاعلى ، كما قاموا بعمليات اخرى بعد ذلك (٩٩) •

وكانت الحركة الوطنية العربية فـي فلسطين تعتمد على الاسانيد التالية في صراعها مع الحركة الصهيونية :

اولا : « ان مبدأ الحق والعدل لا يجيز قهر امة من الامم باكثار عدد امة اجنبية عنها في بلادها ، حتى تذيبها فيها ، وان ذلك اثر من آثار القرون المظلمة لا يتفق مع روح عصر النور والعدالة » •

ثانيا : « ان العدل الذي خول الولايات المتحدة مـن سن قانون منع مهاجرة الصينيين الى بلادها ، والعـدل الذي خول استراليا منع الآسيويين ، والذي خول مصر العربية منع استخدام السوري العـربي في بلادهـا ، الا يجيز للفلسطينيين العرب سن قانون تمنع به مهاجرة اي عنصر يخشى جانبه ليحفظوا حياتهم من الزوال ؟ » •

ثالثا : « البلاد بلادنا قديما وحديثا اقمنا فيها اكثر مما اقاموا وعمرناها اكثر مما عمروها • وان علاقتنا التاريخية

---

٩٨ ــ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجـع السابق** ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ وص ٤٣٩ الهامش ٩٦ •

٩٩ ــ صايغ ، انيس : **المرجع السابق** ، ص ٥١ ، وكيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ١٤٦ •

والدينية نحن المسلمين والمسيحيين اكثر من اليهود جدا ، فادعاؤهم الحقوق التاريخية القديمة في البلاد لا تكسبهم حق الاستقلال فيها ، كما وانه لا يكسبنا نحن العرب هذا الادعاء حق العودة الى الاندلس ، وطننا القديم الذي خلقنا فيه مجدا عظيما بثمانية قرون ، كان الرقي الاوروبي في العصر الحاضر من نتائجه ، لان ذلك طوت امره العصور » .

رابعا : « ان اليهود في فلسطين لا يتجاوز عددهم على اعظم تقدير ثمن عدد العرب الاهليين ، وليس لهم في الاراضي اكثر من ثلاثة في المائة . افيجيز العدل هضم حقوق الاكثرية المطلقة ؟ » اما « الوطنيون الاصليون منهم » فهم « لا يزيدون عن العشرين الفا ، وليس في يد جميعهم من الاراضي اكثر من واحد في المائة » .

خامسا : ان فكرة المشروع الصهيوني « تؤدي الى فناء السكان الاصليين » كما ان الاقتراحات التي يقترحها الصهيونيون « تبرهن لنا على ان الشعب العربي الموجود في فلسطين اليوم لا يأتي عليه نصف قرن وهو في عالم الوجود » .

سادسا : « ان عرب فلسطين جميعهم ينفرون كل النفرة ويحسبون الحسابات المخيفة من هجرة اليهود وتسلطهم » . ولقد « حافظوا على تقاليدهم وقوميتهم وبلادهم طوال هذه القرون العديدة » . ولذلك فانهم « لا يسلمون بوجه من الوجوه بأن تستلب منهم بلادهم العزيزة عليهم » .

سابعا : ان العرب مصممون على ان يحافظوا على بلادهم « بكل الطرق الممكنة لهم ، وان هذا قد يثير من المشاكل والاضطرابات ما يكون سببا للقلاقل بدل الراحة ،

مما لا يتلاءم مع الفكرة الاساسية التي دفعت دول الحلفاء الى خوض الحرب تامينا لراحة الشعوب وتوطيدا لدعائم السلام في العالم » (١٠٠) ·

ولم يكن ما توصل اليه عرب فلسطين من انهم مهددون بالاخضاع والتشريد والفناء ببعيد عن الحقيقة · ولقد لمسه وليم يل منذ سنة ١٩١٧ ، وارسله في تقرير الى وزارة الخارجية الاميركية · وكان يل يخالف « كل دعوى بان اليهود والعرب يستطيعون ان يعيشوا في فلسطين » · والسبب : « ان فكرة انشاء وطن قومي لليهود في وطن عربي سوف تثير بين العرب واليهود حربا تؤجج نيرانها العاطفة الوطنية والجنسية والدينية » · وكان من رأي يل ان المهاجرة اذا نجحت في ظل الانتداب : « فلا بد من حدوث احد امرين :

الاول : قيام قوتين في فلسطين كل منهما تختلف عن الاخرى ، وتحاربها وتحاول ان تقضي عليها » ·

الثاني : ان العرب سيعجزون « عن مقاومة التنظيم الاقتصادي ، وتكون النتيجة : « ان يضطر اصحاب الاراضي والاملاك ان يبيعوا كل شيء ليعيشوا منعمين ، ويظل ٩٠٪ من الشعب العربي فقراء معدمين » · ويستطرد يل : « وحينئذ فلا نجاة لهؤلاء العرب من ان يعيشوا عبيدا لليهود » · ولكن

---

١٠٠ ــ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، الصفحات ١ ــ ١٤ وتضم عرائض ومذكرات وبرقيات احتجاج ما بين ١٩١٨/١٢/١٢ و ١٩٢٠/٢/١٥ ·

« هذا لا يصح لان العربي لا يستكين للذل ، وهو يفضل التشرد على الاقامة بين اليهود وفي دولتهم » (١٠١) ٠

اخذت الامور تتدهور سنة ١٩٢٠ ٠ ولقد استمرت حملة الاحتجاجات ، كما كانت ٠ وارسل عرب فلسطين مذكرة الى البابا في ٢٠ ـ ١ ـ ١٩٢٠ ، احتجوا فيها على السياسة الانكليزية المؤيدة للصهيونية ، كما اكدوا انهم لا يسمحون للصهيونيين البتة بامتلاك بلادهم ٠ وقد ارسلت نسخ من هذه البرقية الى الحكومة البريطانية والمجلس الاعلى في باريس (١٠٢) ٠ وفي الرابع من شباط سنة ١٩٢٠ نشرت الصحافة احتجاجا شديد اللهجة ، قدمه اهالي نابلس الى معتمدي دول الحلفاء جاء فيه :

« ١ ـ ليس لليهود ما يخولهم حق الهجرة الى فلسطين ٠

٢ ـ مسألة المهاجرة مسألة داخلية لا يحق لدولة ما ان تبحث فيها ، بل هي من متعلقات اهالي البلاد وحدهم ٠

٣ ـ بما ان القوانين المعمول بها حتى الآن هي القوانين التركية ، لان البلاد لم يتعلق مصيرها بعد ، فيجب العمل بقانون الباسبور الاحمر التركي ، فعلى السلطة المحتلة ان تنفذه الى ان يتقرر مصير البلاد ، وتبدله حكومة مدنية جديدة لسواه ٠

٤ ـ ان كل قرار يخالف الاهلين لا يستبعد ان يكون سببا لتعكير صفو السلام ٠

٥ ـ يعتقد السواد الاعظم عندنا ان الترك لو بقوا في

---

١٠١ ـ مانويل ، فرانك ١ : **بين اميركا وفلسطين** ، المرجع السابق ، ص (٩٢ ـ ٩٣) ٠

١٠٢ ـ **الدفاع الدمشقية** : ٩/٢/١٩٢٠ ٠

هذه البلاد لما سمحوا ولا تسامحوا بمهاجرة الصهيونيين اليهـا » (١٠٣) ٠

وقررت الجمعية الاسلامية المسيحية في نابلس: ١ ـ مقاطعة الصهيونيين في جميع المعاملات ٠ ٢ ـ منع اسكانهم في البلاد وعدم تأجيرهم محلات٠ ٣ ـ عدم البيع لهم وعدم الشراء منهم٠ ٤ ـ عدم قبولهم ولو كزائرين (١٠٤) ٠

كمـــا اصدر رؤساء الديــن المسيحي في القدس « اوامرهم الى جميع الكنايس ليعظوا المسيحيين وينذروهم مـــن بيـــع أراضيهم لليهود » (١٠٥) ٠

وأشارت الصحافة في هذا الوقت ايضا الى الوقــع السيء الذي تركه تسلم الحكومة المحتلة « للاراضي المملوكة الواقعة بين اراضي روبين وأراضي سكنة الجبلة ، والتي تبعد ثمانيــة كيلو مترات من يافا الى الصهيونيين » ٠ واثــار تسليم هـــذه الاراضي احتجاج الجمعية الاسلامية بحيفا٠ وعد بيان الاحتجاج هذا العمل اول ضربة (على الوطنيين) ، مـــن الصهيونية ، وانه مقدمة لنيات الصهيونيين السيئة ٠ ولذلك فان الجمعيـــة تحتج « على هذه الضربة المميتة للوطن » (١٠٦) ٠

وكان الجنرال بولز قد اعطى تصريحا لجريدة مرآة الشرق

....

١٠٣ ـ المرجع السابق : ٤/٢/١٩٢٠ ٠
١٠٤ ـ المرجع السابق ٠
١٠٥ ـ المرجع السابق ٠
١٠٦ ـ المرجع السابق ، ٢٨/٢/١٩٢٠ ٠

يقول « بجعل فلسطين وطنا قوميا للصهيونيين » ٠ وقد انتشر الخبر انتشار النار في الهشيم ، فتظاهرت البلاد من اقصاها الى اقصاها يوم ٢٧ ـ ٢ ٠ وكتب مراسل الدفاع الدمشقية في حيفا يوم ٢٩ ـ ٢ ـ ٢٠ قائلا : يعجز قلمي وايم الحق من ذكر الشعور الوطني والحماسي القومي اللذان تجليا باجلى مظاهرهما وابهى جمالهما في هذه المدينة ـ بل في جميع انحاء فلسطين كما تواردت الينا الاخبار ـ فقد ظهر الوطنيون اليوم باسمى مظاهر الاباء والشرف تجاه من يريدون القضاء على قوميتهم ومصالحهم الاقتصادية والسياسية ٠٠ »

وارسل المتظاهرون في حيفا احتجاجا جاء فيه : « اننا مصرون كل الاصرار على الاحتفاظ بترات آبائنا واجدادنا من كل خطر وموطدين النفس على رد عاديات الذين يريدون القضاء على قوميتنا بكل ما عندنا من قوة » (١٠٧) ٠

وحين وصل اللورد ملنر في اواسط آذار الى حيفا تألفت لجنة من بعض الوجهاء واعضاء الجمعية الاسلامية المسيحية « لمقابلة حضرة اللورد واطلاعه على احوال البلاد الفلسطينية واستياء الاهلين من تصريحات بعض مأموري الحكومة الانكليزية بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ، مع ان مؤتمر السلام لم يبت بعد بمصير هذه البلاد ٠٠ » (١٠٨)

....

١٠٧ ـ المرجع السابق ، العدد ٤٧ ، ١٩٢٠/٣/١ ٠

١٠٨ ـ المرجع السابق ، العدد ٥٩ ، ١٩٢٠/٣/٢١ ٠

وكان ان منعت السلطات البريطانية المظاهرات ، فنظمت النساء الفلسطينيات مظاهرة في القدس بتاريخ ٢٢ـ٣ـ١٩٢٠ وقدمن احتجاجا يندد بالتجزئة والصهيونية والهجرة اليهودية ويطالب بالاستقلال التام للبلاد العربية جميعها ٠

وعرف في هذا الوقت ان الدكتور ويزمن رئيس الجمعية الصهيونية سيصل فانتشرت الشكوك حول اسباب قدومه ، بوجود اللورد اللنبي وهربرت صموئيل واخذ اهالي البلاد يستعدون لمظاهرات « شديدة تعزيزا لرغائبهم الوطنية واحتجاجا على الهجرة اليهودية وعلى انتداب الحكومة البريطانية السر هربرت صموئيل اليهودي العريق في الصهيونية للعمل في ادارة البلاد ٠٠ » وكانت الوقائع تدفع نحو مزيد من التوتر ٠ فلقد عادت الجمعية الصهيونية ، في هذه الاثناء ، الى المطالبة « بجعل اللغة العبرانية رسمية في معاملات البلدية ٠ فما كان من الحكومة الا أن أمرت بذلك فرفضت البلدية » (١٠٩) ٠

وما لبثت السلطات ان منعت بعض الوفود المسافرة لمبايعة جلالة ملك سورية وتهنئته من السفر (١١٠) ٠

واخذت الاشاعات تنتشر حول مطالبة الحركة الصهيونية بادخال مليون صهيوني (١١١) ٠ كما نشرت الصحف اخبارا حول دخول الصهيونيين الى فلسطين بالبسة الجنود (١١٢) ٠

....

١٠٩ ـ **المرجع السابق** ، العدد ٦٦ ، ١٩٢٠/٣/٢٩ ٠
١١٠ ـ **المرجع السابق** ، العدد ٦٨ ، ٢٠/٣/٣١
١١١ ـ **المرجع السابق** ، العدد ٦٩ ، ٢٠/٤/١
١١٢ ـ **المرجع السابق** ، العدد ٧٣ ، ٢٠/٤/٦

كما نشرت الصحف ايضا بأن الجمعية الصهيونية طلبت : «من الحكومة المحتلة بأن تسمح لها بانشاء ابنية وبساتين زراعية في الاراضي الرملية الواقعة بين حيفا وعكا ·· » (١١٣) ·

لم يكن وعد بلفور قد فرض رسميا على شعب فلسطين ، كما أن مصير الانتداب لم يكن قد تقرر بشكل رسمي بعد · كان هنالك صراع عالمي ، وكانت فرنسا وبريطانيا تتنازعان على المستعمرات ، بينما كان ويلسن ينشر تصريحاته عن حق تقرر المصير · ولكن الامور وصلت الى مستقر لها في ربيع سنة ١٩٢٠ · ففي نيسان جرت الموافقة على صك الانتداب ، وأدمج وعد بلفور بالصك · وفي نيسان ايضا جرى تعيين هربرت صموئيل اول مندوب سام على فلسطين (١١٤) ·

وبعد ايام ، ٢٨ـ٤ـ١٩٢٠ ، ابلغ قرار سان ريمو الى ممثلي الشعب الفلسطيني في نابلس · قال الجنرال بولز : « ان المجلس الاعلى قرر الانتداب لفلسطين ، كما قرر ان تتضمن معاهدة الصلح التركية تصريح بلفور ، فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي فيفلسطين ·· وسأقرأ لكم الان تصريح بلفور الذي سيعني تضمينه في معاهدة الصلح ، انه لن يكون هنالك تدخل بالتقاليد الدينية او الاماكن المقدسة او اي تقليص من اي نوع لحرية الرعايا الدينية ، ولكن سيكون حفظ الامن والنظام العام فقط · وسيسمح للمهاجرين بالدخول حسب ما يتطلبه تطوير البلاد فقط، وستضبط الهجرة الحكومة البريطانية

---

١١٣ ـ **المرجع السابق** ، العدد ٧١ ، ٥/٤/٢٥

١١٤ ـ John, Robert, Hadawi, Sami : *Ibid.*, p. 145.

في البلاد · وستحكم الحكومة البريطانية ، ولن يسمح بأي معنى « لاقلية أن تسود اكثرية السكان عندما يحين الوقت لاي شكل من اشكال الحكومة التمثيلية » ·

وقال بعد ان قرأ تصريح بلفور :

« لقد صدر القرار اخيرا ، وعليه فيجب ان ينتهي النزاع السياسي وعدم الاستقرار · ان على كل الفلسطينيين الحقيقيين ان يسعوا ، متنافسا واحدهم مع الآخر تنافسا صحيا، لمصلحة فلسطين ولرفاهية الاجيال القادمة»(١١٥) ·

ولم يكن هذا الخبر سارا بالنسبة للفلسطينيين الذين عاشوا السنوات الثلاث الماضية في قلق مستمر متزايد على مصيرهم وكان هذا القلق قد اخذ يتحول مع بداية ١٩٢٠ الى نقمة عارمة· عبرت هذه النقمة عن نفسها باشكال مختلفة : ومن ذلك تظاهرة السابع والعشرين من شباط في القدس ، وتظاهرة الثامن من آذار · وكانت الخطب التي القيت في المظاهرة الثانية المقامة بمناسبة مبايعة الامير فيصل ملكا على سورية وفلسطين « ذات طابع سياسي عنيف ، ورافقها قدر كبير من الهتاف ضد اليهود ، ومن المؤكد ان مزاج المتظاهرين كان خطرا » (١١٦) · ومن ذلك ايضا الهجمات التي شنت على مستوطنتين في الجليل الاعلى هما المطلة وتل حي ، وقتل في

١١٥ ـ John, Robert, Hadawi, Sami : *Ibid.*, p.p. 156 - 157.

١١٦ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ١٤٦ ·

احـــدى هذه الهجمات الكابتن جوزيف ترامبلدور العسكري الصهيوني البارز (١١٧) ٠

الصدامات الدموية الاولى بعد الحرب الاولى :

وانفجرت الصراعات ، لاول مرة في احتفالات الفصـــح من هــذا العــام ، في مدينة القدس ٠ كان المــوكب يستمع الى الخطابات السياسية ويهتف ضد الصهيونيين والبريطانيين ٠ وفجأة بدأت الصدامات ٠ واستمرت الاضطرابات اسبوعــا (٤ ـ ١٠ ـ ١٢٠)على الرغم من فرض الاحكام العرفية (١١٨)٠ ويبدو ان الهجوم كان موجها في الاساس نحـــو اليهود على الرغم من ان الدعاية المناوئة للصهيونية والمناوئة للبريطانيين كانتا تسيران في خطين متوازيين في صفوف العرب » (١١٩) وكشف تحقيق اللجنة العسكرية (بالين) المؤلفة لهذا الغرض اسباب هذه الاضطرابات ، وهي :

« ١ ـ خيبة أمـــل العرب نتيجة عـــدم تحقيق الوعود بالاستقلال التي ادعوا انها اعطيت لهم خلال الحرب ٠

ب ـ اعتقاد العرب ان تصريح بلفور تضمن انكار حـق تقرير المصير وخشيتهم ان يعني انشاء الوطن القومي زيادة كبيرة في الهجرة اليهودية ، وانه سيقود الى اخضاعهـم اقتصاديا وسياسيا لليهود ٠

....

١١٧ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ٠

١١٨ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ٠

١١٩ ـ وصف مراسل **الدفاع** الدمشقية هذه الاحداث في الاعداد ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ ٠

ج ـ تفاقم هذه المشاعر نتيجة دعاية من خارج فلسطين مرتبطة باعلان الامير فيصل ملكا على سورية المتحدة ، من جهة ، وبنمو افكار الوحدة العربية والوحدة الاسلامية ، بامكانيات اللجنة الصهيونية تسندها امكانيات اليهود في العالم ونفوذهم » (١٢٠) ٠

ويذكر تقرير الاركان العامة سنة ١٩٢٢ الى وزارة المستعمرات انه ربما كان من اسباب الاضطرابات المذكورة قيام فئات من الشباب اليهودي « باستعراضات في شوارع القدس للدفاع الذاتي ٠٠ » (١٢١)

وقد كشف تقرير اللجنة ان وحدات الهاغاناه(الدفاع الذاتي) قد شكلت بدون موافقة سلطات الانتداب ، وانها كانت تتدرب علنا ٠ وان هذا كان معروفا للعرب في آذار ٠ كما كشف التقرير ان « الحالة الراهنة الناشئة في فلسطين هي حالة بالغة الخطورة ، وتتطلب معالجة قوية تتسم بالصبر والجلد اذا اريد تجنب كارثة خطيرة » (١٢٢) ٠

وتصاعدت حركة الاحتجاجات بعد الحوادث الدامية ٠ وذهب وفد يمثل كل الاندية في حيفا وقابل الحاكم العسكري في ١١ ـ ٤ ـ ١٩٢٠ ، وقدم اليه المطالب الاتية :

١ ـ ان لا تبتدىء الحكومة المحتلة بتشكيلات ملكية قبل ان تستشير الحكومة العربية في ذلك ٠

---

١٢٠ ـ John, Robert, Hadawi, Sami : *Ibid.*, p. 158.

١٢١ ـ دورين انغرامز : **المرجع السابق** ، ص ١٥٢ ٠

١٢٢ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ١٥٠ ـ ١٥١

٢ ـ اجراء التشبثات اللازمة في بيوت اليهود لجمع الاسلحة ٠

٣ ـ عدم ابقاء جندي واحد في حيفا بل في جميع انحاء فلسطين من اليهود ٠

٤ ـ اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع دخول صهيوني واحد الى فلسطين » (١٢٣) ٠

وقابل وفد من الاعيان في القدس الجنرال بولز وقدم له مطالب مماثلة بعد اشتباك حصل بين جماعة من الجنود البريطانيين واحد اقرباء المفتي السيد كامل الحسيني ، في حديقة بيت المفتي ٠ ولكن وفد القدس اضاف مطالب جديدة هي :

١ ـ التحقيق مع الذين اطلقوا الرصاص في حديقة بيت المفتي والقاء القبض عليهم في الحال ٠

٢ ـ اخراج جميع رؤساء الصهيونيين من فلسطين ٠

٣ ـ عزل حاكم القدس الكولونيل ستورس واخراجه من البلاد ٠

واشترط الوفد تحقيق هذه المطالب خلال خمسة ايام : «وان لم تتحقق كلها في هذه المدة فلا لوم على الشعب اذا حققها بنفسه وقوته » (١٢٤) ٠

....

١٢٣ ـ **الدفاع الدمشقية** : العدد ٧٩ ، ١٥/٤/١٩٢٠ ٠
١٢٤ ـ **المرجع السابق** ، العدد ٨٢ ، ١٩/٤/١٩٢٠ ٠

ويؤكد ولتر لاكير : « ان اضطرابات ايار سنة ١٩٢١ ، اللاحقة للاضطرابات في القدس والهجمات في الجليلفي السنة السابقة ، هزت الصهيونيين وبلبلتهم · واصبح كثير منهم يعلمون لاول مرة بخطر صراع كبير بين الشعبين · وجرى التأكيد على ان اللوم يجب ان يقع على جهل الصهيونيين وعجزهم ineptitude لان المسلمين كانوا وقت صدور وعد بلفور well disposed نحو اليهود ، ولكنهم لم يجدوا بينهم تفهما ونزوعا نحو الحل الوسط » (١٢٥) ·

وتجدد الصدامات في اوائل ايار سنة ١٩٢١ في يافا · وأكد تقرير اللجنة التي كلفت بالتحقيق ، ان هذه الصدامات تعود الى ما يلي :

١ ـ « شعور الاستياء من اليهود ، السائد بين العرب وعداؤهم لهم لدواع اقتصادية وسياسية ، ولهذا العداء صلة بالهجرة ، ولفهمهم السياسة الصهيونية ، كما شرحها اصحاب الفكرة من اليهود » · وهذا هو « السبب الرئيسي للاضطرابات » ·

٢ ـ « خوف العرب من اضطراد الزيادة في الهجرة اليهودية الى درجة تؤدي الى التسلط عليهم سياسيا واقتصاديا » ، ومعرفتهم « ان هذا الهدف لم يكن مطمحا لانظار اليهود المتطرفين كجابوتنسكي فحسب ، بل مطمح لانظار ممثلي الصهيونية الذين يتحملون عبء مسؤولية كبرى كالدكتور ايدر وكيل رئيس اللجنة الصهيونية » ·

....

١٢٥ ـ والتر لاكور ، **المرجع السابق** ، ص ٢٠٩ ·

٣ ـ اقناع « العرب ان لليهود تأثيرا على الادارة أكثر مما يجب »

٤ ـ « اعتبار العرب ان الهجرة اليهودية كانت سببا في زيادة البطالة عندهم » (١٢٦) ٠

واذا كان تقرير لجنة بالين قد اثبت ان الصهيونيين أنشأوا وحدات للدفاع الذاتي ، وان السلطة حاولت الاستفادة من بعض هذه الوحدات في صدامات القدس سنة ١٩٢٠ ، فان تقرير لجنة هايكرافت انتقد « الدكتور ادر رئيس البعثة الصهيونية، لاقتراحه بان لا يسمح لغير اليهود بحمل السلاح» ٠

الحركة الوطنية تحدد عدوها الرئيسي واتجاه ضربتها :

وكانت الحركة الوطنية تفكر الى اين توجه ضربتها في هذه المرحلة ، أتوجهها الى الحركة الصهيونية أم الى البريطانيين أم الى الاثنين معا ٠ وكان واضحا أن الاستعمار البريطاني والاستيطاني الصهيوني متداخلان ومتكاملان ٠ وكانت النقمة العارمة ضد الاثنين ، والدعاوة التحريضية تسير في خط متواز ضدهما ، كما ذكرنا ٠ ولكن الهجمات سنة العشرين اتجهت ضد الجاليات الصهيونية ٠ فلماذا ؟

كانت الحركة الوطنية قد اختارت اتجاه ضربتها الرئيسية ضد الحركة الصهيونية ، محاولة ان تحيد السلطات البريطانية ٠

١٢٦ ـ تايلر : الدكتور الن : **المرجع السابق** ، ص ٥٥ ٠ و John, Robert, & Hadawi, Sami : *Ibid.*, ٠

وكانت هنالك مجموعة من العوامل تدفعها الى ذلك · ومن هذه العوامل ·

١ ـ الاحساس بسطوة السلطة وقدرتها ، لا سيما ان الاسد البريطاني خرج منتصرا من الحرب · وقد انعكس هذا الشعور على صفحات الكرمل التي قالت : « ان الحكومة البريطانية حكومة قوية ومن ثم فمن الصعب علينا ان نحاربها · فلا بد لنا اذن من جعل ثورتنا تقتصر على محاربة خصومنا » (١٢٧) ·

٢ ـ سعي الحركة الوطنية الفلسطينية للتحالف مع بريطانيا · وهو سعي بدأ قبل الحرب ، وتجسد خلالها في اتفاق حسين ـ مكماهون · وكانت قيادة الحركة الوطنية تعمل جاهدة لاقناع السلطة البريطانية باستقلال فلسطين ، ضمن سورية الموحدة ، وبتحالف مع بريطانيا ·

ولم يكن التحالف آنذاك متعارضا مع اهداف القيادة الوطنية الفلسطينية ، ولا كان متناقضا مع اهداف الحركة الاستقلالية العربية · ثم ان الحركة الوطنية الفلسطينية كانت تحس فوق ذلك ، بضرورة المناورة على البريطانيين الذين تبنوا الحركة الصهيونية ، لكسبهم ، او لتحييدهم ·

وما كان متوقعا ان تطرح قيادات مثل قيادتنا تلك مشروع استقلال جذري ·

....

١٢٧ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ١٥٧ ·

٣ ـ الشعور بان الخطر القتال هو الهجرة الصهيونية والوطن القومي ، لان الانجليز سيرحلون ، ولكن الحركة الصهيونية لن ترحل اذا ما ضربت جذورها في الارض • ثم ان الخطر الصهيوني خطر عاجل وناشيء تمكن معالجته آنذاك ، ومن الافضل المباشرة به • فاذا استطاع العرب ايقاف الهجرة الصهيونية والحيلولة دون بيع الاراضي أحبطت الخطة الصهيونية ، وكان بالامكان التوجه نحو العدو الاخر ، الاستعمار البريطاني •

هل كان ممكنا الفصل بين العدوين ؟

هذا ما تصوره العرب : أو تصوروا امكانية حدوثه • لان بريطانية دولة لها مصالح ، والعرب أمة تهم بريطانيا اراضيها وثرواتها • واذا كان الصهيونيون يمارسون ضغطا على بريطانيا فلماذا لا يمارس العرب ضغطا مقابلا • واذا كانت الصهيونية تطرح على بريطانيا تحالفا فلماذا لا يطرح القادة العرب تحالفا مقابلا ؟

كل هذا كان سليما • ولكن هنالك حقيقة أدركها البريطانيون ولم يدركها القادة العرب في فلسطين وخارجها • وهذه الحقيقة هي ان الدور المرسوم للصهيونيين وللدولة الصهيونية ما كان العرب يستطيعون القيام به • وهذا ما اثبتته السنوات التالية بعد الخمسينات •

لقد كانت بريطانيا تريد القادة العرب لمرحلة ، وتريد الدولة الصهيونية لمرحلة •وفي المرحلة التي كان القادة العرب

فيها اصحاب دولة وشأن كانت الحركة الصهيونية ناشئة وكان يمكن ارضاء الطرفين · ولكن بريطانيا كانت تدرك ان القادة العرب ستنتهي مرحلتهم في يوم من الايام ، وانها حينذاك ، وحينذاك فقط ، تحتاج الى قوة اخرى · وهذه القوة ليست الجماهير العربية على كل حال ·

ومع هذا كله فقد كانت الحركة الوطنية امام خيار صعب انها بوضعها آنذاك لم تكن قادرة على مواجهة العدوين معا ، فلماذا لا تسعى الى محاولة تحييد أحداهما · واذا كان لا بد من تحييد أحد ، فلماذا لا يكون المحيد هو الاقوى ؟ خاصة ان الاضعف هو الاخطر على المدى البعيد ·

وهكذا كان ···

حاولت حركتنا الوطنية ان تجعل من بريطانية حكما ومن الحركة الصهيونية خصما ، وظل الامر كذلك من ١٩١٩ حتى سنة ١٩٢٩ ·

ولم يكن هذا يعني ان محاربة الحركة الصهيونية هي حرب على اليهود واليهودية ، كما بينا وكما سنبين ، ولا كان يعني أن الحركة الوطنية والجماهير الشعبية اسقطت الاحتلال البريطاني من برنامج العداء والصراع ·

ولقد كان اي تحالف مع الحركة الصهيونية مستحيلا · وذلك لان الصهيونية اختارت حليفها الاساسي منذ البدء ·

وكان هذا الحليف منذ البدء بريطانية،حامية الانتداب وراعيته· كما ان التحالف يقتضي التقاء بالاهـــداف ولو مرحليا او جزئيا · ولم يكن مثل هذا اللقاء ممكنا ، لان الحركة الوطنية العربية في فلسطين كانت تسعى للاستقلال، والحركةالصهيونية ضد اي نوع من الاستقلال ، ولان الحركة الوطنية العربيـــة كانت ضد فكرة انشاء وطن قومي يهودي اطلاقـا ، وكـــانت الحركة الصهيونية تعتبر هدفها الاساسي انشاء هذا الوطن ·

فاذا كان التحالف مع الحركة الصهيونية غير ممكن ، وهو ما اثبتته اتصالات ما قبل الحرب وبعدها ، فهل كان ممكنـا التحالف مع قطاعات من الجماهير اليهودية ؟

هنا ايضا لا بد من دراسة هذه الامكانية ·

كان هنالك يهود غير صهيونيين ، وكان هؤلاء من الذيـــن قدموا ليعيشوا ويموتوا في أرض الميعاد قبل صدور وعد بلفور وحتى قبل موجات الهجرة الاولى · وكان هؤلاء اكثر تكيفـا مع متطلبات الحياة في جو عربي · ولكن هؤلاء كانوا مؤمنين بأن الارض أرض « اسرائيل » ثم ان تعصبهم الـديني كـــان يجعلهم اقرب الى ابناء دينهم منهم الى « الاغيار » العرب · هذا بالاضافة الى ان اعلان وعد بلفور واحتـــلال بريطانية لارض فلسطين ، واعتبار المؤسسات الصهيونية ممثلة لليهود ، جعل موقف هؤلاء مرتبطا بموقف الحركة الصهيونية · اي انه لم يكن بامكانهم ان يصبحوا معارضة ·

ثم ان هؤلاء لم يكونوا يمثلون الحياة والحركة في المجتمع الصهيوني كما كان طلائع الحركة الصهيونية ، ولا كانوا يملكون نفوذ الحركة الصهيونية العالمية واموالها ٠

ولقد اخذ شأن هؤلاء يتضاءل في المجتمع الصهيوني بفلسطين منذ بدأت الهجرات الصهيونية (١٨٨١ ـ ١٩١٣)، وزاد شأنهم تضاؤلا بعد اعلان وعدبلفور وتدفق الهجرات الصهيونية وهذا ما سنناقشه في المراحل اللاحقة ٠

وهكذا كان مقضيا ان تسير الامور حتى اواخر سنة ١٩٢٩٠ الحركة الصهيونية تدفع باتجاه الوطن القومي بشراسة وعنف واندفاع ، والحركة الوطنية العربية في فلسطين تعمل كل ما تستطيع من اجل احباط المشروع الصهيوني ، والسلطة البريطانية تعمل على تنفيذ وعد بلفور وصك الانتداب ضمن برنامج لتهدئة الجماهير العربية ما أمكن ، ولخداع قيادة الحركة الوطنية ، وللمناورة عليها بمشاريع مختلفة ٠

وكانت الحركة الصهيونية تشعر منذ اعلان وعد بلفور : « ان تصريح بلفور واهداف انتداب الامم المتحدة سوف تبقى قصاصة من الورق » اذا لم تعمل الحركة الصهيونية على الاتيان « باليهود الى فلسطين وتهيئة الارض لاستيطان واسع النطاق » ٠ وكانت الحركة الصهيونية مقتنعة تماما « ان الهجرة والاستيطان عينهما سيخلقان الوقائع السياسية التي لا مهرب

منها ، وهـــذه الـــوقائع السياسية هـــي الـــتي ستـأتي بالاستقلال » (١٢٨) ٠

ولهذا كان لا بد من ان تتدفق الهجرة اولا ٠ وتدفقت الهجرة فعلا ، ضمن حدود وقيود شكلية ومطاطة ، وتحت راية سلطة متعاونة ، لا تكافح الهجرة غير المشروعة ، ثم تتكرم بعد ذلك فتمنح السياح والمتسللين اجازات اقامة شرعية ٠

الحركة الصهيونية تزيد من نشاطها بعد الحرب :

واتخذت الحركة الصهيونية الاجراءات لدخول المزيد مــن المهاجرين الصهيونيين ، بعد ان جرى تخفيف موجة الهجــرة في اواخر سنة ١٩٢٠٠بسبب الاضطرابات وعدم القدرةعلى الاستيعاب ٠ واوقفت الهجرة في عام ١٩٢١ بعض الـــوقت بسبب الصدامات التي وقعت في ذلك العـــام ٠ و « اصبحت البطالة خطيرة في صيف سنة ١٩٢٣ » حتى ان ١٢ الى ١٣ ٪ من العمال اليهود كانوا عاطلين عن العمل ٠ ولذلك « تناقصت الهجرة بين آنذاك وربيع سنة ١٩٢٤ » (١٢٩) ٠

وكـــان مـــن اسباب ازمة الهجرة محاصرة العـــرب لمشروع الوطـــن القومي بمقاومة بيــــع الاراضي وبانشاء الشركات وبمقاطعة البضائع اليهودية ولكن هذه المرحلة جاءت رغـــم

١٢٨ـ Pearlman, Moshe : *Ben Gurion Looks Back*, p. 53.

١٢٩ـ Bein, Dr. Alex : *Ibid.*, p.p. 241 - 242, 331.

ذلك بالكثير من المهاجرين ، اذ ان عـدد المهاجـــرين كـــان كما يلــــي :

١٩١٨	
و ١٩١٩	٢٠ن٠٠٠
١٩٢٠	٥٥١٤
١٩٢١	٩١٤٩
١٩٢٢	٨٧٤٤
١٩٢٣	٧٤٢١
١٩٢٤	١٢٨٥٦
١٩٢٥	٣٣٨٠١
١٩٢٦	١٣٠٨١
١٩٢٧	٣٧١٣
١٩٢٨	٢١٧٨
١٩٢٩	٥٢٤٩
١٩٣٠	٤٩٤٤ (١٣٠)

هذه ارقام السلطات البريطانية أما ارقام الصهيونيين فهي تزيد على ذلك ٠ وتذكر مراجعهم أن عدد المهاجرين سنة ١٩٢٤ بلغ ١٤ الفا ، وسنة ١٩٢٥ بلغ ٣٥ الفا مثلا (١٣١) ٠

اصبح عـــدد اليهود في نهاية هذه الفترة « حوالي ١٥٠ الف

....

١٣٠ ـ البيطار ، نديم : **المرجع السابق** ، ص ١٨٨ ٠

١٣١ ـ Bein, Dr. Alex : *Ibid.*, p. 331.

نسمة ، اي حوالي ١٦٪ من مجموع عدد السكان » (١٣٢)٠ بينما كانوا عند نهـــاية الحرب حوالي خمسين الفا فقط ٠ وهكذا نجد ان العدد أصبح ثلاثة اضعاف ما كان عليه ، وان كان عدد المهاجرين الوافدين ليس كبيرا بالقياس الى المراحل اللاحقة ٠

وكان اغلب المهاجرين في هذه الفترة من الطبقة المتوسطة ، ومنهم صناعيون يملكون امكانيات لا بـاس بهـا ٠ واذا كانت الاعتبارات الاقتصادية من دوافعهم ، فانها ليست الدافــــع الوحيد ٠ فلقد كانوا في الكثير من الحالات مشربين بقناعات صهيونية في النواحي الدينية خاصة ٠ وقد هرب نصف هؤلاء على الاقل من بولنده (١٣٣) ٠

وعمل الصهيونيون ، بالاضافة الى ما سبق ، على توسيع سيطرتهم الاقتصادية ٠ وقد بلغ ما دخل الاقتصاد الصهيوني من أموال في هذه المرحلـــة اكثر من خمسة وعشرين مليون جنيه فلسطيني ، منهـــا عشرون مليونا مـــن الامـــوال الخاصة (١٣٤) ٠ واشترت الجمعيات الصهيونيـــة ما بين ١٩٢١ و ١٩٢٥ مائتى الف دونم في مرج ابن عامر و ٣٠٨٢٦ دونما في وادى الحوارث سنة ١٩٢٩٠كما ان اليهود حصلوا في هذه المرحلة على مشروعين اقتصاديين كبيرين هما شركة كهرباء فلسطين المحـــدودة (روتنبرغ) ومشروع استغلال

١٣٢ ـ سعد ، الياس : **المرجع السابق** ، ص ٢١ ـ ٢٨ ٠

١٣٣ ـ Bein, Dr. Alex : *Ibid.*, p. 332.

١٣٤ ـ سعد ، الياس : **المرجع السابق** ، ص ٢٧ ٠

البحر الميت (١٩٢١ ، ١٩٢٧) (١٣٥) • وكان اليهود يملكون سنة ١٩١٨م ١٦٢٠٠٠ دونم، فبات ما يملكونه ٠٠٠ر٣١٧ر١ سنة ١٩٣٥ (١٣٦) وكانت حصة العرب من المنشآت الصناعية سنة ١٩٢٨ قد تدنت الى ٦٥ ٪ من المجموع الكلي (١٣٧) •

وهنالك الى جانب هذا كله عمل الحركة الصهيونية على انشاء وحدات الدفاع الذاتي (الهاغاناه) • وكان خلق هذه القوات من أشد العوامل اثارة للمواطنين العرب • ذلك انهم قاوموا النشاط الصهيوني كله بنشاط مضاد : بيع الاراضي بالسياسة المضادة لبيع الاراضي ، والتوسع الاقتصادي الصهيوني بتوسع اقتصادي مضاد وبمحاصرة التوسع الاقتصادي الصهيوني • ولكن كيف تكون مواجهة وحدات الدفاع الذاتي ؟ هذا ما أقلق الجماهير الفلسطينية والحركة الوطنية الفلسطينية•فلقد كانت هذه الوحدات الظاهرةالاكثر خطرا ، لانها تمثل مطامح السيطرة العسكرية لدى الحركة الصهيونية ، وتمثل ارادة القوة والعزم على حرية الحركة واستقلال الارادة •

وحين سئل بن غوريون عن اهداف خلق الهاغاناه اجاب : ان الاسباب هي :

« ١ ــ مواجهة الخطر الفيزيقي العاجل •

....

١٣٥ ــ لجنة التحقيق (شو) : **المرجع السابق** ، ص ١٥٥ ــ ١٥٧ ــ ١٧٣ •

١٣٦ ــ جمادي ، سعيد : **النظام الاقتصادي في فلسطين** ، المطبعة الاميركانية ١٩٣٩ ، ص ١٣٨ •

١٣٧ ــ **المرجع نفسه** ، ص ٢٥٩ ــ ٢٩٦ •

«٢ ـ اعطاؤنا حرية واستقلالا اكبر في برنامجنا الاستيطاني والتطوري •

« ٣ ـ تأمين الاعتماد على الذات لشعبنا •

٤ ـ تشكيل قوة يمكننا الاعتمـــاد عليها ، اذا ما وقعت محاولة من جانب العرب او حكومة الانتداب او كليهما للدوس على حقوقنا في البلاد » (١٣٨) •

ولقد علم العرب بانشاء هذه القوة ، كما ذكرنا ، ولاحظوا وجودها ، من خلال الصدامات • وكانت السلطة تلجأ اليها في حالات الغليان ، كما ان السلطة كانت تتغاضى عـــن وصول السلاح اليها ، وتقدم أسلحة للمستوطنات من أجل مواجهة نقمة السكان الفلسطينيين ، ومن اجل السيطرة عـــلى الموقف في حالة الصدام •

وكانت بعض الاوساط الصهيونية تصر على ان يسلح اليهود واليهود فقط • قال ايدر سنة ١٩٢٠ : « يجب ان يسمح لليهود وحدهم بحمل السلاح مـــن دون العـــرب » (١٣٩) ، وألح جابوتنسكي على هذا سنة ١٩٢١ (١٤٠) •

وسارت الحركة الصهيونية على هذا المنوال ، عاملة عــلى الوصول الـــى السلاح بكل وسيلة • وكان التهريب احـــد

١٣٨ ـ Pearlman, Moshe : *Ibid.*, p. 58.

١٣٩ ـ طربين ، احمد : **المرجع السابق** ، ص ١٥٨ •

١٤٠ ـ Canaan, Dr. T. : *The Palestine Arab Cause*, Jerusalem 1936, p. 18.

الوسائل الرئيسية · وكثيرا ما كانت تكشف الصفقات المهربة ، فتحدث قلقا وتعجل باستثارة الصدامات ·

وكانت الحركة الصهيونية ، من ناحية اخرى ، تتابع عقد مؤتمراتها في هذه المرحلة·وكان كل مؤتمرمن هذه المؤتمرات يجسد الخط الصهيوني : خطورته واندفاعه · فاذا ما اخذنا المؤتمر الخامس عشر ، وهو يقع ضمن هذه المرحلة ، وجدنا انه قرر تضمين ما يلي في دستور الوكالة اليهودية :

ا ـ زيادة مستمرة في حجم الهجرة اليهودية ·

ب ـ استرداد الارض على ان تكون ملكية عامة يهودية ·

ج ـ قيام الاستعمار اليهودي على العمل اليهودي ·

د ـ اللغة العبرية والثقافة العبرية (١٤١) ·

وكان قرار الملكية العامة للاراضي قد اتخذ من قبل في مؤتمر لندن سنة ١٩٢٠ (١٤٢) · ولقد أشار السير جون هوب سمبسون الى هذه الحقيقة في تقريره ، كما ذكرنا في الفصل الاول وقال :« ان الارض التي اشترتها المؤسسات الصهيونية اصبحت قطعة مستقلة عن البلاد » واضاف : « أنه لم يعد في وسع العربي ان يجني منها اية منفعة ، سواء في الوقت الحاضر او في المستقبل » (١٤٣) ·

---

١٤١ ـ Kisch, Lt. Col. F. H. : *Palestine Diary, 1923 - 1931.* London Victor Collanez Ltd., 1938, p. 238.

١٤٢ ـ طربين ، احمد : **المرجع السابق** ، ص ١٨٨ ·

١٤٣ ـ سمبسون ، السير جون هوب : **المرجع السابق** ، ص ٨١ ·

ولم يقف الصهيونيون عند هذا الحد ، ذلك انهم تجاوزوه الى الاماكن المقدسة · فقد قدم « نائب رئيس الجمعية الصهيونية ورفاقه ·· طلبا مؤيدا من ابراهيم اسحاق كوك رئيس الحاخامين ومجلس الربانيين بوضع يد اليهود على حائط المبكى وجميع مكان الهيكل الذي هو الحرم القائم فيه وسطه مسجدا الصخرة والاقصى » · كما قام الصهيونيون بنشر « صور للحرم ومساجده وعليها الرموز الصهيونية والكتابات العبرانية » (١٤٤) ·

وكان الهستدروت ، المنظمة العمالية الصهيونية ، قد زاد نشاطاته حدة ، ضد المنشآت اليهودية والمستخدمين اليهود الذين يستخدمون عمالا من العرب · وقد دفع هذا جماعات من المستعمرين اليهود الى أن تطلب من حاكم المنطقة حماية الشرطة ضد مفارز العمال الصهيونيين الذين كانوا يطردون العمال العرب بالعنف (١٤٥) ·

الحركة الوطنية في فلسطين ونشاطها المضاد :

وقام العرب في مقابل ذلك كله بما يلي :

١ ـ عقدوا في هذه المرحلة (١٩١٩ ـ ١٩٢٩) سبعة مؤتمرات (الاول في القدس ـ اذار ١٩١٩ ، الثاني ، يافا ، شباط ١٩٢٠ (منع بالقوة) ، الثالث ، حيفا ، اذار ١٩٢١ ،

١٤٤ ـ دروزة، محمد عزة : **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها** ، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٢٧ ·

١٤٥ ـ John, Robert, Hadawi, Sami : *Ibid.*, p.p. 202 - 203.

الرابع ، القدس ، حزيران ١٩٢١ ، الخامس ، نابلس ، اب ١٩٢٢ ، السادس ، يافا ، تشرين الاول ١٩٢٥ ، السابع ، القدس ، تموز ١٩٢٨) • وكان كل مؤتمر من هذه المؤتمرات يعلن تمسكه بالميثاق الذي ينص على استمرار الجهود « الرامية الى استقلال بلادنا وتحقيق الوحدة العربية بجميع الوسائل المشروعة ، وسوف لا نقبل باقامة وطن قومي يهودي او هجرة يهودية »•

وكان هدف هذه المؤتمرات حشد قوى الشعب كلها حول خط سياسي واضح ومحدد يهدف الى الاستقلال ، ضمن الوحدة العربية ، ومقاومة المشروع الصهيوني •

٢ ـ اتجه العرب نحو النشاطات الاقتصادية ، وذلك لمواجهة نشاط الحركة الصهيونية • فعقد مؤتمر اقتصادي سنة ١٩٢٣ ، وكان من قراراته مقاطعة مشروع روتنبرغ (شركة كهرباء فلسطين المحدودة) • كما انشىء سنة ١٩٢٩ صندوق الامة ، وهو مشروع الحركة الوطنية لمجابهة مشكلة بيع الاراضي عمليا (١٤٦) •

٣ـ شهدت هذه الفترة نشاطا سياسيا جماهيريا واسعا ، كان من ابرز وجوهه عدد من المظاهرات التي تطور عدد منها الى صدامات ، كما حدث سنة ١٩٢٠ في القدس ، وسنة ١٩٢١ و١٩٢٤ في يافا ، وكما حدث سنة ١٩٢٩ ، وهو ما سنتحدث عنه فيما بعد •

....

١٤٦ ـ علوش ، ناجي : المرجع السابق ، ص ٢٩ ـ ٣٠ ـ النشاط الاقتصادي •

٤ ـ القيام باتصالات عربية ودولية واسعة من خلال الوفود (١٤٧) ٠

وكان هدف هذا النشاط كله ، محاصرة المشروع الصهيوني واقناع القائمين عليه باستحالة نجاحه ، واقناع السلطات البريطانية بأن استمرار تنفيذ المشروع الصهيوني لا يقود الا الى الدماء والدمار ٠

ولهذا ظل قادة الحركة الوطنية يطرقون ابواب لندن آملين ٠ ذهب وفد منهم لمقابلة تشرتشل في القاهرة (ربيع ١٩٢١) ، فقابلهم مقابلة فظة ، ولم يعطهم الا القليل من الوقت « بحجة ان المؤتمر يتناول شؤونا اخرى غير القضية الفلسطينية »٠ ولم يكتف بذلك بل قال لهم صراحة :« حتى ولو كان من صلاحياتي ان الغي وعد بلفور واوقف الهجرة لما فعلت ذلك ٠ اني اعتقد ان الوعد والهجرة هما في صالح العالم واليهود وبريطانيا وعرب فلسطين »٠ وحين قابل الوفد وزير المستعمرات مرة ثانية في القدس واجهه بالفظاظة عينها ٠

وحين عقد المؤتمر الرابع في الخامس والعشرين من حزيران سنة ١٩٢١ قرر ارسال وفد الى لندن ، وذهب الوفد وظل قرابة عام يتصل ويقابل ويناقش ٠٠ واستطاع ان يقنع بعض الاوساط البريطانية بوجهة النظر العربية ، حتى ان مجلس اللوردات أوصى الحكومة باعادة النظر في سياستها ازاء فلسطين ٠

....

١٤٧ ـ الغوري ، اميل : **المرجع السابق** ، ص ٤٨ ـ ٥١ ٠

وقدم الوفد في ١٢ـ٨ـ١٩٢١ مذكرة شاملة الى الحكومة البريطانية اشتملت على المطالب الاساسية التالية :

« أولا : نطلب انشاء حكومة وطنية تكون مسؤولة امام مجلس نيابي (برلمان) منتخب من السكان الذين قطنوا فلسطين قبل الحرب الى مسلمين ومسيحيين ويهود .

ثانيا : نطلب الغاء فكرة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

ثالثا : نطالب ان توقف الهجرة اليهودية الى فلسطين بينما تؤلف حكومة وطنية .

رابعا : نطلب ان تحكم البلاد بموجب القانون العثماني الذي كان معمولا به قبل الحرب ، وان تلغى الشرائع والقوانين التي سنت بعد الاحتلال البريطاني ، وأن لا تسن قوانين الا بعدما تشكل حكومة وطنية .

خامسا : نطلب عدم فصل فلسطين عن اخواتها المقاطعات العربية المجاورة لها » (١٤٨) .

ونلاحظ ان هذه المطالب لا تتضمن المطالبة بالغاء مشروع الوطن القومي فحسب ، بل تتضمن المطالبة بالغاء « كل القوانين التي سنت بعد الاحتلال » . كما عاد الوفد وطالب

---

١٤٨ ـ علوش ، ناجي : **المرجع السابق** ، ص ٤٨ ـ ٥١ .

في مذكرة اخرى :« أن يلغى التصريح وتحل محله اتفاقية تصون حقوق ومصالح وحريات شعب فلسطين ، وتتضمن في الوقت نفسه نصا يؤمن المطامح الدينية اليهودية المعقولة، على الا يمنحوا أية امتيازات سياسية خاصة بهم ، ومن شأنها ان تصطدم حتما بالحقوق العربية » (١٤٩) ٠

وكانت قيادة الحركة الوطنية متصلبة فيما يتعلق بمشروع الوطن القومي بمقدار لينها فيما يتعلق بموضوع الاحتلال البريطاني ، وهي تطالب بالاستقلال التام ، ولكن في حالة عدم تحققه ، فانها ترضى ان « تكون السلطة الفعلية في يد الانجليز لا في يد اليهود » كما قال موسى كاظم الحسيني سنة ١٩٢١ في القاهرة (١٥٠) ٠

واستمرت قيادة الحركة الوطنية في اتصالاتها مع بريطانيا ، حتى ان جناحا منها دخل في مفاوضات مع السلطة على اساس ان تحدد الحكومة « مسؤولياتها ، وتضع تحفظاتها في ذلك بحيث لا يوضع في فلسطين تشريع ما يناقض او يخل بهذه التحفظات والمسؤوليات ، ثم بعد ذلك تمكن اهالي فلسطين على اختلاف طوائفهم من وضع دستورهم بواسطة ممثلين عنهم ٠ وينص في هذا الدستور على شكل حكومتهم واشتراكهم فيها ، وعلى تأليف برلمان يشترك اشتراكا فعليا في التشريع مثلما فعلت الاقطار الاخرى المماثلة لفلسطين كالعراق ولبنان وسورية » (١٥١) ٠

....

١٤٩ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ١٨٦ ٠

١٥٠ ـ كيالي ، عبد الوهاب : **المرجع السابق** ، ص ١٧٠ ٠

١٥١ ـ دروزة ، محمد عزة : **المرجع السابق** ٠

وكان هذا ما لاحظه فولر ، قنصل الولايات المتحدة الامريكية في القدس سنة ١٩٢٤ ، عندما كتب :« ان عرب فلسطين تحت قيادة زعمائهم لا يحاربون الانجليز الان ، وانما هم يعارضون الصهيونية فقط » (١٥٢) ٠

انفجار سنة ١٩٢٩ :

وما ان حلت سنة ١٩٢٩حتى كان الجو مهيأ لانفجار اكبر من كل الانفجارات السابقة ٠ كانت الهجرة تتدفق بالمهاجرين والمستوطنات الصهيونية تزداد وتتوسع ، والتحديات الصهيونية تتوالى وتزداد صلافة ، وكان المواطنون العرب يزدادون خيبة ، ويزداد المستقبل ظلمة والمصير ابهاما ٠

وحدثت في هذا الجو صدامات آب ١٩٢٩ ٠ ولقد كانت هذه الصدامات العفوية حاسمة بالنسبة للحركة الوطنية العربية ، لانها دفعتها الى الانعطاف والتحول في خطها الاستراتيجي ٠

ولا نريد هنا ان نفصل كيف حدثت هذه الصدامات ، لان التقارير الموجودة والدراسات المنشورة تفي بالغرض ، ولكن ما نريد تبيانه هو كيف قاد التحدي الصهيوني المباشر الى الصدام : وان كانت هنالك تحديات صهيونية وبريطانية غير مباشرة تحدثنا عنها في الخلفية ، وفيما تلاها ٠

قادت الى الصراع « قضية البراق » ٠ وتتلخص القضية

---

١٥٢ ـ مانويل ، فرانك أ : **المرجع السابق** ، ص ١٦٦ ٠

في أن اليهود اعتبروا ان الحائط الغربي من المسجد الاقصى هو من بقايا الهيكل · وكانوا يقومون بزيارته في المناسبات الدينية · ولم يكن لدى العرب عموما والهيئات الاسلامية خصوصا اي مانع في ذلك ، شريطة عدم احداث تغييرات · وكان الموضوع محسوما في زمن السيطرة العثمانية ، ولكن الوضع تغير بعد السيطرة البريطانية على فلسطين وصدور تصريح بلفور · وكان ان بدأت الهيئات اليهودية ، صهيونية وغير صهيونية ، تسعى لتغيير الامر الواقع فيما يتعلق بحائط المبكى ·

وأخذ اليهود يحاولون التغيير تدريجيا بممارسةالطقوس الدينية ، وباحضار مقاعد وما شابه ، اي انهم حاولوا ان يجعلوا من المكان معبدا ، وكادت تحدث مشكلة في ايلول سنة ١٩٢٥ ، مما دفع السلطة الى اتخاذ « قرار حظر فيه على اليهود ان يجلبوا الى الحائط كراسيومقاعد، حتى ولو كانت الغاية منها جلوس الطاعنين في السن والعجزة عليها »·

وانشأ اليهود سنة ١٩٢٨ لجنة للدفاع عن حائط المبكى، اخذت تقوم بنشاطات لهذه الغاية ·

وبدأت سنة ١٩٢٨ الاحتكاكات من جديد · فقد اضطر احد موظفي الحكومة البريطانية ان يرفع ستارا وضعه اليهود بالقوة في ٢٤ ــ ٨ ــ ١٩٢٨، وهو يوم عيد الغفران، فأرسلت المراجع اليهودية شكاوى الى الحكومة البريطانية والى الامم المتحدة ·

وتوجه المجلس الملي اليهودي بعد شهرين تقريبا (تشرين الثاني) برسالة الى الطائفة الاسلامية جاء فيها :

« وعليه فاننا نصرح هنا بالحقيقة التي لا تشوبها شائبة ، وباخلاص تام ، بانه لن يخطر ببال احد من اليهود المساس بحقوق المسلمين في اماكنهم المقدسة . ولكن يجب على اخواننا العرب أن يعترفوا هم ايضا بتلك الحقوق التي لليهود على اماكنهم المقدسة في البلاد .»

وتضيف الرسالة ان البراق الذي يقدسه اليهود كان « مكانا لتادية الصلاة والزيارة بدون اية ممانعة او اقل معارضة ، جيلا بعد جيل . ولذلك فان من البديهي بأن الشعب اليهودي لا يميل الى اقل تساهل في هذا الحق المقدس الذي ثبت له على مرور العصور والاجيال. وهكذا فان كل محاولة ترمي الى الغاء او تحديد هذا الحق ، والتداخل في انظمة الصلاة والتقاليد اليهودية تعتبرمساسا عظيما في عواطف الامة اليهودية ، وطعنة نجلاء في صميم قلبها ... »

وتذهب الرسالة الى ان ما يطلبه المجلس المليالیهودي ما هو الا :« عبارة عن طلب طبيعي باحترام حق اليهود لا اكثر ولا اقل ... »

ثم تدخلت اللجنة التنفيذية الصهيونية ، فقدمت احتجاجا الى حكومة فلسطين « بشأن البناء الذي اخذ المسلمون يشيدونه في الطرف الشمالي من حائط المبكى » وهو مكان

« ليس في جهة الرصيف الذي للطائفة اليهودية حق السلوك اليه ... »

وادعت اللجنة :

١ ـ « ان انشاء البناء المذكور على الحائط الغربي غير قانوني ، ولذلك كان يجب عدم انشائه على الاطلاق ».

٢ ـ « انه كان يجب توقيف البناء فورا حالما لفت نظر السلطات المحلية اليه » .

٣ ـ « انه لا يجب السماح بابقاء البناء قائما ، وانه ينبغي اعطاء الاوامر بهدمه في وقت يحدد لذلك » .

وحين طلب من الطرفين ان يقدموا وثائقهما ، قدم العرب ما يلزم اما هيئة الحاخامين فقررت « ان ابراز البيانات الكتابية » قد يضعف الحقيقة الناصعة « بان للطائفة اليهودية حق السلوك الى الحائط واقامة الصلاة فيه ».

وكان ان اوقف البناء ، وحولت القضية الى مستشاري التاج . وبعد ان تسلم المندوب السامي قرارهم كتب رسالة الى المراجع العربية واخرى الى المراجع الصهيونية . وجاء في رسالته الى المفتي :

« ... وفي راي هؤلاء المستشارين انه يحق لليهود ان يقيموا صلواتهم دون ان يلحق بهم ازعاج يفوق ما كان يحصل لهم في الماضي ، او يتجاوز ما لا يمكن تحاشيه ،

بسبب ما طرأ على عادات اهـــالي القـدس من التغييـــر او خلاف ذلك »٠

وبناء عليه جرى السماح باستئناف البناء ٠

واجاب ساكر المندوب السامي برسالة في ١٣ـ٦ـ١٩٢٨ طالب فيها بوضع حد لامرين :

« ١ ـ اذان المؤذن خمس مرات يوميا من على سطـــح الدار المستعملة الآن كزاوية ٠٠٠ » ٠

« ٢ـ دق الطبول مع رفع الاصوات في البستان الكائـن عند الطرف الشمالي من الرصيـــف ، تجـــاه الحائط » ٠

وانعقد المؤتمر الصهيونى ما بين ٢٨ تموز و١١ اب سنة ١٩٢٩ فى زيوريخ ٠ وكان موضوع حائط المكـــى من المواضيع التي عالجها ٠ فأخـــذت الصحف العربية تنشر « مقالات تـــدل على ان الصحف العربية في فلسطين تعتبر اعمال المؤتمر الصهيونى ، بقدر ما لها علاقة بحائط المبكى، دلالة صريحة على ان المؤتمر يحـــاول التـــاثير عـــلى حـــكومة جلالة الملك كى تلغى قرارا اتخذته الحكومة فى القـــدس لمصلحة المسلمين ، وتحـــول دون تنفيذ مبـادىء الحالـــة الراهنة التي نص عليها الكتاب الابيض لسنة ١٩٢٨ »٠

وأصدرت فى هذه الاثناء « جمعية حراسة المسجدالاقصى والاماكن الاسلامية المقدسة » بيانا جاء فيه :

« عاد اليهود ، منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني فيزوريخ، الى الاعتداء المتوالي على البـــراق الشريف ، بجلب الادوات الممنوع جلبها ، ومنع سكان الحي المسلمين من المرور الى منازلهم في طريق البراق ، ويقوم المؤتمر الصهيوني الـذي سيستمر الى ٨ اب ١٩٢٩ بمحاولات واسعة النطـــــاق لاستثارة اليهود في العالم ، مبديا السخط على الكتـــاب الابيض الذي اصدرته الحكومة البريطانية في مسألـــة البراق ، وباذلا جهودا كبيرة ترمي الى جعل الحالةالراهنة (ستاتوكو) المختصة بالبراق الشريف ، تدور على محـور مزاعمهم الباطلة » ٠

وذكر البيان انه قر القرار « ازاء هذه الحـــالة » عـــلى «اتخاذ التدابير لمقاومة اعمال اليهود في الداخلوالخارج»٠ ودعا الى «تقديم الاحتجاجات» والى « ردع اليهود عـــن تكرار اعتداءاتهم ، وجعلهم يمتنعون عن التعرض لسكـان الحي من اخواننا المسلمين »٠

وأضاف البيـــان انــه : « قـد اعتدى اليهــود في الآونة الاخيرة على جماعة من المسلمين المجاورين بحضورالضابط اليهودي فرفعت الدعوى امام القضاء ٠٠٠»

ولقد قامت لجنة الدفاع عن حائط المبكى باصدار بيان مماثل بعنوان « نداء الى شعب اسرائيل في جميـع انحـــاء العالم » جاء فيه :

« لئن سكتنا او اعتمدنا على سياسة زعمائنا خسرنـا

حائط المبكى ، ذلك المقام الوطني المقدس ، الذي هو من انفس مقتنياتنا ».

واضاف البيان :

« هلموا الى مساعدتنا ، وعاونونا في هذا الكفاح العادل لاسترداد هذا الحائط ، ولا شك ان النصر سيكون حليفنا ».

وقامت يوم ١٤ ـ ٨ ـ ١٩٢٩ مظاهرة في تل ابيب اتخذت قرارات منها « عزل موظفي حكومة فلسطين الذين غايتهم الجلية احباط انشاء دولة يهودية في فلسطين خلافا لاحكام صك الانتداب » . وقد علت الهتافات عند انفضاض الاجتماع :« الحائط حائطنا ».

وجرت مظاهرة في القدس ، في اليوم التالي لاعلان قرارات مظاهرة تل ابيب . وبعد ان تليت القرارات عند الحائط رفع العلم وانشد نشيد « هاتيكفا » وعلت الهتافات « الحائط حائطنا » .

وخرجت مظاهرة ، بعد صلاة الجمعة يوم ١٦ ـ ٨ ، وتوجهت الى الحائط ، فقلبت منضدة الشماس اليهودي ، «ودفع الشماس ... ومزقت ثيابه» كما يقول التقرير : « واخرجت الاسترحامات التي وضعها المصلون اليهود في خروق الحائط واحرقها الجمع ، كما احرق بعض الكتب وصحائف الصلاة ».

وكان الجو يوم الجمعة ٢٣ـ٨ ينذر بالخطر ، ولذلك

عمد الخطباء خلال صلاة الجمعة بالحرم ، الى محاولة تهدئة الجماهير « ولكن بعض الحضور صعدوا المنبر ودعوا الجمع الى عدم الاهتمام بما قاله الخطباء ، لانهم غير مخلصين لقضية المسلمين» ٠

وخرج الجمع المحتشد في المسجد حوالي الساعة١٢،٣٠ ظهرا،وبدأت الاشتباكات الدموية٠ وفعل اليهود بالعرب،كما فعل العرب باليهود ، مع ان العرب هم الذين كانوا البادئين ، كما يقول التقرير ٠ واصدر المفتي ، الحاج امين الحسيني يوم ٢٤ـ٨ـ٢٩ بيانا جاء فيه :

« وبناء على ذلك ، ورغبة في حقن الدماء وصيانة الانفس نطلب منكم ايها العرب ، باسم مصلحة البلاد التي تهمكم قبل كل اعتبار ، ان تعملوا جميعا باخلاص لحسم الفتنة وحقن الدماء وصيانة الارواح ، ونرجو منكم الاخلاد للسكينة والهدوء وبذل الجهد في المساعدة على اقرار الامن وعدم الاصغاء الى مثل هذه الاشاعات والاراجيف المختلقة ٠٠٠ »٠

وكان من رأي لجنة التحقيق :

« ان تظلمات العرب السياسية والاقتصادية التيأوضحت لنا في معرض البينة ، يجب ان تعتبر بانها اسباب مباشرة لاضطرابات اب الماضي »٠

وقد قدم تقرير لجنة التحقيق الكثير من المعلومات حول اسباب الصدام ، وكان من النتائج التي وصل اليها :

« ان الادعاءات والمطالب التي قدمت من جانب الصهيونيين بشأن مستقبل المهاجرة اليهودية الى البلاد ، أدت لدرجة ما الى اثارة المخاوف في نفوس العرب»(١٥٣) ٠

واتضح للجنة التحقيق الملكية سنة ١٩٣٧ ان العوامل الداخلية لم تكن :« هي الوحيدة التي أدت الى وضع حد فجائي سنة ١٩٢٩ لفترة السلام التي كانت سائدة حتى ذلك الحين ، اذ ان العوامل الخارجية لعبت دورها في هذا المضمار ، فتوسيع الاسس التي ترتكز اليها الوكالة اليهودية لم يفت انظار العرب ، اذ انهم ادركوا أن هذا التوسيع معناه ازدياد ضغط اليهودية العالمية على فلسطين وازدياد القوى المادية التي تدعم هذا التوسيع ٠ وقد رأوا بأم اعينهم ايضا أن هذا التوسيع أحيا روح الثقة بالنفس ، ان لم نقل روح العداء في نفوس سكان الوطن القومي الذين هم اقل من سواهم ضبطا لعواطفهم »٠ (١٥٤) ٠

وهنالك اكثر من مرجع يشير الى ان التحديات الصهيونية كانت سبب الصدامات ٠ وسنذكر هنا مرجعين فقط ، أولهما نابنشو قنصل الولايات المتحدة الاميركية في القدس ٠ وثانيهما الكولونيل كش رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية في فلسطين ٠ كتب نابنشو يقول في برقية الى وزارة خارجية الولايات المتحدة في اليوم الثاني لبدء

---

١٥٣ ـ لجنة التحقيق (شو) : **المرجع السابق** ، الصفحات ٣٩ ، ٤٠، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٢٥ ، ١٤٧ ٠

١٥٤ ـ اللجنة الملكية : **المرجع السابق** ، ص ٨٦ ٠

الصدامات : « ان تعديات العرب على اليهود سبقتها تحديات من اليهود للعرب » (١٥٥) ٠ اما الكولونيل كش فانه يعتبر قرار الحكومة بالسماح للموكب اليهودي بالمرور الى حائط المبكى خاطئا ، كما انه يتهم الشاب الذي رفع العلم الصهيوني الى جانب حائط المبكى بانه فعل ذلك « دون شعور بالمسؤولية » (١٥٦) ٠ ويحاول كش بالطبع ان يوهم القارىء أن المظاهرة لم تكن مدبرة ، وبأن رفعة العلم لم تكن جزءا من المخطط المقرر ، الذي انكشف سره في مظاهرة اليوم السابق في تل ابيب ٠

نتائج صدامات سنة ١٩٢٩ :

وقد أدت صدامات ١٩٢٩ الى النتائج التالية :

اولا : الى قطيعة اقتصادية بين العرب والصهيونيين ، ومع ان الصهيونيين كانوا قد لجأوا الى سياسة الانغلاق ، الا انهم كانوا يعملون على ان تبقى الاسواق العربية مفتوحة امامهم ٠ وكان ان اتخذ العرب قرارات بالمقاطعة ، قبل هذا التاريخ ، ردا على سياسة الانغلاق الصهيونية ، ولحماية صناعاتهم ومنتجاتهم ، وحتى لا يستفيد الصهيونيون من التعامل ، وقد ساعدت وقائع سنة ١٩٢٩ على التوسع في تطبيق قرارات المقاطعة ٠

ثانيا : تعميق هوة الخلاف بين العرب واليهود ،

١٥٥ ـ مانويل ، فرانك أ : **المرجع السابق** ، ص ١٧٠ ٠

١٥٦ ـ Kisch, L. Col F. H. : *Ibid.*, p. 250.

وزيادة حدة الصراع ، لان هذه الصدامات زادت من احساس العرب بالخطر ، كما زادت من احساس اليهود ، كما ان هذه الصدامات اثارت فزع الحركة الصهيونية والاوساط الصهيونية التي بدا لها ان احلامها اخذت تتحطم على صخرة الواقع ٠

ثالثا : اضطرار السلطات البريطانية الى اصدار الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٠ ، الذي قابلت الاوساط العربية صدوره « بشيء غير قليل من الارتياح لانها ظنت انه قد يكون بادرة لعودة الانكليز الى شيء من الحق ، وقد يكون فيه ضمان لكيان العرب الذي اخذ تيار الهجرة وبيوع الاراضي يهدده بالخطر العاجل » (١٥٧) ٠

ولقد أثار الكتاب الابيض المذكور نقمة الصهيونيين وسخطهم ، كما اثارهم كتاب سنة ١٩٢٢ ، فقاموا بحملات الاحتجاج والاتصالات السياسية حتى ألغوه ٠

ملاحظات عامة :

نستطيع ان نلخص الخطوط العامة في هذه الفترة بما يلي :

اولا : حاولت القيادة الوطنية ان تراهن على كسب مودة بريطانيا ، فعملت كل ما تستطيع من اجل تحقيق هذا الهدف ٠ وكان من بين ما قامت به محاولة اقناع السلطات

....

١٥٧ ــ دروزة ، محمد عزة : المرجع السابق ، ص ٧٣ ــ ٧٤ ٠

البريطانية بأن ما تريده الحركة الوطنية لا يتعارض مع مصلحة بريطانيا • وكانت القيادة حريصة على الامن والنظام والهدوء والاستقرار • وعلى ممارسة اعمالها ضمن اطار الشرعية • ولذلك فقد نص العهد القومي على ان يتم النضال بالوسائل المشروعة •

ولقد تفاءلت القيادة الوطنية كثيرا بأنصارها الكثيرين في حزب المحافظين « الذين كانوا متفائلين جدا بعد ان انتقل امر الوزارة الى الحزب المحافظ ، وقرروا توجيه حملة صحفية جديدة وقوية في الصحف والنوادي بشأن قضية فلسطين وضرورة حلها على وجه عادل يتفق مع العهود المقطوعة للعرب » (١٥٨) •

ولم تتوان اللجنة التنفيذية العربية في بيانها بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لدخول الجيش البريطاني الى بيت المقدس في ٩-١٢-٢٩ من ان توازن بين العرب واليهود من وجهة نظر مصلحة بريطانيا • فالشعب الفلسطيني : « يرجو ان يدرك الرجال المسؤولون ان مصالح بريطانيا العظمى في الشرق لا تصان بمصانعة افاقي اليهود ، ارضاء لبضعة افراد من متموليهم في بريطانيا العظمى ، بل بمصادقة الامة العربية صاحبة الشأن الاول والاكبر في الشرق الاوسط، والتي على صداقتها يجب ان تشاد علاقات

١٥٨ ـ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، المرجع السابق ، ص ٧٠ •

بريطانيا بالشرق ، سواء اليوم او في مستقبل الايام » (١٥٩) ٠

وكان من نتيجة هذه السياسة التي اتبعتها الحركة الوطنية العربية في فلسطين ، والتي سعت الى قلب السلطةالبريطانية ، ان اعتبر بعض المحللين ان « ثورات العرب في ١٩٢٠ حتى عام ١٩٢٩ لم تكن بسبب تخوفهم من اليهود ، فما كان في يهود فلسطين حتى عام ١٩٢٩ ما يخيف وما ينذر بخطر ، وانما كانت الثورة لغاية اخرى هي اثبات أن العرب اقوى من اليهود وأصلح لان يعتمد عليهم الانكليز » (١٦٠) ٠ وذهب محللون اخرون الى ان انتفاضات العرب ضد اليهود هي من صنع بريطاني(١٦١)٠ وهذا ما سنناقشه فيما بعد ٠

ثانيا : وجهت الحركة الوطنية العربية في فلسطين ، حتى هذا التاريخ الجهد الرئيسي في هجومها ، نحو مشروع الوطن القومي والمؤسسات المنبثقة عنه ٠

وكتب وندهام ديدس الى شوكبرغ رسالة في ٢٢ـ١١ـ٢١ يؤكد فيها على هذه الناحية قائلا:«ان السياسة التي نحاول تنفيذها ، كما عرفنا ذلك ، سياسة غير مستحبة من العرب ، غير انه خلال التسعة أشهر او السنة التي

---

١٥٩ ـ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق : **المرجع السابق** ، ص ١٦٤ ٠
١٦٠ ـ مانويل ، فرانك أ : **المرجع السابق** ، ص ١٦٩ ٠
١٦١ ـ شليشتر ، أ : الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة ١٩٢٩ في فلسطين ، مجلة **دراسات عربية** ، السنة السادسة ، العدد ١٠ آب ، ١٩٧٠ ص ٣٦ ٠

أنقضت كان الكره بأشده ينصب على الصهيونيين » (١٦٢)·

وقد أدى هذا الجهد الى :

ب ـ الحاق الاضرار بالمستوطنات الصهيونية ·

ب ـ الحاق الاضرار بالمستوطنات الصهيونية ·

جـ ـ اجبار بريطانيا على تخفيف اندفاعها في طريق سياسة الوطن القومي ·

ولقد اضطر وايزمن لان يعترف بان صدامات القدس سنة ١٩٢٠ كانت صدمة عنيفة للعالم اليهودي ، كما انها خلقت الخشية من اعادة النظر في السياسة البريطانية بفلسطين (١٦٣) ·

ولقد فرضت هذه الصدامات على السلطة البريطانية ان تنظر بنوع من الاهتمام ، او لنقل المداراة ، الى المطالب العربية · كما ان مصادر سياسية هامة اخذت تشعر ان الصهيونية فشلت في فلسطين ما بين ١٩٢٠ و ١٩٣٠ · ولقد اثبت اليهود «حتى ذلك الوقت انهم لا يصلحون للوقوف أمام العرب » (١٦٤) ·

ثالثا : ثابرت قيادة الحركة الوطنية خلال هذه الفترة (١٩١٩ ـ ١٩٢٩) على المطالبة بالاستقلال ، ضمن سورية

---

١٦٢ ـ دورين انغرامز ، **المرجع السابق** ، ص ١٤٦ ·

١٦٣ ـ Weizmann, Chaim, *Ibid* p. 261

١٦٤ ـ مانويل ، فرانك أ : **المرجع السابق** ، ص ١٦٩ ·

الموحدة اولا ، ثم دونها بعد سنة ١٩٢٦ ، والغاء وعد بلفور واقامة حكم نيابي ولم يكن لشعار الاستقلال مضمون محدد ، وان كان يشبه بالاستقلال في سورية وشرق الاردن والعراق (١٦٥) · ويجري الحديث عنه مشفوعا بالحديث عن معاهدة احيانا · وكان يجري الحديث عن الاستقلال في احيان اخرى من خلال الحديث عن اشتراك المواطنين في الحكم ، مع بقاء المندوب السامي ، ليعدوا للاستقلال تدريجيا (١٦٦) ·

رابعا : كان موقف الحركة الوطنية العربية في فلسطين من اليهود يتلخص بالتالي :

أ ـ اليهود المواطنون ولهم حق المشاركة في الحكم المستقل بنسبتهم الى عدد السكان ، وكانوا يسمون «سكان الوطن الاصليين» · وعدد هؤلاء لا يزيد عن العشرين الفا « وليس في يد جميعهم من الاراضي اكثر من واحد في المائة » · وهؤلاء هم الذين قطنوا فلسطين قبل الحرب ، أي ان المهاجرين الذين وفدوا بعد الحرب لا حق لهم بالمشاركة في الحكم ·

ب ـ الهجرة يجب ان تتوقف لانها تهدد باستئصال الشعب الفلسطيني ، ولهذا فان مسألة المهاجرة

---

١٦٥ ـ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، المرجع السابق ، ص ١١٢ ـ ١١٣ ·

١٦٦ ـ علوش ، ناجي : المرجع السابق ، يراجع الفصل الثاني ٣٧ ـ ٧٢ ·

يجب ان تبقى في يد الشعب الفلسطيني · « فاذا كانت سياسة المهاجرة الصهيونية مضرةبالاهالي، فعندئذ وجب على الاهالي ان يديروها بطريقة هي في صالحهم ، وليس في صالح اليهود »· وهـذا حق من حقوق «أهالي فلسطين» الذين لا يمكن ان يعترفوا ، ولن يعترفوا بأن هنـاك حقـا لهيئة غريبه عنهم ان تنزع حقوقهم في بلادهم ، وتهدد كيانهم القومي سياسيا واقتصاديا (١٦٧) ·

ج ــ اعترضت الحركة الوطنية على استخدام العبـرية لغة رسمية ، وذلك لانها «لم تستعمل منذ اجيال في فلسطين الا عند بعض اللغويين» وانه في الحقيقة « لا يوجد اربعة الاف بين يهود فلسطينيستعملون هذه اللغة كلغتهم البيتية والعادية » · ولهـذا لا بـد من « الاكتفاء باللغة العربية واعتبارها اللغـة الرسمية الوحيدة في البلاد » (١٦٨) ·

د ــ اثارت قيادة الحركة الوطنية موضوع الهجـرة اليهودية ودخول البلشفية الى البلاد · فاليهـود الذين « يؤمون فلسطين ينشرون مبادىء البلشفية في البلاد ، ويسببون وقـوع الفتن فيهـا » · امـا تصريح بلفور فستكون له اثاره في الشرق التي

....

١٦٧ ــ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، الصفحات ٢ ، ٦ ، ٢٦ ، ٣٦ ·

١٦٨ ــ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، ص ٣٥ ، ٩٢، ٧٤ ·

« من اولها جلب البلشفية ، كما ظهر ذلك في فلسطين من الاعمال والنشرات اليهودية البلشفية » (١٦٩) · ولم تكن للشيوعية جذور في هذه المرحلة بين العرب ، كما سنرى في الفصل الخاص عن الشيوعيين ومواجهتهم لمشكلة اليهود والصهيونية ·

خامسا : وكان موقف اليهود من العرب محكوما بالعوامل التالية :

أ ـ انهم يطرحون فكرة وطن قومي في فلسطين ، تقوم على اساس السماح لهم بالمهاجرة والاستيطان حتى يصبحوا الاغلبية ، ثم يقيمون دولتهم ، وكانت هذه الفكرة تثير في المواطنين العرب الرعب ، لانها تجعلهم واثقين ان مصيرهم اما أن يكونوا لاجئين هائمين أو أذلاء خاضعين ·

ب ـ انهم يرفضون الاستقلال مؤقتا ، ويصرون على وجود الاحتلال البريطاني ، كي يؤمن لهم الحماية ، ويتيح لهم ان يصبحوا الاكثرية في البلاد ·

ج ـ انهم لا يعترفون للشعب الفلسطيني بحقه في تقرير مصيره ، ولا يعترفون له بحقه في وطنه ، وانهم

١٦٩ ـ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، ص ١٩ ·

مصممون على التنكر لوجوده الفيزيقي ولوجوده السياسي والوطني ·

د ـ انهم يمثلون جسما اجنبيا غريبا ، وقوة تدعمها الرأسمالية الصهيونية العالمية ، وقوى استعمارية كبرى مثل بريطانية ·

هـ ـ ان اهدافهم كانت على تناقض تام مع اهداف الحركة الوطنية العربية والجماهيرية ، ولم يكن ممكنا الجمع بينهم وبين الحركة الوطنية العربية، لا مرحليا ولا على المدى البعيد بسبب من هذا التناقض الحاد والمطلق ·

وكان الصهيونيون يعتقدون ان مقاومة العرب ستضعف نتيجة عاملين :

الاول : وقوف السلطة بصراحة مع الحركةالصهيونية ، دون تردد ، ولا مواربة ، وكانوا يعزون تصلب العرب الى تهاون السلطة · ولقد كتب الكولونيل كش في اوائل العشرينات :« انه ليس مفاجئا ، انه في هذا النضال غير المتكافيء ، وفي الغياب المستمر لاى تشجيع من الحكومة ، ان يقنط اصدقاؤنا بين العرب ، وان يرتدوا » (١٧٠) ·

الثاني : استفادة العرب من التقدم الذي ينتج عن الاستيطان الصهيوني · ولقد عول الصهيونيون على هذه

---

١٧٠ ـ Kisch, Lt. Col. F. H. : *Ibid.*, p. 20.

الموضوعة كثيرا ، وكانوا مقتنعين بصحتها ، وتأملوا « ان يكون للفوائد الاقتصادية العائدة الى العرب من العمل والاستثمار اليهوديين في فلسطين سيكون لهاوزنها»(١٧١)٠

ولذلك فقد حاولت الحركة الصهيونية ان تضلل العرب، باقناعهم ان المشروع الصهيوني يعود بالفائدة عليهم ، وبأنه لا يمس حقوقهم ٠

ويروي الكولونيل كش ان وايزمن اختاره لرئاسة اللجنة التنفيذية في فلسطين ، لان هناك « حاجة ملحة لجهد منظم باتجاه المصالحة مع العرب » ٠ وقد اجرى الكولونيل كش اتصالاته في هذه المرحلة ٠ وهو يتحدث عنها في مذكراته ٠ لقد زار نوادي واتصل باعضاء في قيادة الحركة الوطنية وبوجهاء وباناس عاديين ٠وكان يركز على النقطتين السالفتي الذكر ٠ ولكن الكولونيل كش يعترف بانه يريد التفاوض مع المعتدلين ، ويريد من المؤتمر الصهيوني ان يضعه او يضع خلفه في وضع يمكنه حقا من « التفاوض مع المعتدلين العرب » ٠ ولكنه يضع شرطا لذلك ٠ وهذا الشرط ان يستبدل هؤلاء المعتدلون « بموسى كاظم وشركته ، باعتبار انهم القادة المعترف بهم للرأي العام الغربي في البلاد »٠

ويكتب كش في يوليو (تموز) ١٩٢٥ :

« لقد اعلمت المجلس في تقريري السياسي انني اعدت النظر في تقريري الاولي ، بعد ثلاث سنوات من الدراسة ،

....

١٧١ـ Kisch, Lt. Col. F. H. : *Ibid.*, p. 20.

ووصلت الى استنتاج انه من غير المفيد السعي الى تفاهم سياسي مع القادة العرب الحاليين المتطرفين »٠

ويضيف :

« ان تفاهما سياسيا سيتم الوصول اليه اخيرا ، بعد ان يقنع العرب تقدمنا ومثابرتنا ان الوطن القومي يجب ان يعتبر امرا واقعا » ٠

ويذكر كش انه تقرر ، بعد احداث سنة ١٩٢٩ ، ان يعد بن زفي كراسا مبسطا « يفند فيه المزاعم الزائفة التي اصطنعت ضد اليهود ، ويوضح رغبتنا في الصداقة مع العرب » لكي يوزع على القرى العربية ٠

ويذكر كش ايضا ان حديثا جرى بينه وبين السير جون هوب سمبسون حول « امكانيات اجتماع القادة العرب واليهود معا لايجاد اتفاق سياسي » وانه اخبر سمبسون ان « السبب الرئيسي لكون هذا مستحيلا حتى الان هو الطريقة التي استفاد بها المفتي من مركزه لارهاب اي عربي يبدي رغبة في الوصول الى تفاهم معنا » ٠ وذكر كش هنا مثلين: احدهما يتعلق بالفتوى التي اصدرها المفتي سنة ١٩٢٢ بحرمان الذين يشاركون في انتخابات المجلس التشريعي من الدفن في مقابر المسلمين ، وثانيهما ان احد المرموقين اخبره انه اضطر للمشاركة في حملة البراق نتيجة تحويل المفتي القضية الى قضية وطنية ٠

وأضاف كش قائلا :

« وأبديت وجهة النظر في انه اذا جرد المفتي من صلاحياته ، فقد يكون لنا في مثل هذه الاحوال مؤتمر مائدة مستديرة (وربما كان مؤتمرا ناجحا) خلال ستة اشهر او سنة ».

كان هذا في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٠ ، اما في ديسمبر (كانون الاول) من العام عينه فقد كان رأيه :

انه غير قادر على ان « يدل على الطريق الى الاجراءات العملية التي من المحتمل ان تحمل اية فائدة في الجو السائد » (١٧٢) .

ولقد اخطأ الصهيونيون ، حين ظنوا القضية قضية نفر من « المتطرفين » ، وزادوا خطأ عندما اعتبروا ان المفتي هو مشكلتهم ، لان المفتي والقيادة التي كان يقودها كانوا يمثلون الاعتدال والشرعية والمساومة في الواقع وفي نظر الجماهير . كما ان الصهيونيين اخطأوا حين اعتبروا الازدهار الاقتصادي الذي سيجلبه الاستيطان وسيلتهم الى قلوب العرب ، لان الاستيطان كان يسوق الازدهار للقلة ، ولكنه يدمر الكثرة ، ولان المشكلة الاساسية كانت من يحكم ، وفي هذا لم تكن حتى الطبقة المستفيدة مستعدة للتنازل للحركة الصهيونية ، وان كانت مستعدة للتفاهم مع الاحتلال البريطاني .

---

١٧٢ ـ Kisch, Lt. Col. F. H. : *Ibid.*, p.p. 116, 194, 259, 260, 308, 361.

سادسا : عرفت هذه الفترة اشد الهجمات الموجهة الى المستوطنات الصهيونية والى الوجود اليهودي ـ الصهيوني في فلسطين ، وكان الهجوم الرئيسي في هذه الفترة موجها ضد المشروع الصهيوني ، ولكن المراجع كلها تجمع على ان العداء للصهيونية لم يكن عداء لليهود ، وانه ليس شكلا من اشكال العداء للسامية Anti-Semitism وبامكاننا ان نذكر عددا من الامثلة · اول هذه الامثلة ان فرنسيس املي نيوتن التي قضت خمسين عاما في فلسطين تذكر في كتابها :« خمسون عاما في فلسطين » تعليقا على احداث ١٩٢٩ :« ان الناس كانوا يفرقون بين الصهيوني واليهودي » (١٧٣) · اما يل فكتب الى وزارة خارجية الولايات المتحدة سنة ١٩١٨ مبينا « ان عداء العرب لليهود هو شيء في طبيعة الناس الذين يريدون المحافظة على وطنهم » (١٧٤) · ويذكر تقرير اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ ، وهو ما اشرنا اليه سابقا :« ان النزاع ليس في جوهره نزاعا عنصريا ناشئا عن كره قديم ، يكنه العرب نحو اليهود » (١٧٥) ·

وتفيد المراجع حقيقتين اخريين :

أولاهما : ان العرب كثيرا ما قاموا بحماية اليهود خلال الصدامات · ويذكر أدوين صموئيل في مذكراته ، عندما

---

١٧٣ ـ نيوتن ، فرنسيس املي : **المرجع السابق** ، ص ١٣٩ ·
١٧٤ ـ مانويل ، فرانك أ : **المرجع السابق** ، ص ١٠٥ ·
١٧٥ ـ اللجنة الملكية ١٩٣٧ : **المرجع السابق** ، ص ١٧٢ ·

يتحدث عن احداث ١٩٢٩ ان « بعض اليهود التجأوا الى البيوت العربية القريبة ، وسلموا في معظمهم...» (١٧٦).

ثانيهما : ان علاقات يومية ، وعلاقات عمل كانت تقوم بين العرب واليهود ، وان كثيرا من هذه العلاقات كانت تستمر في اشد الحالات توترا . ويذكر الكولونيل كش ، وهو يعلق على زيارة له لطبرية سنة ١٩٢٣ :

« هنا يعيش اليهود والمسلمون والمسيحيون متجاورين بعضهم مع البعض الاخر ، وليس في احياء منفصلة ، ويبدو العرب باستثناء شخص او شخصين انهم على علاقات صداقة حقيقية مع اليهود » . ويروي كش حديثا دار بينه وبين كلايتون الذى اخبره « انه وجد ان المستوطنات اليهودية والقرى العربية تتحدث بصوت واحد ، واحيانا من قاعة واحدة ».

ويروى كلايتون ، كما يقول كش :« انه زار واحدة من مستعمراتنا ، ولكنه وجد ، وكان ذلك مفاجئا له ، حشدا مختلطا من اليهود والعرب الذين القوا خطابات باللغات الثلاث حول المسائل الزراعية ...» (١٧٧) .

ويذكر الدكتور الكس بيين الذى عمل مع ارثر روبين : « ان القرى اليهودية اقامت علاقات صداقة مع القرى العربية المجاورة . وجرت المحافظة في الكثير من الحالات

---

١٧٦ _ Samuel, Edwin : *A Life Time in Jerusalem*, p. 107.

١٧٧ _ Kisch, Lt. Col. F. H. : *Ibid.*, p. 73.

على هذه العلاقات دون انفصام ، حتى عندما كان التوتر يبلغ أوجه ...» (١٧٨) .

ولكن لا هذه العلاقات اليومية ، ولا ابتعاد العرب عن معاداة اليهود بطريقة مناهضة السامية ، ولا المحاولات التي بذلها القادة الصهيونيون ولا النضال المشترك في القضايا الاقتصادية ، كانت تستطيع ان تقيم علاقات صحيحة وسليمة .

فما هو سبب الفشل اذن ؟

ولماذا « لم تجيء هذه المحاولات ، ولا اية محاولات اخرى بفوائد دائمة » كما يقول الدكتور الكس بيين .

ان الدكتور الكس بيين يفسر فشل هذه المحاولات بانه يعود « جزئيا الى كونها اعمالا معزولة ، والى حقيقة ان اليهود لم يتابعوا سياسة محددة ومستمرة في القضية العربية، واقل من ذلك الانجليز ».

ويضيف بيين :« ان الحركة الوطنية العربية كانت قد ابتدأت تأخذ شكلها فقط ، ولهذا فان قوة نموها لم تقدر التقدير المناسب ، بينما لم تتطور هذه الحركة من جهة اخرى تطورا كافيا لتعترف باتفاقية حقيقية عقدتها»(١٧٩).

ويتجاهل بالطبع هذا التفسير «قضية الوطن» وطبيعة الناس الذين يدافعون عن وطنهم امام استعمار استيطاني اجنبي .

---

١٧٨ – Bein, Dr. Alex : *Ibid.*, p. 425.

١٧٩ – Bein, Dr. Alex : *Ibid.*, p. 425.

تحول كبير وثورة كبيرة :

بدأ تحول في اتجاه سياسة الحركة الوطنية العربية في فلسطين منذ سنة ١٩٣٠ ويتلخص هذا التحـــول في ان الحركة الوطنية في فلسطين أخـذت ، بعد سنة ١٩٣٠ تـزداد عداء لسلطات الاحتلال البريطاني • وكانت هنالك مجموعـة من العوامل تدفع في هذا الاتجاه ، وهذه العوامل هي :

اولا : اضطرت قيادة الحركة الوطنية الى اتخاذ موقف اكثر تشددا من سلطـــات الاحتـــلال البريطانـــي ، لان سلطات الاحتلال البريطاني كانت مصرة على الاندفاع في غيها وراء السياســـة الصهيونيـــة • ولقد حاولت القيادة الوطنية ان « تحيد » سلطات الاحتلال البريطاني لم تفلـــح وحين صدر الكتاب الابيض سنة ١٩٣٠ ، عادت الحكومـة البريطانية فالغته •

وكان هذا يعني ان الاستمرار في سياسة الهجوم علـى المشروع الصهيوني ، ومحـاولة تحييد سلطـات الاحتـــلال سياسة غير عملية ، لان سلطات الاحتلال البريطاني هـــي التي تحسم الامر في النهاية • فاذا كانت الهجمات علـى المشروع الصهيوني تستهدف ايقاف الهجرة والسلطـــــة البريطانية تسمح بها باتت القضية قضية سلطات الاحتـلال البريطاني ، لانها هي التي تعطي ، وهي التي تسلب •

وكانت الجماهير ، نتيجة سياسة بريطانيا الاستعمارية ـ الصهيونية ، تزداد حقدا على هذه السياسة • ولم تكـــن مقتنعة باتجاه قيادتها الى المساومة • ولقـــد اخـــذت

الاحداث منذ سنة ١٩٢٩ تزيد هذه الحقد اشتعالا . ولم تكن قيادة الحركة الوطنية قادرة على الوقوف في وجه المد الشعبي **المتصاعد** .

ولهذا فقد اخذت الحركة الوطنية تزداد تشددا وتصلبا في مواقفها من سلطات الاحتلال البريطاني .

وبدأ هذا التصلب بما يشبه العتب ، ذلك ان اللجنة التنفيذية العربية اصدرت تصريحا في ١٥ـ١٦ـ٣٠ بمناسبة اجتماع الحكومة البريطانية مع القادة الصهيونيين لتفسير الكتاب الابيض « اعربت فيه عن خشيتها من « ان يكون التفسير داعيا ليأس العرب من حسن نوايا الحكومة بخصوص المحافظة على الاراضي القليلة الباقية بأيديهم والمهاجرة اليهودية » (١٨٠) . واللجنة التنفيذية تتصرف هنا وكأن الحكومة البريطانية اثبتت « حسن نواياها » في السنوات الماضية ، وهي تخشى ان تفسد اعادة تفسير الكتاب الابيض ما اثبتته تجارب السنوات الماضية .

وحين أصدرت اللجنة التنفيذية ردها على الكتاب الابيض في كانون الاول سنة ١٩٣٠ ، اعربت عن اسفها لان الحكومة البريطانية « نقضت هذا الميثاق » (١٨١) .

---

١٨٠ ـ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق : **المرجع السابق** ، ص ١٩٠ ، الوثيقة ٨٢ .

١٨١ ـ كيالي ، عبد الوهاب ، وثائق : **المرجع السابق** ، ص ٢٢٨ ، الوثيقة ٨٣ ، ص ١٩١ .

وأصدرت بريطانيا بيانا تفسيريا للكتاب الابيض « تضمن نسخا تاما لجميع ما جاء في «الكتاب الابيض» ... في مسائل الاراضي والمهاجرة ، ويزيد عليه حقوقا سياسية واجتماعية جديدة لليهود لم تكن منحت لهم من قبل » . وبدأت ، بعد صدور هذا البيان ، عملية احتجاجات واسعة النطاق على السياسة البريطانية (١٨٢) .

وعقد في ١٨ ـ ٩ ـ ٣١ مؤتمر في نابلس ، كان من قراراته :

« ما دامت الحكومة الانكليزية تدير هذه البلاد ادارة مباشرة ، فان كل سياسة تتعلق بتعاون العرب مع الحكومة تكون سياسة فاشلة ، الامر الذي ثبت تماما في مدة الثلاث عشرة سنة الماضية ، لذلك اصبح من واجب اللجنة التنفيذيةالعربية والهيئات الوطنية في البلاد ان تفهم الحقيقة وتترك هذه السياسة الفاشلة ، وأن لا تتفاهم مع الحكومة الا على اساس المطالبة بالاستقلال ضمن الوحدة العربية ، او ما يوصل الى هذا الاستقلال من المشاريع السياسية والاقتصادية » (١٨٣) .

ونشأ في هذه الاثناء حزب الاستقلال (تموز ١٩٣٢) ، فانتهج خطا معاديا للاستعمار البريطاني ، واعتبره

....

١٨٢ ـ كيالي ، عبد الوهاب ، وثائق : **المرجع السابق** ، ص ٢٢٨ ، وثيقة ٨٤ ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ، وثيقة ، ٨٦ .

١٨٣ ـ كيالي ، عبد الوهاب ، وثائق : **المرجع السابق** ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، ، الوثيقة ٩٣ .

«أساس البلايا وسبب الرزايا» ، كما اعتبر ان « الممالئين للانجليز كالممالئين للصهيونية » • وكان الحزب في بياناته يصر على مقاومة الاستعمار «أصله وفرعه» ، كما كان يقرن دائما مقاومة الاستعمار البريطاني بمقاومة الصهيونية • ولكن الاستعمار البريطاني هو الاصل ، والصهيونية هي الفرع • ولهذا فقد هاجم الحزب سياسة التهافت على مآدب الصهيونيين والانجليز لان « مسايرة هذه السياسة من جانب رجال العرب ، ستحمل المستعمر على الاعتقاد بضعف روح المقاومة الوطنية فينا ، وتطمعه في الاستمرار على الاساليب الاستعمارية والصهيونية التي اشتدت اخطارها ، وهددت كيان العرب القومي والاقتصادي والاجتماعي ، كما هو مشاهد كل يوم بالفعل والواقع » (١٨٤) •

أخذت روح مقاومة الاستعمار البريطاني تتبلور وتنمو ، وحين انعقد الاجتماع الشعبي في دار اللجنة التنفيذية في يوم ٢٦-٢-١٩٣٣ لبحث مشكلتي الهجرة وبيوع الاراضي ، تحدث الشيخ عبد القادر المظفر قائلا : « ان الخطط السلبية لا تفيد ، فلا بد ان نضع خططا ايجابية لحمل الحكومة على سن قوانين لمنع الهجرة وبيوع الاراضي ، فالبلاد مهددة بالخطر والواجب يقضي بان نحول دون وقوع الكارثة ••• » •

١٨٤ ـ علوش ، ناجي : المرجع السابق ، ص ٨٩ ـ ٩٥ •

وطالب بعض المشاركين في الاجتماع « بالامتناع عن دفع الضرائب ومقاطعة اليهود والبضائع الانكليزية » . كما طرح احد المشاركين ان يبحث في الاجتماع التالي موضوع « العصيان المدني » .

ولقد تقرر في هذا الاجتماع « ان يرفضوا سياسة التعاون مع الحكومة ، ويمتنعوا عن حضور اجتماعات المجاملة في المآدب والحفلات والاعياد مع رجال السلطة الانكليزية ».

وأصدرت اللجنة التنفيذية بيانا يوم ٢٢ـ٣ـ١٩٣٣ ، تحدثت فيه عن مقابلة وفد من اللجنة مع ممثل الحكومة « لعلهم يحسون منه برغبة في انصافهم او ميل الى رفع هذا الارهاق ، فهالهم ان سمعوا منه اقوالا تدل على انه مصمم على الامعان في تنفيذ تلك السياسة ، مناقضا بذلك اقتراحات لجنة التحقيق والخبراء البريطانيين ».

ويضيف البيان :

« ان هذا يدعو المجتمعين الى ان يصارحوا الحكومة وممثلها بان البلاد قد عرفت نواياها حق المعرفة ، ووقفت على ما تبتغيه هذه السياسة التي يتبعونها من تمهيد السبل لاجلاء هذه الامة عن بلادها واحلال الغرباء محلها ، وانها لن ترجو من هذه الحكومة خيرا ، ومن تعسفها نجاة ، ولن تنظر اليها الا نظرها الى الخصم الحقيقي الذي يجب التخلص منه بكل طريقة مشروعة ».

قررت قيادة الحركة الوطنية المقاومة ، ولكن « بكل طريقة مشروعة » ، ولكن لا بأس ما دامت سياسة المقاومة قد بدأت · ولقد بدأت المقاومة باقرار مبدأ اللاتعاون ، بحث هذه القضية اجتماع يافا الكبير يوم ٢٦ـ٣ـ١٩٣٣ ، وقرر هذا المؤتمر الوطني :« تقرير مبدأ اللاتعاون والمباشرة بتنفيذ اولى درجاته منذ الان ، كمقاطعة الحفلات والمجاملات مع الحكومة ومقاطعة لجان الحكومة ومقاطعة البضائع والمصنوعات والمتاجر الصهيونية »· واصدر رئيس اللجنة التنفيذية ، بعد اسبوع بيانا حول مقاطعة الحفلات الرسمية واللجان الحكومة (٣ـ٤ـ١٩٣٣) ، ذكر فيه ان الامة قررت ذلك في مؤتمر يافا الكبير (٢٦ـ٣ـ٣٣) · ولذلك :« يجب على كل فرد من افراد هذه الامة أن يقوم بتنفيذ هذا القرار ، بالنسبة لنفسه ، تأييدا لها ورفعا لكلمتها في جهادها القومي » · و « لقد انقضى زمن الهوادة وجدّت الامة في تنفيذ مقرراتها واحترام مبادئها ، فكل من لم يقم من جهته في اداء واجبه الوطني بتنفيذ قراراتها ، فهو خارج عليها، منبوذ منها ، مشترك في العمل للقضاء عليها » · وجاء في البيان الذي اصدرته اللجنة التنفيذية العربية حول قرارها بالدعوة الى الاضراب في ٨ـ١٠ـ٣٣ :

« ٧ ـ ان عرب فلسطين قد يئسوا يأسا تاما من الحكومة ، فهم لا يخاطبونها في شيء ، ولا يطلبون منها شيئا ·

٨ ـ العدول عن سياسة الاحتجاجات والخطب غير المجدية » (١٨٥) ٠

وخطت الحركة الوطنية خطوة اخرى سنة ١٩٣٣ ، فقررت اللجنة التنفيذية في اوائل ايلول الدعوة الى التظاهر ٠ وكان موعد المظاهرة الاولى الثالث عشر من ايلول،ومكانها القدس ٠ اشترك في هذه المظاهرة قادة الحركة الوطنية ، ولما لم تكن مرخصة فقد هاجمها البوليس ، واعتدى على بعض القادة ، ومنهم جمال الحسيني ، بالضرب ٠

ولكن وحشية السلطة لم تمنع من قيام مظاهرة اخرى في يافا بعد شهر ٠ الا ان السلطة كانت هذه المرة اكثر وحشية ، اذ قتلت اثنين وثلاثين عربيا ، وجرحت سبعة وتسعين ٠ وكان موسى كاظم الحسيني ، وسنه تنوف على الثمانين ، أحد المصابين ٠ولم تكتف السلطة بما حدث ، فاعتقلت عددا من القادة الوطنيين الذين تعرضوا للضرب المبرح ، وهنا زادت النقمة في البلاد ، فقامت المظاهرات في كل المدن وأعلن الاضراب سبعة ايام ٠

وعجزت قيادة الحركة الوطنية عن مواصلة النضال ، فانشغلت بخصوماتها الداخلية ، وبسعيها للسيطرة وللزعامة ، ولكن حركة الجماهير كانت تفرز قياداتها الجديدة ، وكان ان انتقل القسام وبعض من رفاقه الى الريف في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ ٠ وكان القسام

١٨٥ ـ كيالي ، عبد الوهاب ، وثائق : **المرجع السابق** ، الصفحات : ٧١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٣٢٩ ٠

يرى « أن بريطانيا هي اساس البلاء ، وان وجود الحركة الصهيونية مرتبط بالاستعمار البريطاني ، ولذلك فان انهاء الانتداب هو الواجب الاول ، على ان تبذل الجهود لمنع الحركة الصهيونية من الاستيلاء على مزيد من الاراضي » . ولم يقيض للقسام ان يعيش ، اذ ان صدفة قادت الى استشهاده ، قبل ان يتمكن من بناء قواعده الريفية . ومع هذا فقد تسارعت الاحداث ، فبدأ الاضراب الكبير والثورة الكبرى سنة ١٩٣٦ ، وكانا موجهين ضد السياسة البريطانية أساسا (١٨٦) .

ثانيا : وكان هناك عاملان يزيدان من سخط العرب ونقمتهم ويقودانهم الى الانفجار :

١ـ استمرار استهتار السلطات البريطانية بهم ، وتحديها لمشاعرهم ومصالحهم .

٢ـ استمرار تدفق الهجرة تدفقا اكبر من اي وقت مضى ، ومجاهرة الصهيونيين بمطامحهم وتطلعاتهم كما لم يكشفوا من قبل .

فقد استمرت بريطانيا في تطبيق سياسة الوطن القومي، وتحدي ارادة العرب . فسلحت بعض المستعمرات اليهودية ، وقامت « بتمرين رجالها على استعمال السلاح بحجة الدفاع عن النفس » . كما ان وزارة المستعمرات أصدرت امرا في صيف سنة ١٩٣١ تعد فيه « الخمسة

....

١٨٦ ـ علوش ، ناجي : **المرجع السابق** ، الصفحات ٩٦ ـ ١١٨ .

والعشرين الف يهودي الذين دخلوا ··· البلاد بصـــورة غير مشروعة ، وكأنهم دخلوها بصورة مشروعة ··· » ولهذا اعتبر العرب ان من حقهم ان يعتقدوا « ان السلطات الانكليزية القائمة في البلاد هي راضخة في مسألة الهجرة لشهوات اليهود ورغباتهم ، وانها لا تعبأ ولا تهتم لحمـــاية كيان العرب ومصالحهم » ، وازدادت هذه النقمة خـــلال عام ، فقامت التظاهرات سنة ١٩٣٣ ، وكان قـرار اللجنـــة التنفيذية العربية بالدعوة الى التظاهر (٨ـ١٠ـ١٩٣٣) ، ينص على « اعلان سخط الامة العربية في فلسطين ···على عبث الحكومة البريطـــانية بحقوق اصحاب البلاد وتحديهـا لعواطفهم الوطنية ، واستهتارها بكيانهم الوطني ومصالحهم الاقتصادية والاجتماعية بفتحهـا ابـــواب البـلاد للهجـــرة الصهيونية وتسهيلها انتقال اراضي العرب الى ايـــــدي اليهود ، واستبدادها بالحكم المباشر » (١٨٧) · وكـــان سلوك بريطانيا بقمع المظاهرات قمعا دمويا واعتقال قـــادة الحركة الوطنية وضربهم ومحاكمتهم استمرارا في تحـــدي مشاعر الجماهير وتصعيدا لهذا التحدي ·

أما الحركة الصهيونية فكان تحديها من نوع اخر ، ذلك أن صعود النـــازية خلق ظروفا اكثـر ملائمة لهجـرة يهـــود

....

١٨٧ ـ كيالي ، عبد الوهاب ، وثائق : **المرجـــع السابق** ، ص ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٩٨ ، ٣١٨ ، ٢٣٨ ·

المانيا . وهكذا بدأت ارقام المهاجرين تتصاعد ابتداء من سنة ١٩٣١ ، كما يظهر الجدول التالي :

السنة	عدد المهاجرين	عدد اليهود في فلسطين	النسبة المئوية في السكان
١٩٣١	٤٠٧٥	١٧٤٦٠٦	١٦،٩
١٩٣٢	٩٥٥٣	١٩٢١٣٧	١٧،٩
١٩٣٣	٣٠٣٢٦	٢٣٤٩٦٧	٢٠،٦
١٩٣٤	٤٢٣٥٩	٢٨٢٩٧٥	٢٣،٤
١٩٣٥	٦١٨٥٤	٣٥٥١٥٧	٢٧،٢
١٩٣٦	٢٩٧٢٧	٣٨٤٠٧٨	٢٨،١

(١٨٨)

وتبين هذه الارقام الهجرة الرسمية . اما الهجرة غير الشرعية فليس من السهل معرفتها ، وان كانت قد بلغت في بعض الاحيان خمسة وثلاثين الف مهاجر ، كما يقول أدوين صموئيل احد موظفي الانتداب (١٨٩) .

وكان هنالك الى جانب ازدياد الهجرة وتوسع الاستيطان عامل تسليح المستوطنات ، اما عن طريق سلطات الانتداب، او عن طريق التهريب ، وقد انكشفت بعض الصفقات التي احدث انكشافها غليانا شديدا . فحين انكشفت في جمرك حيفا كمية مهربة من السلاح الحربي ، يوم ١٥ـ٣ـ١٩٣٠ ، قامت عملية احتجاج واسعة . واصدرت الجمعيةالاسلامية بحيفا بيانا للاحتجاج على تهريب السلاح ، أعادت فيه الى

....

١٨٨ ــ سعد ، الياس : المرجع السابق ، ص ٢٨ ، ٣٧ ــ ٣٨ .

١٨٩ ــ Samuel, Edwin : *Ibid.*, p. 165.

الاذهان عمليات سابقة لتهريب الاسلحة ، وذكرت فيه بتسليح حكومة فلسطين لليهود ، كما اعادت فيه الى الاذهان استخدام اليهود اسلحة نارية ، خلال اشتباكات ١٩٢٩ . ثم اضاف البيان :

« وليس غرضنا من تعداد هذه الحوادث الاليمةالتعرض لاشخاص افراد من اليهود ، ولا التصدي لموقف حكومة فلسطين او موقف القضاء الفلسطيني تجاه هذه الوقائع وامثالها ، وانما غرضنا غرض أعم وأهم ، وهو اننا مقتنعون في الاعماق اقتناعا مقلقا ، ان هذه الوقائع وامثالها هي ادلة قاطعة على ان الانتداب لفلسطين ، المنطوي على ضمانة انشاء وطن قومي لليهود فيها ، هو عبارة عن اعمال تدريجية وجهتها وغايتها تكثير اليهود في فلسطين عددا ، والمحافظة الخصوصية عليهم ، وتأييدهم بكل وسائل المحافظة والتأييد من فتح طرق لمستعمراتهم وتسليحها من اموال البلاد ، علاوة على ما يعتقد من تسليحهم بأسلحة تهرب تهريبا ، وعلاوة على تضخيم قوات الامن العام بأنواعها بحجة حق الاقلية بالدفاع عن نفسها والمدافعة عنها ، الى تحكيم تلك الاقلية برقاب ابناء البلاد الذين لا ذنب لهم الا انهم الاكثرية فيها، وانهم ابناؤها واصحابها ، حتى كأن الانتداب المذكور متجاهل لوجود هذه الاكثرية ، او منكر لحقها في البقاء » (١٩٠) .

وعادت الحركة الوطنية العربية في فلسطين ، فأصدرت

---

١٩٠ ـ كيالي ، عبد الوهاب ، وثائق : **المرجع السابق** ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ وثيقة ٧٠ .

بيانا تحتج فيه على تهريب الاسلحة يوم ٢١ـ١٠ـ١٩٣٥ ، وتعلن الاضراب (١٩١) · وافادت تقارير التحقيق في قضية عز الدين القسام ان القسام القى خطبة في قرية فقوعة ، قبل استشهاده اشار فيها الى تهريب اليهود للسلاح (١٩٢) ·

وكانت هنالك قضية أخرى تؤجج نار الصراع ، وهي مقاطعة اليهود ، تحت ضغط الحركة الصهيونية ، للايدي العاملة العربية · وقد احتج ممثلو الحركة الوطنية في فلسطين ، في مذكرة سلموها للمندوب السامي سنة ١٩٣٣، على « ما اعتبروه تكريسا لسياسة مقاطعة اليهود للايدي العاملة العربية » ، واخبروا المندوب السامي انهم («ينظرون في أمر مقاطعة اليهود ، عملا بمبدأ المقابلة بالمثل ») (١٩٣) ·

وحدث في شباط من سنة ١٩٣٦ ان تعاقدت سلطات الاحتلال مع مقاول صهيوني لبناء ثلاث مدارس في يافا العربية · ورفض المقاول ان يستخدم العمال العرب ، فتكونت حامية عربية لمنع العمال اليهود من الوصول الى مواقع عملهم ، فزادت هذه الحادثة من الاحتكاك والغليان (١٩٤) ·

وكان الهستدروت ـ اتحاد العمال اليهود ـ قد اعلن

---

١٩١ ـ العيسى : **جريدة فلسطين** ١٩٣٥/١٠/٢١ ·
١٩٢ ـ العيسى : **المرجع السابق** ١٩٣٦/٣/١ ·
١٩٣ ـ كيالي ، عبد الوهاب : تاريخ ، **المرجع السابق** ، ص ٢٦٢ ·
١٩٤ ـ كيالي ، عبد الوهاب : تاريخ ، **المرجع السابق** ، ص ٣٠٢ ·

سنة ١٩٣٣ منع العمال العرب من القيام بالاعمال المتوافرة (١٩٥) ٠

وكان ، بالاضافة الى هذا وذاك ، عامل اخر يصب الزيت على النيران المتأججة ، وهذا العامل هو التصريحات الصهيونية المستفزة التي كان يطلقها زعماء مهووسون مثل بن غوريون ووايزمان وجابوتنسكي ٠ وكانت هذه التصريحات تأتي في الاوقات الحرجة لتزيد التوتر توترا والعداء عداء ٠ كما ان قرارات المؤتمرات الصهيونية واللجان الصهيونية كانت تلعب دورا استفزازيا كبيرا ٠

واذا كان بن غوريون ، قد طالب في المؤتمر الصهيوني السابع عشر المنعقد في بازل ، حزيران ـ تموز ١٩٣١ ، بفتح أبواب شرق الاردن للهجرة ، فان وايزمن قد طلب انذاك من المندوب السامي « باستصلاح اراض في شرق الاردن لاستيطان العرب الفلسطينيين » (١٩٦) ٠ اما جابوتنسكي فقد دعا في ٢٨ـ٤ـ١٩٣٣ ، من اذاعة وارسو الى انشاء دولة يهودية ٠ وزاد المؤتمر الصهيوني في براغ ، سنة ١٩٣٣ ، الطين بلة ، ذلك ان اعمال المؤتمر كشفت المزيد من استهتار الحركة الصهيونية ٠ وقد طالب المؤتمر ، لافتا الانتباه الى حوادث المانية « ببناء الوطن القومي بأسرع ما يمكن ، وعلى اوسع نطاق » (١٩٧) ٠

....

١٩٥ ـ John, Robert, & Hadawi, Sami : *Ibid.,* p. 248.
وكيالي ، عبد الوهاب : تاريخ ، **المرجع السابق** ، ص ٢٦٣ ٠

١٩٦ ـ John, Robert, & Hadawi, Sami : *Ibid.,* p. 237.

١٩٧ ـ John, Robert, & Hadawi, Sami : *Ibid.,* p.p. 245, 247.

وحين زاد التوتر في فلسطين ، في اوائل سنة ١٩٣٦ ، ألقى وايزمن خطابا صور الصراع العربي الصهيوني فيه على انه صراع بين « قوى الصحراء والخراب من جهة وقوى الحضارة والعمران من جهة اخرى » (١٩٨) ٠

قادت هذه الظروف كلها الى الاضراب الكبير والثورة الكبرى ٠ فكيف بدأ الاضراب ٠ وكيف انفجرت الثورة ؟

قامت عصابة في الخامس عشر من نيسان سنة ١٩٣٦ بسلب ركاب قافلة من السيارات ، جل ركابها من العرب ٠ وقد أطلقت العصابة النار فاصيب يهوديان ، قتل احدهما وجرح الثاني فأجاب اليهود على ذلك بقتل عربيين على مقربة من ملبس (بيتح تكفا) ٠ « ثم أخذت التعديات تتوالى على العرب في تل ابيب » كما يقول تقرير اللجنة الملكية ٠ وحين شيعت جنازة اليهودي يوم ١٧ـ٤ تحولت جنازته الى مظاهرة اشتبكت مع الشرطة ، وهي تحاول التوجه الى يافا ٠ وقام اليهود في هذه الاثناء بالاعتداء على المارة العرب وباعة الخضار واحرقوا عددا من البيوت العربية ٠ واشيع يوم ١٩ـ٤ ان اليهود قتلوا عددا من العرب ، فحصلت صدامات واشتباكات (١٩٩) ٠

---

١٩٨ ـ كيالي ، عبد الوهاب : تاريخ ، **المرجع السابق** ، ص ٣٠٦ ٠

١٩٩ ـ يراجع بهذا الشأن ا ـ اللجنة الملكية ١٩٣٧ : تقرير ، **المرجع السابق** ، ص ١٢٦ ٠ ب ـ طربين ، احمد : **المرجع السابق** ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ ٠ جـ ـ كيالي ، عبد الوهاب : تاريخ ، **المرجع السابق** ، ص ٣٠٢ ٠ د ـ نيوتن ، فرنسيس املي : **المرجع السابق** ، ص ١٥٨ ٠

وتكونت يوم ٢٠ـ٤ لجنة قومية اعلنت الاضراب في نابلس ، فتكونت في اليوم التالي لجان اخرى اعلنت الاضراب العام والشامل حتى تستجيب السلطة . ثم سارعت القيادة الرسمية للحركة الوطنية الى مباركة الاضراب . وسارعت السلطات الى الاجتماع بقادة الحركة الوطنية ، وطلبت منهم استخدام نفوذهم لانهاء الفوضى والاضطراب ، كما طلب منهم ان يسموا وفدا منهم للتوجه الى لندن ، ولكن القادة طلبوا بدورهم ان توقف الهجرة فورا ، وذلك من اجل مساعدتهم على انجاز مهمتهم ، وليكون ذلك خطوة على طريق مفاوضات أشمل .

وقدمت اللجنة القومية بحيفا مذكرة الى الحاكم العسكري للواء تعلن فيه الاضراب ابتداء من ٢٢ ـ ٤ ، وتطالب فيها بما يلي :

١ـ وقف الهجرة حالا .

٢ـ سن تشريع يمنع تسرب الاراضي .

٣ ـ تشكيل حكومة وطنية (٢٠٠) .

ويشير البيان الى « ان الحالة المؤسفة التي ألمت » بفلسطين « والتي لم تكن الا نتيجة محتمة لتلك السياسة الظالمة التي سعت وتسعى حكومة جلالته لتطبيقها في البلاد رغم الاحتجاجات العديدة والاضطرابات الدموية السابقة ، دفعت الهيئات الوطنية السياسية في حيفا الى الاجتماع

....

٢٠٠ ـ العيسى : **جريدة فلسطين** ٢١ و ٣٦/٤/٢٢ ، و ٣٦/٤/٢٣ .

للمذاكرة في ايجاد سبيل للحيلولة دون القضاء على العرب وسلبهم موارد الرزق لاطعامها الى قوم نبذتهم جميع الدول المتمدنة تخلصا منهم »· واتهم البيان الحكومة بالمثابـــرة على انتهاج هذه « السياسة البغيضة القتالة » · كما اتهم البيان الحكومة بالتحيز « لتقوية العنصر اليهـــودي ·· وافناء الكيان القومي العربي » ·

واستمر الاضراب حتى ١٢ـ١٠ـ١٩٣٦ ، حيث توقـف بناء على نـداء من الرؤساء العرب (غازي ملـــك العراق وعبد العزيز بن سعود عاهل المملكة العربية السعوديـــة والامام يحيى حميد الدين ، امـــام اليمن ، والامير عبـــد الله بن الحسين) · ورافقت الاضراب عمليات غوارية ضد الاحتلال البريطاني والاستيطان الصهيوني ·

وحين جاءت لجنة التحقيق الملكية سنة ١٩٣٧ ، قـــرر العرب مقاطعتها ولكنهم عادوا فوافقوا على مقابلتهـــا ، بناء على وساطة عربية ونصائح «سامية» تلقوها ·

الا ان الثورة استمرت سنة ١٩٣٧ وظلت تتصاعد حتـى توقفت سنة ١٩٣٩ ·

ويشير تقرير اللجنة الملكية الى « ان الظاهرة البارزة في اضطراب ١٩٣٣ المقرون بأعمـــال العنف ، وحيـــدة في بابها ، ولم يسبق لها مثيل · ففي سني ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٩ ، كـــان هجوم العرب علـــى اليهود ، أمـــا في سنة ١٩٣٣ فقد هاجموا الحكومة »· واذا كانت اضطرابـــات سنة ١٩٣٣ « لم تكن كلها حتى ولا جلها موجهة ضـــــد

اليهود ، بل ضد حكومة فلسطين » كما يقول التقرير ، « فلقد ظهرت هذه الميزة بصورة اجلى في سنة ١٩٣٦ ، اذ قتل في تلك السنة عدد من اليهود واتلفت املاكهم ، ولكن الاضطرابات كانت تستهدف الحكومة مباشرة وبصورة جلية »·

فما هي اسباب هذه «الاضطرابات» ؟

ان التقرير المذكوراعلاه يشير الى ان العرب قد عزوها الى سببين :

الاول :« الرغبة في التخلص من الانتداب ، والحصول على الاستقلال القومي »·

الثاني : « الخوف من سيطرة اليهود عليهم من الناحية السياسية والاقتصادية »·

ولكن التقرير ذاته يرى ان الاسباب الاساسية هي :

١ـ رغبة العرب في الاستقلال القومي ·

٢ـ كرههم لانشاء الوطن القومي اليهودي وتخوفهم منه·

ويذكر التقرير أن هناك عوامل اخرى هي :

١ ـ تأثر الرأي العام العربي في فلسطين بحركة الاستقلال في البلاد العربية ·

٢ـ الضغط الذي احدثته اليهودية العالمية علىفلسطين · فازدياد هذا الضغط ، ابتداء من سنة ١٩٣٣ ، وما عقبه من

ازدياد في الهجرة اليهودية ، قد زاد في شـدة تخوف العرب من سيطرة اليهود على فلسطين ٠

٣ ـ عـدم تساوي الفـرص المتيسرة للعرب واليهود لبسط قضيتهم لدى الحكومة البريطانية والبرلمان والرأي العـام في بريطانيا واعتقـاد العرب بأن اليهود يستطيعون دائمـا الوصول الـى مـا يريدون ، بوسائل يحرمها العـرب وتنكر عليهم ٠

٤ ـ « ٠٠٠ ازدياد ارتيـاب العرب » بمقدرة الحكومـة البريطانية « على تنفيذ وعودها ، ان لم نقلْ برغبتها فيتنفيذ تلك الوعود ٠٠٠ »

٥ ـ « فزع العرب من استمرار شراء اليهود للاراضي العربية ٠»

٦ ـ « الصبغة القوية التي تصطبغ بهـا القومية اليهودية في فلسطين ٠ و « الصبغـة العصرية » التي تتجلـى في كثير من المهاجرين الشباب ، واللهجة المثيرة التي يستعملها بعض اليهود من غير ذوي المسؤولية واللهجة الشديدة التي يستعملها كثير من الصحف اليهودية والعربية » ٠

ولقد كشفت الشهادات امام لجنة التحقيق التنـاقض الكبير بين مطالب العرب ومطالب اليهود ٠ وتلقي هـذه المطالب المتناقضة ضوءا كاشفا علىطبيعة الصراع ٠ويمكن ان تأخذ مطالب العرب من ظلاماتهم التي اوردها التقرير ، وهذه الظلامات هي :

١ ـ التقصير في ترقية مؤسسات الحكم الذاتي ٠

٢ ـ امتلاك اليهود للاراضي ٠

٣ ـ الهجرة اليهودية ٠

٤ ـ استعمال اللغتين العبرية والانكليزية لغتين رسميتين٠

٥ ـ توظيف موظفين من البريطانيين واليهود واقصاء العرب عن الوظائف التالية ٠

٦ ـ ايجاد طبقة كبيرة من العرب الذين لا ارض لهم وامتناع اليهود عن تشغيل العمال العرب ٠

٧ ـ عدم كفاية الاموال المخصصة لتعليم العرب ٠

اما مطالب اليهود ، فيلخصها التقرير بما يلي :

١ ـ « ٠٠ تطبيق صك الانتداب على أساس تفسير كل نقطة من نقاطه حسب مطالب اليهودية » ٠

٢ ـ يجب الا يكون هناك تحديد جديد للهجرة ،وان يكون تقرير مقدارها ، كما هي الحالة الان ، على اساس « قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ٠ ٠ ٠ »

٣ ـ « يجب الا تحدد بيوع الاراضي العربية لليهود ٠٠٠»

٤ ـ يجب « الا تتخذ اية اجراءات لمنع اليهود من ان يصبحوا في المستقبل اكثرية في فلسطين » (٢٠١) ٠

---

٢٠١ ـ اللجنة الملكية ١٩٣٧ : تقرير ، **المرجع السابق** ، الصفحات ١١٢ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٧٦ ، ١٨٨ ٠

ملاحظات عامة :

يمكننا بعد هذا العرض ان نستخلص ما يلي :

أولا : ان الحركة الوطنية اتجهت اساسا الى محاربة الاحتلال البريطاني وتكريسه عدوا اساسيا · ولكن الجماهير ، عمالا وفلاحين وبرجوازية صغيرة ، كانت اكثر حدة وعنفا واندفاعا في عدائها للانجليز من القيادات شبه الاقطاعية ـ شبه البرجوازية · كما ان القيادات انقسمت الى قسمين : قسم يستند في قوته على نفوذه الجماهيري ، وكان هذا القسم اكثر انسجاما مع خط الجماهير ، وان كان يهادن ويتذبذب ، وقسم يستند في قوته ونفوذه الى مواقعه الاقتصادية والوظيفية والى علاقاته مع الامير عبد الله ودوائر سلطات الاحتلال ، وكان هذا القسم اكثر اعتدالا ، واكثر استعدادا للتفاهم · مثل القسم الاول الحاج أمين والقيادات الوطنية المتحالفة معه ، ومثل القسم الثاني راغب النشاشيبي وفخري النشاشيبي وحلفاؤهما · وقد استنفد الصراع بين الفئتين جزءا اساسيا من قوة الحركة الوطنية وفعاليتها ، حتى ان فولر ، قنصل الولايات المتحدة في القدس كتب سنة ١٩٢٤ متسائلا : « لماذا لم يثر العرب ؟ واين هي ثوراتهم التي تخوفنا وتخوف الانجليز منها » ؟ ويجيب فولر على ذلك : « لقد ذهبت هذه الثورات في خلافات العرب بعضهم مع بعض ، وفي نزاع الحسينية والنشاشيبية على المجلس الاعلى ورئاسة البلدية · · · » (٢٠٢) ومع

٢٠٢ ـ مانويل ، فرانك أ : **المرجع السابق** ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ·

هذا فقد ثار العرب سنة ١٩٣٦،وعلى الرغممن هذهالخلافات ونتائجها السلبية ٠

حاولت القيادة ان تجعل النضال يسلك سبيل الشرعية فجعلته نضال عرائض واحتجاجات ، كما انها كانت تحرص على شرعية مظاهراتها ٠ الا ان نضال الجماهير كان يقود الى الصدامات ، ويدفع القيادة الى اتخاذ مواقف اكثر حزما ، كما حدث سنة ١٩٣٣ - وسنة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ٠

ولكن عجز القيادة ، جعل حماسة الجماهير واندفاعها واكتشافها طريق النضال الصحيحة تضيع بين ايدي القيادات العاجزة ٠ وحين بدات الجماهير الاضراب ،وافقت عليه القيادة ، ولكنها اغتنمت فرصة الوساطة العربية سنة ١٩٣٦ لتدعو الى « الاخلاد للسكينة » ولتنهي الاضراب ، بدلا من تحويله الى عصيان مدني وثورة مسلحة ٠

وكانت القيادة تأمل ان تضغط على سلطات الاحتلال بنضال الجماهير ، لكي تحقق اهدافها في السلطة السياسية ٠

بدأت القيادة الوطنية فيهذه المرحلة علاقاتها مع ايطاليا الفاشية ، ثم مع المانيا النازية سنة ١٩٣٥ ٠ ولقد كانت هذه العلاقة مثار نقاش بين قيادة الحركة الوطنية برئاسة الحاج امين الحسيني ، وبين الخارجين عليها من جماعة النشاشيبي ٠ وقد شغل هذا النقاش المهاتر صحف فلسطين في اشد لحظاتها حراجة ٠ وكان « المعارضون » انصار الامير عبد الله ودعاة التعاون مع الانجليز هم الذين شنوا حملة على قيادة الحركة الوطنية يتهمونها فيها بالاتصال

بايطاليا (٢٠٣) • وسنناقش طبيعة هذه العلاقة في المرحلة التالية •

ثانيا : اعتبرت الحركة الوطنية قيادات وقواعد الحركة الصهيونية عدوا ثانويا ، لانها الفرع وليست الاصل •ولكنها على الرغم من ذلك حاولت في عين الوقت الذي تقاتل فيه سلطات الاحتلال ، ان تحول دون توسع الحركة الصهيونية وزيادة سيطرتها • ولذلك لجأت الى حملات مقاومة بيع الاراضي والرد على المقاطعة الصهيونية بمقاطعة عربية ، وأنشأت الحاميات العمالية العربية ردا على تكوين الحاميات العمالية الصهيونية الخ • • ومع هذا ، فقد حاولت الحركة الوطنية في فلسطين ان تتحالف في هذه المرحلة مع اليهود والحركة الصهيونية ضد الانجليز • وقد اجرى العرب اتصالات « باليهود مقترحين التوصل معهم الى نوع من الاتفاق على اساس قطع العلاقات مع بريطانيا قطعا تاما • ولكن اليهود رفضوا ذلك على الفور،لانهم يعتبرون علاقاتهم ببريطانيا مسألة جوهرية » • ليس هذا فحسب بل قرروا ان يشكلوا وحدات مسلحة ، ويحاربوا الى جانب البريطانيين اذا ما تجددت الثورة (٢٠٤) • وما كان هذا التحالف ممكنا ، لان الجناح المتمرد على الانجليز ، جناح جابوتنسكي ، هو الجناح الاكثر صهيونية ، وبالتالي الاكثر يمينية وتخلفا

....

٢٠٣ ـ العيسى : **جريدة فلسطين** ، ١٩٣٥/٤/١٧ ، ١٩٣٥/٤/١٩ ، ٣٥/٤/١٩ ، ٣٥/٤/٢٠ ، ٣٥/٤/٢٤ ، ٣٥/٤/٢٥ ، ٣٥/٤/٢٧ ، ٣٥/٥/١ •

٢٠٤ ـ كيالي ، عبد الوهاب : تاريخ ، **المرجع السابق** ، ص ٣٣٨ •

وعداء للعرب · اما الجناح الصهيوني الاخر فقد كان يعتبر ان استمرار الاحتلال ، حتى يبلغ اليهود نسبة معينة من السكان قضية اساسية ، ولذلك كانت استراتيجيتهم تختلف عن استراتيجية العرب الذين يريدون الاستقلال سريعا للحيلولة دون زيادة عدد الصهيونيين ودون توسيع الاستيطان· ثم ان العرب كانوا يعتبرون ان بقاء الانتداب هو العقبة الرئيسية في سبيل تحررهم،بينما كان الصهيونيون يعتبرون ان بقاء الانتداب هو السبيل الى بناء دولتهم · وهكذا كانت الاهداف متناقضة : العرب يريدون استقلالا والصهيونيون يريدون بقاء الاحتلال ، العرب يريدون وقف الهجرة والصهيونيون يريدون فتح باب الهجرة على مصراعيه ، العرب يريدون ايقاف بيع الاراضي والصهيونيون يريدون تسهيل امر بيعها وانتقالها · فكيف يمكن ان يتم تحالف ؟

ان امكانية التحالف الوحيدة كانت امكانية التحالف مع الشيوعيين الفلسطينيين ، وهم الفئة المنظمة على اساس غير قومي ، والمعادية للاستعمار والصهيونية · وسنبحث هذه الامكانية واحتمالاتها وعوائقها في الفصل الخاص بالحركة الشيوعية ·

هناك قضية اخرى هامة تجبالاثارة اليها هنا · وهذه القضية هي ان الحركة الصهيونية ازدادت في هذه المرحلة التي اتجه فيها العرب بالاساس الى مقاومة الاحتلال البريطاني اندفاعا نحو مزيد منتحديالعرب واستفزازهم · وكانت شعارات الدولة اليهودية وتحويل العرب الى اقلية اكثر الشعارات اثارة للاستفزاز والنقمة · ويكفي ان نذكر ان جابوتنسكي تحدث عن ذلك صراحة في شهادته امام

اللجنة الملكية ٠ فسبب شقاء اليهود ، فيما يرى جابوتنسكي ، يعود الى « الشتات » والى كون اليهود أقلية في كل مكان ٠ ويضيف جابوتنسكي ، « عندما اسمع ان الصهيونيين ، وفي اكثر الاحيان حزبي ، متهما بالمطالبة بالكثير جدا ، أيها السادة، انني لا استطيع انافهم ذلك٠ نعم اننا نريد دولة ، ان لكل أمة على الارض ، كل امة عادية، ابتداء من اصغر الامم وأوضعها التي لا تملك اية مزية ، او دور في تطور الانسانية ، لها دولها الخاصة ٠هذا الوضع العاديلشعب٠ ومع هذا ، فاننا نحن الشعب الاكثر شذوذا ، وبالتالي الشعب الاتعس حظا ، نطالب بالوضع عينه الذي يتمتع به الالبان ، ولا نريد ان نذكر الفرنسيين والانجليز ، فان ذلك يعتبر كثيرا جدا » ٠

ويتطرق جابوتنسكي الى موضوع الاقلية والاكثرية قائلا : « وطبيعي ان عملية الاخلاء اذا ما سمح لها ان تتطور ، كما يجب ان يتاح لها ان تتطور ، فسوف يتم الوصول سريعا الى لحظة حيث يصبح اليهود اغلبية في فلسطين٠ انني اريد ان ادلي باعتراف «رهيب» ٠ ان مطالبتنا باغلبية يهودية ليس اقصى ما نطمح اليه ، انه الحد الادنى: وانه مرحلة لا بد منها اذا ما سمح لنا فقط بالاستمرار في تخليص شعبنا ٠ والنقطة التي يصبح عندها اليهود اغلبية في البلاد لن تكون نقطة الاشباع بعد ـ لانه بزيادة مليون يهودي في فلسطين اليوم تستطيع ان تمتلك اكثرية يهودية ، ولكن من المؤكد ان هناك ثلاثة ملايين او اربعة

ملايين في الشرق يطرقون على الباب فعليا سائلين الدخول ، اي الخلاص » (٢٠٥) ٠

وكان مثل هذه الاستفزازات يزيد المشاعر العربية توترا ، لان الصحف العربية كانت تتابع الحملات الصهيونية وتوالي التركيز عليها ، ولان المثقفين العرب كانوا يطلعون باستمرار على افكار الصهيونية واحلامها ٠ ولم يفت نداءات اللجنة التنفيذية من ان تشير الى منظري الصهيونية امثال بنتويش وسايدبوتم وزانكويل ، والى دعوتهم لانشاء دولة يهودية في فلسطين ٠٠ ولهذا فان العرب كانوا يعرفون ما ترمي اليه « السياسة الصهيونية في فلسطين » (٢٠٦) وكانوا يستثارون ويستفزون حين تطرق اسماعهم بشعارات وافكار كهذه ٠

ومع هذا كله ، فان مطالب العرب امام اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ ، ظلت مثل مطالبهم في السابق ٠ ولكن بلوغ عدد اليهود حوالي اربعماية الف دفع العرب الى التشدد في معالجة مسألة المهاجرين الجدد ٠ وحين تحدث الحاج أمين الحسيني ، أمام اللجنة الملكية ، طالب بايقاف الهجرة وبيع الاراضي والعدول عن تجربة الوطن القومي ، كما طالب بحكومة « مستقلة وطنية ذات حكم دستوري يتمثل فيهاجميع العناصر الوطنية ، ويضمن للجميع فيها العدل والتقدم والرفاه » ٠

....

٢٠٥ ـ Laqueur, Walter : *The Israel - Arab Reader :* A Pelican Book, 1970, p.p. 81-85.

٢٠٦ ـ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق ، **المرجع السابق** ، ص ٢٥١ ٠

وحاولت اللجنة ان تفهم من الحاج امين ، بعد ان انهى شهادته ماذا سيكون مصير الاربعمائة الف يهودي الذين يقيمون في فلسطين ، فدار الحوار التالي :

« اللورد بيل : تطلبون سماحتكم انشاء حكومة وطنية في البلاد ، فماذا تفعلون بالـ٤٠٠ الف يهودي الموجودين هنا ؟

سماحته : ليست هذه اول مرة يكون فيها اليهود في حماية دول عربية ، اذ ان الدول العربية كانت فيما مضى ارحم دول العالم بهم · ويروي التاريخ دائما ان اليهود ما استراحوا في جميع العصور ، الا في ظل الحكم العربي ، وكان الشرقي ملجأ لليهود الفارين من الضغط الاوروبي » ·

اللورد بيل : ··· لو عقدت معاهدة مع بريطانيا « اتكونون انتم مستعدين لابقاء اليهود في البلاد » ·

سماحته : الحكومة التي ستؤلف هي التي ستقرر ذلك ·

السر رامبولد : هل تعتقدون ان البلاد تتسع لاربعمائة الف يهودي ؟

سماحته : لا اعتقد ذلك (٢٠٧) ·

ودار نقاش مماثل بين اللجنة وعوني عبد الهادي ·

« هاموند : اذن تعتقد انه ليس بالامكان ان يعيش العرب واليهود في هذه البلاد بسلام ؟

---

٢٠٧ ـ جانا ، محمد توفيق : **الشهادات السياسية امام اللجنة الملكية**، دمشق ١٩٣٧ ، ص ٢٨ ـ ٢٩ ، ص ٤٤ ـ ٤٥ ·

عوني بك : قطعيـــا ، واذا ادعى اليهود خـــلاف ذلك فهم مغالطون وذلك ما دامت السياسة الصهيونية قائمة ٠٠٠ »

واجاب عوني عبد الهادي ، ردا على سؤال اخر حـــول الاربعمائة الف يهودي :

« ٠ ٠ ٠ ونحن نعترض على وجود الاربعمائة الف يهودي ونعتقد ان دخولهم البلاد كان ظلما وعدوانا »

اللورد بيل : « هل تطلب اخراجهم ؟

عوني بك : انا لم اقل باخراجهم ، اقرر حقيقة واقعـــة بان دخولهم البلاد غير من وضعيتها » ثم ان قسما كبيـــرا منهم من غير الفلسطينيين (٢٠٨) ٠

ولقد حاول حسن صدقي الدجاني في شهادته ان يفســر موقف الحركة الوطنية الفلسطينية من الهجرة الصهيونيـــة ٠ وقد استند فيما ذهب اليه على حجتين :

الاولى : « ان امر الهجرة هو من امورنا الداخلية التي يجب ان نقررها نحن لا غيرنا ٠ ٠ ٠ » وعليه « فاننا كعرب لا نقر لليهود بهجرة لا يكون لنا فيها رأي » ٠ وليس هـــذا غريبا « فلنا اسوة في ذلك دول اوروبا واميركا وكلهـــا لا تسمح بالهجرة الا بشروط وانظمة وقوانين تضعها هـــي ، ولا يضعها شعب غريب عنها » ٠

الثانية : اننا « لا يمكـــن ان نسمح لليهود بـــأن يصبحوا

---

٢٠٨ ـ جانا ، محمد توفيق : **المرجع السابق** ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ٠

اكثرية في البلاد، وان يزاحمونا على الحياة والاعمال»(٢٠٩)٠

نحن اذن الذين نقرر ، لاننا الاكثرية ، لاننا الشعب ، ولاننا اصحاب الحق في ذلك ، وكل عهد او وعد او عمل يمس سيادتنا باطل ٠ والهجرة مثل وعد بلفور كانت دون اعتبار لارادتنا ، وهي فوق ذلك تستهدف تحويلنا اقليةفي وطننا وفرض سيادة مهاجرين اجانب علينا ٠ ولكن هل تتسع بلادنا للمهاجرين الاربعمائة الف ؟

انها لاتتسع لهم سياسيا والتعايش معهم غير ممكن الا اذا تخلوا عن اهدافهم السياسية ٠ والحكومة الوطنية الممثلة للشعب هي التي تقرر ماذا يجب ان يصنع بهم ٠

كان الصهيونيون عدوا ثانيا ، في تلك المعركة ولم يكونوا عدوا اول ، ولكنهم كانوا عدوا لا يمكن التحالف معه ٠ ثم ان هذا العدو الثاني لم يكن موضوعه مفصولا عن موضوع الصراع الاساسي ، بل كان من صميم موضوع الصراع الاساسي : لان هدف الاحتلال كان المساعدة على بناء « الوطن القومي » ٠ والوطن القومي كان اكثر اخطار الاحتلال وليس اقلها ٠

ثالثا : ظل الاحتلال البريطاني محافظا على سياسته المزدوجة : محاولة تهدئة العرب من جهة ومحاولة تنفيذ سياسة الوطن القومي من جهة اخرى ٠ ولقد بدأت هذه المرحلة بكتاب اسود تراجعت فيه السلطة عن كتابهاالابيض

---

٢٠٩ ـ جانا ، محمد توفيق : **المرجع السابق** ، ص ٢٤٤ ٠

لسنة ١٩٣٠ ،وانتهت بكتاب اسود ، الغت فيه كتابهاالابيض لسنة ١٩٣٩ ٠

وكان الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ نتيجة ثورة سنة ١٩٣٦ ، كما كان الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٠ نتيجة انتفاضة ١٩٢٩ ٠ ولقد الغي الثاني ، كما الغي الاول ،بسبب الضغط الصهيونية ٠ وقد تحدتبريطانيا ، خلال هذه المرحلة العرب في صميم مشاعرهم ٠ذلك انها لم تسمح للهجرة بالاستمرار فحسب ، ولم تسمح لبيع الاراضي بالاستمرار فقط بل عملت على سحق الحركة الوطنية بكل ماواوتيت من قوة ٠ ولعل خير دليل على ذلك قمع انتفاضة ١٩٣٣ وثورة١٩٣٦٠ ولم يقف التحدي عند هذا الحد ، فقد قامت بريطانيا ايضا بتسليح المستعمرات وتزويدها باسيجة وهواتف (٢١٠) بعد ثورة ١٩٢٩ ٠ كما قامت بتجنيد ٢٨٠٠ من الصهيونيين في اب سنة ١٩٣٦ ، واصبح هؤلاء المركز الشرعي للمنظمة العسكرية غير الشرعية ، الهاغاناه ، وسمح لهؤلاء بتدريب الرجال في المستوطنات من اجل ما اسموه الدفاع (٢١١) ٠

وكانت بريطانيا تربط موضوع الاستقلال بموضوع الوطن القومي ، كما انها كانت تعتبر نفسها مسؤولة عن اليهود الاربعمائة الف الموجودين في فلسطين « فهؤلاء » ، كما يقول تقرير اللجنة الملكية ، « لم يأتوا اليها باذن منا فحسب بل بتشجيعنا ، فنحن مسؤولون عن رفاهيتهم ضمن الحد المعقول ،ولا نستطيع في الظروف الحاضرة ان نهمل امرهم

....

٢١٠ _ Bein, Dr. Alex : *Ibid.*, p. 431.

٢١١ _ John, Robert, & Hadawi, Sami : *Ibid.*, p.p. 264 - 265.

ونتركهم لحسن نوايا حكومة عربية » (٢١٢) · ومع هذا فقد كانت قيادة الحركة الوطنية مستعدة لان توقف الاضراب بناء على وساطة الملوك والرؤساء العرب سنة ١٩٣٦ ، واعتمادا على حسن نوايا الحليفة بريطانيا ·

من
الحرب العظمى
الى
الكارثة العظمى :

حين بدأت الحرب العظمى حصلت تطورات كبيرة · وانعكست هذه التطورات على مواقف العرب والصهيونيين والانجليز ·

فعلى الصعيد العربي ، وجد العرب ، الخائفون على مستقبلهم ، والشاعرون بالعجز امام الاستعمار البريطاني والاستيطان الصهيوني ان الامبراطورية البريطانية العظمى تجابه عملاقا كبيرا · ولهذا اخذت احلام الضعفاء تتمنى ان تسقط الامبراطورية ، وتتمنى النصر لخصومها : النازيين الالمان والفاشست الايطاليين والميكادو اليابانيين · وما لبث هذا التمني العاجز ان اصبح تعاطفا فتضامنا فتأييدا ·

وكان مؤتمر لندن قد عقد ما بين السابع من شباط والسابع عشر من آذار في لندن · واشتركت فيه وفود

---

٢١٢ ـ اللجنة الملكية ١٩٣٧ : **المرجع السابق** ، ص ١٨٦ ·

عربية بالاضافة الى الوفد الفلسطيني · وقبـــل ان تذهب الوفود الى لندن اجتمعت في القاهـــرة في شهر كانون الثاني للتباحث · وقد قر قرارها على ما يلي :

١ ـ أن تصبح فلسطين دولة مستقلة لغتها العربية ودينها الاسلام ·

٢ ـ ان تعقد محالفة دفاع بين الحكومة البريطانية وحكومة فلسطين المستقلة ·

٣ ـ يشترك اليهود بوزيرين في حكومة فلسطين ·

٤ ـ يحق للحكومة البريطانية ان تضع الجيوش اللازمة لتنفيذ ما يستقر عليه الاتفاق في المؤتمـــر ، وان تعين مستشارا يرجع اليه في المسائل التي تجد بين الفريقين ·

٥ ـ توقف الهجرة اليهودية ويلغى وعد بلفور ·

٦ ـ تظل الجيوش البريطانية عشر سنوات في فلسطين، قابلة للتجديد ، حتى يتكون لفلسطين جيش قادر على الدفـــاع ·

ويتضح من هذا ما كانت تفكر به القيادة الفلسطينيـــــة والحكومات العربية · وهو لا يعدو ان يكون استقلالا فـي ظـــل الحماية البريطانية والحراب البريطانية ، يشـــارك فيه العرب واليهود· ولقد حدد حجم اليهود بوزيرين لا غيـــر ، من عدد غير محدد من الوزراء · اما بريطانيا فتركت لها السيطرة الفعلية ·

ولم تكن المطالب التي تقدم بها عرب فلسطين لمؤتمر لندن بمختلفة عما تم الاتفاق عليـــه في القاهرة ، وان اختلفت الصياغة ٠

كانت القيادة الوطنية اذن تريد ان تحل قضية الوطـــن القومي اولا ولذلك طالبت بالغاء الانتساب وبانهاء تجربة تأسيس الوطـن القــومي ٠ امـا بـريطانيا ، فكـل ما طلبته القيادة منها هو ان ترضى بتحويل الاحتلال الى معاهـدة ، وبتحويل جيش الاحتـلال الـى جيش حليف ، مدعو للبقاء ، ومبرر بقاؤه ٠

ولم يـرض هـذا بالطبـع لا الصهيونيين ، ولا بريطانيا ، فالصهيونيون كانوا يريدون ان يفتح باب الهجـرة ، وباب انتقال الاراضي ، وان تنظم قوة يهودية « مناسبة للدفاع في فلسطين ، لا تضمن فقط طمأنينة المستعمرات اليهوديـة ، انما تخفف ايضـا من الاعباء الباهظة الملقاة حاليا على عاتق القوات البريطانية ، وتكون ذات نفع حقيقي لبريطانيا في اية حالة طارئة » ٠

اما بريطانيا فلم يكن قد قر قرارها على ان مهمتهـــا قد انتهت بعد ٠ وكانت ترى ان عليها ان تستمر في لعبــــة التوازن التي لعبتها منذ الاحتلال ٠ ولذلك اقترحت :

١ ـ تقسم فلسطين الى مناطق عربية ويهودية حسب توزيع السكان في الوقت الحاضر ٠

٢ ـ تحدد الهجرة سنويا وتحدد الاراضي الزراعيـــة التابعة للمناطق اليهودية ٠

٣ ـ تمنع الهجرة الى المناطق العربية ٠

٤ ـ تحدد الهجرة الاجمالية الى فلسطين لا للاسباب الاقتصادية فقط بل للاسباب السياسية ٠

٥ ـ لا تنشأ دولة عربية في فلسطين ٠

٦ ـ ينشأ مجلس تشريعي تكون اكثريته عربية ٠

ثم عرض البريطانيون مقترحات اخرى مطاطة اعترض عليها العرب والصهيونيون ٠ وانتهى المؤتمر دون اتفاق ٠ وبعد انتهاء المؤتمر اضرب العرب واليهود وتظاهروا احتجاجا ، وحدثت اغتيالات متبادلة بين العرب واليهود واعمال عنف (٢١٣) ٠

وحين بدأت الحرب قامت بعض الصحف العربية بمناشدة العرب ان يتحدوا ٠ وان يقفوا الى جانب بريطانيا ٠ كما قام بعض الوجهاء بزيارة المندوب السامي معربين عن ولائهم ٠ اما المفتي فسرعان ما غادر بيروت الى بغداد ٠

وكانت العلاقات بين العرب واليهود ، قد اخذت بالتحسن على الرغم من استمرار تدفق الهجرة ، ومن اكتشاف مخابىء اسلحة في بن شمن (١٩٤٠/١/٢٢) ، وعلى الرغم من التأخر في تنفيذ سياسة الكتاب الابيض في ميدان بيع الاراضي ٠ وقد اظهر العرب مودة كبيرة للحجاج اليهود الى مقابر راحيل وابراهيم (٢١٤) ٠

....

٢١٣ ـ طربين ، احمد : **المرجع السابق** ، ص ٣٧٦ ٠

٢١٤ ـ John, Robert, & Hadawi, Sami : *Ibid.*, p.p. 329-330, 331.

ومع ان الصراعات التي نشأت عن الثورة اخذت تسوى ، والمنفيين اختياريا قد اخذوا يعودون ، بما في ذلك ثلاثة من اعضاء اللجنة التنفيذية ، فان بعض العرب كانوا ناقمين على بريطانيا ، وكانوا يتمنون النصر لاعدائها ٠

وحين قامت حركة رشيد عالي الكيلاني توجهت نحوها قلوب العرب ، على اعتبار انها حركة استقلالية وطنية ٠ واعد الحاج امين مجموعات من الثوار وأنزلهم في فلسطين ، فاسر بعضهم وهرب آخرون ، ولم يستطيعوا ان يقوموا بحرب عصابات جديدة ٠

ولكن حركة رشيد عالي الكيلاني سحقت ، وهي وليدة بعد ، وخابت معها آمال كبيرة ٠

وكانت في هذه الاثناء الدعاية الالمانية ـ الايطالية ناشطة في الوطن العربي ضد الحلفاء ٠ وقد اصدر هتلر توجيهه رقم ٣٠ الذي جاء فيه : « ان انتصار دول المحور سوف يحرر اراضي الشرق الاوسط من النير البريطاني ، وسوف يعطيهم حق تقرير المصير » (٢١٥) ٠

وجرت محاولة سنة ١٩٤٣ في فلسطين لاستئناف العمل الوطني ، بعد اندحار حملة رومل في العلمين ، وبعد الانتصار السوفياتي في ستالينغراد ٠ ولكن هذه المحاولات لم تؤد الى شيء (٢١٦) ٠

---

٢١٥ ـ John, Robert, & Hadawi, Sami : *Ibid.*, p.p. 328, 339.

٢١٦ ـ John, Robert, & Hadawi, Sami : *Ibid.*, p. 347.

وكانت الحركة الصهيونية قد بدأت نشاطها منذ الايام الاولى للحرب · ولقد استهدف هذا النشاط في المرحلة الاولى (١٩٣٩ ـ ١٩٤٣) ما يلي :

اولا : الحصول على تأكيد من بريطانيا بأنها ستؤيد انشاء دولة صهيونية في فلسطين بعد الحرب · ولقد فاتح وايزمن ونستن تشرشل بهذا يوم ١٧ كانون الاول سنة ١٩٣٩ ، قبل ان يسافر وايزمن الى الولايات المتحدة ، فوافقه تشرشل على ان تقوم دولة صهيونية في فلسطين من ثلاثة الى اربعة ملايين بعد الحرب (٢١٧) ·

ثانيا : ضمان الغاء سياسة الكتاب الابيض · وقد هزم مشروع قانون انتقال الاراضي يوم ٦ آذار ١٩٤٠ في مجلس العموم بمائتين واثنين وتسعين صوتا ضد مائة وتسعة وعشرين (٢١٨) ·

ثالثا : ضمان تدفق الهجرة ، بالطرق المشروعة وغير المشروعة · وكانت قد أنشئت سنة ١٩٣٧ « لجنة الهجرة غير الشرعية » التي عرفت باسم « موساد لعلياه بيت »· قامت هذه اللجنة بحملة مخططة أدت الى وقوع عدد من الحوادث المؤسفة · ومن تلك الحوادث حادثة السفينة س·س باتريا (S.S. Patria) التي كانت راسية في ميناء حيفا ، وكان من المفروض ان تقل عددا من المهاجرين الذين وصلوا

---

٢١٧ ـ John, Robert, & Hadawi, Sami : *Ibid.,* p. 335.

٢١٨ ـ John, Robert, & Hadawi, Sami : *Ibid.,* p. 334.

على ثلاث سفن في هجرة غير شرعية · وقد نسفت باتريا بمن عليها ، وسكان حيفا من اليهود يشاهدونها ، فقتل ٢٥٢ مهاجرا يهوديا وبعض رجال الشرطة الانجليز يوم ١٩٤٠/١١/٢٥ · وقد كشف التحقيق ان العملية نظمتها اوساط صهيونية ارهابية احتجاجا على رفض بريطانيا السماح بالهجرة (٢١٩) · وقد ادت هذه العملية الى استبقاء الذين عاشوا من المهاجرين في هجرة غير شرعية ، والاعلان عن عدم قبول مهاجرين جدد · وزاد في الوقت عينه ضغط الدوائر الصهيونية من اجل دخول المزيد من المهاجرين الى فلسطين ·

رابعا : انشاء قوات مسلحة صهيونية · وقد جعل وايزمن قضية انشاء هذه القوات جزءا ملحقا بتعهداته لتأييد الحلفاء في الحرب · وكان الغرض من انشاء القوات :

١ ـ ان يساعد « تجنيد اليهود الفلسطينيين في وحدات عسكرية ··· على تكوين نواة جيش يهودي يمكن ان يقارع المعارضة العربية عندما ينادي بالدولة اليهودية » ·

٢ ـ « ان تمثل الوحدات اليهودية الشعب اليهودي رسميا ، وان تحارب في ظل راية يهودية» (٢٢٠) ·

---

٢١٩ ـ تايلر ، الدكتور الن : **المرجع السابق** ١٠٢ ـ ١٠٣ ·
John, Robert, & Hadawi, Sami : *Ibid.,* p.p. 337-338.

٢٢٠ ـ تايلر ، الدكتور الن : **المرجع السابق** ، ص ٩٧ ·

وكانت الحركة الصهيونية قد فتحت باب التطوع سنة ١٩٤٠ من اجل انشاء جيش يحارب مع الحلفاء • وقد سجل اكثر من ١٣٤ الفا انفسهم ، « شريطة ان يجندوا على اساس انهم يهود ، في وحدات يهودية معترف بها للخدمة في فلسطين » • ولكن العرض لم يقبل آنذاك •

ولكن تقدم رومل مع ربيع سنة ١٩٤٢ نحو مصر ، وتقدم الجيش الالماني نحو القوقاس اوجد المبرر للبريطانيين كي يعدوا الهاغاناه لحرب عصابات مضادة للالمان • وقد توصل فرع خاص من القيادة البريطانية العامة في الشرق الاوسط بقيادة ب•ت• ولسن الى اتفاق مع الحركة الصهيونية، ينص « على تسليح قوات الهاغاناه الغوارية وتدريبها لتعمل عمل المغاورين في حالة دخول رومل الى فلسطين » • وقد قامت المنظمات اليهودية الرسمية من نيسان الى تموز ببذل جهود عظيمة من اجل التجنيد • ورافق حملة التجنيد هذه حملة في فلسطين وبريطانيا والولايات المتحدة من اجل انشاء «جيش يهودي » (٢٢١) •

ولكن البريطانيين لم ينشئوا جيشا يهوديا بل انشأوا كتائب عربية ـ يهودية مشتركة • وما كان هذا ليرضي الحركة الصهيونية • وحين بدأ انتصار الحلفاء اكثر احتمالا، مع بداية سنة ١٩٤٣ • بدأت المنظمات الصهيونية نشاطا ارهابيا ضد سلطات الاحتلال البريطاني ، استهدف ضمان تحقيق الوعود بعد النصر • وتمثل النشاط الارهابي الصهيوني في عمليات اغتيال ضد الجنود والضباط والشرطة

....

٢٢١ـ John, Robert, & Hadawi, Sami : *Ibid.*, p.p. 329, 345, 346.

البريطانيين وعمليات استيلاء على الاسلحة الخ · ويبدو ان اثارة الاضطرابات كانت لها علاقة بمؤتمري القاهرة وطهران اللذين عقدا ما بين ١١/٢٢ و ١٢/١ سنة ١٩٤٣ ، واللذين كان يعتقد الصهيونيون بأنه سيكون لهما أثر على سياسة ما بعد الحرب · ومن الجدير بالذكر ان هذه الاضطرابات كانت موجهة ضد الانجليز وليس ضد العرب ·

وما لبث البريطانيون ان خضعوا للالحاح الصهيوني المتواصل ، فأعلنوا في العشرين من ايلول سنة ١٩٤٤ تكوين لواء يهودي ، لـه علمـه الخاص ، وقد عمل هـذا اللواء في ايطاليا · أما علمه الذي استخدمه فليس الا علم « اسرائيل » اليوم ·

لقد بدأت كفة الحلفاء ترجح رجحانا واضحا ، وبدأت بريطانيا تهيء لانشاء الدولة الصهيونية · اما الحركـة الصهيونية فبدأت الحاحها الهادف · وقبـل ان يمضي شهر على تشكيل اللواء اليهودي ، « طلب مكتب الوكالة اليهودية في لندن من الحكومة البريطانية ان تعين حكومة يهودية في فلسطين وان تـأذن بدخول البلاد لمليون ونصـف المليون من اليهود ، وذلك لتوفير اغلبية كافية للمناداة بالدولة » (٢٢٢) · وكان وايزمن قد وصل الى اتفاق مع تشرشل حول قيـام الدولة الصهيونية بعد الحرب ، وهذا ما ذكرناه ، كما انـه ناقش هذا الموضوع مجددا مع تشرشل وحصل على موافقته

....

٢٢٢ ـ تايلر ، الدكتور الن : **المرجع السابق** ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ ·

في اقامة دولة صهيونية في فلسطين ، « وانه لم تكن في فلسطين كلها » (٢٢٣) ·

وانتهت الحرب ، فبدأ الصهيونيون يمارسون ضغطهم لتنفيذ برنامج بلتيمور · وكان طبيعيا ان يتجهوا الى الولايات المتحدة الاميركية أساسا · ولم يخب ترومان فألهم ، اذ طلب ان يسمح لمائة الف يهودي بدخول فلسطين · فرد عليه رئيس الوزرا البريطاني ، اتلي ، مذكرا بالوعود التي اعطيت للعرب · ولكن الضغط الاميركي استمر ، فاقترحت بريطانيا تكوين لجنة انجليزية ـ اميركية مشتركة لدراسة القضية · ولم يوافق الصهيونيون على هذا الاقتراح ، وابرقوا الى الرئيس ترومان في ٣٠ـ١٠ـ١٩٤٥ طالبين الغاء فكرة ارسال اللجنة واعلان سياسة تلغي الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ وتنفذ هدف « وعد بلفور » ، وهو ، كما يزعمون ، « ايجاد دولة يهودية » ·

وقد جاءت اللجنة سنة ١٩٤٦ الى فلسطين ، ودارت داخلها نقاشات ، وقدمت لها تقارير من الضروري ان نقدم منها باختصار ما يجلي حقائق موضوعنا ·

وسنبدأ بالطرف العربي ·

كان مما دار ان جمال الحسيني ، رئيس الحزب العربي، وجه حديثه الى الانجليز قائلا :

« انكم لو انسحبتم لمد اليهود ايديهم الينا ولقابلناهم نحن بالاحضان » (٢٢٤) ويدور بعد ذلك الحوار التالي :

---

٢٢٣ ـ تايلر ، الدكتور الن : **المرجع السابق** ، ص ١٠١ ·

٢٢٤ ـ الشقيري ، جميل : **كتاب مجموعة الشهادات والمذكرات سنة ١٩٤٦** ، ص ٧٢ ·

س ـ ما هو موقف اللجنة العليا من اللاسامية ؟

جـ ـ انها عدوتنا ، فلولاها لما جاء اليهود الى هنا . فلقد كان اليهود جيرانا طيبين معنا قبل الصهيونية .

س ـ وكيف يكون وضع اليهود في الدولة التي تقيمونها ؟

جـ ـ نفس الحقوق والواجبات كاليهود في مصر والعراق وامريكا .

ـ ما هي الضمانات لذلك ؟

ج ـ في الدستور .

المستر كروسمان :

س ـ هل ستكون هذه الدولة ديمقراطية ؟

جـ ـ طبعا (٢٢٥) .

وأكد سامي طه ، رئيس جمعية العمال العرب ، في شهادته ، ان العمال العرب يؤيدون المطالب القومية التي تقدمت بها اللجنة العربية العليا . وتناول النقاش بينه وبين اللجنة موضوع وحدة النقابات « بدون تمييز على اسس عنصرية او دينية » . ولقد اجاب : « بأن هذا هدفنا ـ ونحن نوافق من حيث المبدأ على ذلك ، ولكن لا يمكن تحقيق ذلك في فلسطين » . وكان سامي طه يرى (« ان غاية الصهيونية الاحتلال واجتماع القوى الجماهيرية من الشعبين » يبدد حركتهم ») . ولكن هذا لن يصبح ممكنا الا اذا زالت الصهيونية (٢٢٦) .

....

٢٢٥ ـ الشقيري ، جميل : **المرجع السابق** ، ص ٧٤ .

٢٢٦ ـ الشقيري ، جميل : **المرجع السابق** ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

وادلى البرت حوراني ، امام اللجنـــة بشهادته · وكان البرت اوضح في تعابيره من سابقيه · انه يؤكد ، كما اكدت الحركة الوطنية دائما أن الصهيونيين : « لا يريدون الهجرة لنفسها بل يطلبونها كخطوة لتحقيق السيطرة السياسية ··· » وهو يؤكد أيضا ان العرب أرغموا « خـــلال خمسة وعشرين سنة على قبول هجرة لا يريدونها » · ويضيف : « ومع هذا ، فانهم يقبلون بلسان زعمائهم والناطقين باسمهم ، بأن يعطوا حقوق المواطنين لنصف مليون من اليهـــود ، ويرضون ان يؤلفوا واياهم مجتمعا واحدا ··· »

ويكشـف البـرت حـوراني في هـذه الشهـادة ان جمال الحسيني ، الناطق بلسان الوفد العربي في مؤتمر لندن سنة ١٩٣٩ أبلغ المؤتمر : « ان اليهود يعطون تحت الحكم العربي حقـــوق المواطنين كاملة · ويكون لهم حكمهم الذاتي في المناطق اليهودية ، وتكون اللغة العبرية هناك لغة رسمية ، الى جانب اللغة العربية ، ويعطون نصيبهم كاملا في ادارة البلاد » (٢٢٧) ·

ولـم يكن هذا رأي المثقفين والقادة السياسيين فقط · ذلك اننا نسمعه في كل مكان · وعندما زارت لجنـــة التحقيق الانجلو ـ اميركية قرية ترشيحا اكد هذه الحقيقــة رئيس المجلس المحلي في القرية · وعندما سألته اللجنة عن الحل اجاب : «الحل الطبيعي هو اعـلان استقلال البلاد وتسليمهـا لاهلها · وانا اعتقد ان اليهود الموجودين بفلسطيـــن الان

٢٢٧ ـ جانا ، محمد توفيق : **الشهادات امام اللجنة الملكية ١٩٣٧** ، دمشق ، ص ١٤٦ ·

يمكنهم العيش في الدولة العربية الفلسطينية بسلام ، وتكون حقوقهم محفوظة ، كما كانوا سابقا » ٠

ولما كان في ترشيحا عدد من السكان اليهود سألت اللجنة رئيس المجلس المحلي ، عما اذا كانت قد حصلت عليهم تعديات خلال الاضطرابات ، وقد اجاب رئيس المجلس المحلي : « ان الثائرين من العرب كانوا يأتون الى هذه القرية ٠ وقد أمنوا اليهود على ارواحهم واملاكهم ، وقالوا لهم انتم يهود عرب ، ونحن اخصام للصهيونية والاستعمار فقط ، ولم يعتد عليهم ولا على املاكهم احد » (٢٢٨) ٠

ويتجاوز التقرير الذي قدمه المكتب العربي الى لجنة التحقيق كل ما سبق ، من حيث الوضوح في هذا المجال ٠ فالعرب ، كما يقول التقرير « لا يريدون ان يضعوا اليهود في موقف الاقلية » ، « ولا ان يرجعوهم إلى الغيتو » « اذ ان العرب يعرضون على اليهود حقوقا تامة في الرعوية الفلسطينية ، وفي الحقوق السياسية ، وفي الحكومة » ٠ ولهذا لا « يمكن وصفهم بأنهم تحت الحكم البروتستانتي » ٠

ويؤكد التقرير « ان نتيجة هذه التجربة لا تتوقف فقط على موقف العرب من اليهود ، ولكنها تتوقف على موقف اليهود من العرب » ٠

ويقترح التقرير ان تكون الدولة ديمقراطية (المساواة في الحقوق التامة والفرص لجميع السكان بغض النظر عن الجنس والدين) ٠ وان تكون لغة الدولة اللغة العربية ، على

٢٢٨ ـ جانا ، محمد توفيق : **المرجع السابق** ، ص ١٧٦ ـ ١٧٧ ٠

ان تكون اللغة العبرية « لغة رسمية في التشريـــــع والادارة والتعليم » · ويرفض التقرير ان تكون الدولة طائفية ، كما هي في لبنان مثلا « من اجل سلامة الدولة واستقرارها » ·ولذلك فان التعيينات والترقيات تكون على اساس الكفاءة ، لا على اي اساس آخـــر · ويتمتع اليهود بحكم ذاتي بلــدي ومجالس منتخبة في اماكن تجمعهم ، ويكون الموظفون الرسميون في مثل هذه المناطق ، على الاغلب ، من اليهود ·

ولا يرى التقرير غضاضة من تعاون الدولة مع الوكالة اليهودية ، ما دامت « تكرس نفسها لازدهار الشعب اليهودي وغيره ···» ·

اما الحرية الدينية ، فهي حرة ومصونة ، ولليهـــــود الحق في ادارة الاموال اليهودية الدينية ، وتنظيــــم شؤون الاحوال الشخصية وفقا لشريعتهم ·

ولكن هذا كله في نظر التقرير يستلزم ان يتحقق العرب واليهـــود مـــن انــــه : « يقتضي عليهـــم ان يعيشوا سوية بأية طريقـــة ، ويتعلموا التعـــــاون كمواطنين انــــداد في دولة مشتركة » ·

الا ان اليهود الذين يتحدث عنهم التقرير هم : « الذين دخلوا فلسطين ، وحصلوا على الجنسية الفلسطينية بالطرق الشرعية » · ومع ان هذه النقطة هامة ومعقدة ، اذ ليس من السهل تحديد الشرعية ما دامت الهجرة كلها مرفوضة ،فانه كان من السهل تسوية هذه القضية ، وقضية اليهود الذين

لم يحصلوا على الجنسية الفلسطينية بأي شكل من الاشكال (٢٢٩) ٠

اما الطرف الصهيوني فكان يذهب مذهبا آخر ٠

عندما سئل وايزمن الا تعتقد بانه سيكون ظلما للعرب حين تقوم دولة صهيونية على ارضهم اجاب :

« سيكون هناك ظلم ٠٠٠ »

وسأله مستر كروم :

ـ هل تعتقد بأن كلمة يهودي ضرورية ، واذا كانت كذلك فلماذا ؟

اجاب :

ـ « اننا نأتي بيهود » ٠

واستمر الحوار :

ـ « ما يدور في ذهني هو هذا : لديكم الآن اغلبية عربية في فلسطين ٠ وتتضمن كلمة « دولة يهودية » ، اليس كذلك ؟ فرض اغلبية جديدة علىاغلبية موجودة ٠ أليس هذا صحيحا » ؟

ج ـ « انه كذلك ، نعم » ٠

س ـ « ما اود معرفته ، هو كيف يبرر ذلك في الممارسة الديمقراطية » ٠

....

٢٢٩ ـ المكتب العربي : مشكلة فلسطين ، عرض عام ، المواد التي عرضت على لجنة التحقيق ، آذار ١٩٤٦ ، الصفحات ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ٠

جـ ـ («ان كلمة «فرض» تعني دائما استخدام القـــوة ٠ حسنا ، اذا استقدمت يهودا الى البلاد ، وسمحت لهم ان يقيموا ، واتحت الفرصة للبلاد كي تتطور الـــى حدها الاقصى ٠ وان تستوعب اكثر مـــا يمكن ان تستوعب ، فان اغلبية ستـوجد ٠ وأنـا لا أعتقـــد انه ليس ديمقراطيا اذا ما تم دون ايذاء الآخرين ») ٠

ويضيف وايزمن :

« اذا ما وجدت هنالك دولة يهودية ، فانني اعتقـــد بأنه سيكون للعرب الحرية الكاملة في الدين والثقافة واللغـــة والاستقلال الذاتي في تنظيماتهم البلدية ٠ وسيكونـــون قادرين على التعبير عن أنفسهم الى الحد الذي يستطيعون » ٠

ويضيف قائلا :

« انني اعترف في بياني الرئيسي ان حلنا يتضمـــن قدرا مجددا من الظلم ، ولكن المسألـــة هي خط الظلـــم الاقل ٠٠٠ »

اما بن غوريون ، فقد كان رأيه ان القضية الصهيونية تقوم على مبدئين :

الاول : ان اليهود ككل المخلوقات ولذلك فان لهـــم نفس الحقوق ٠

الثاني : ان فلسطين كانت ارضهـــم دائما وانها « سوف تبقى » وانهم هنا لانه من حقهم ٠

ويضيف بن غوريون :

« لقد قرر التاريخ ان نعود الى بلادنا ، وان نعيد هنا بناء الدولة اليهودية ، وسوف تقوم الدولة اليهودية ، يعرف ذلك كثير منكم ، كما نعرفه نحن » ٠

وحين تحدث موشي شرتوك ، اشار الى انه اوضح لنوري السعيد خلال زيارته لفلسطين سنة ١٩٣٦ « ان الموافقة على تعليق الهجرة من اجل ان يوضع حد لعنف العرب يعني التنازل للسيادة العربية على فلسطين ، ومن ثم الذهاب الى العرب ومناشدة رحمتهم من اجل اعادة فتح الابواب ٠ وقد اوضحت ان هذا ليس بالامكان ان نفعله » ٠

وبعد ان أشار الى ضرورة وجود دولة يهودية على اعتبار انها ضرورة ملحة حدث بينه وبين كروسمان، عضو اللجنة الحوار التالي :

كروسمان : اخبرتنا كيف نشأت في قرية عربية ٠ اريدك ان تتصور انك ترعرعت عربيا ، بدلا من ان تكون يهوديا ٠ كيف كان يمكن ان يفكر شرتوك العربي على ملاحظة شرتوك اليهودي عندما تكلم عن الارض قدما بقدم وتحويلها الى ارض يهودية ؟

شرتوك ـ انني استطيع ان اتصور شعوره مقلقا فيما يتعلق بها ٠

كروسمان : هل استخدمت كلمة قلق ؟

شرتوك : انني استطيع ان اتصور كونه معارضا لها ، واستطيع أن أقول معارض بقوة لها ٠

كروسمان : هل تستطيع تصوره يقود حركة وطنية ضد اليهود هنا ؟

شروتوك : من المؤكد جدا ٠

كروسمان : الا تعتقد ان ذلك الوصف المحدد للمساعي بالاستيلاء على الارض قدما قدما وتحويلها الى ارض يهودية ، من باب اولي ان يخلق علاقات جيدة بين اليهود والعرب ، وانه من الممكن ان يخلق صراعا اجتماعيا ؟

شرتوك : قد يخلق ٠

كروسمان : وهكذا فان تعابيرك في حديثك عن ارائك بشأن السياسة الخاصة بالاراضي ووجهات نظرك في الشؤون السياسية انت توافق انها لم تفد ؟

شرتوك : اوافق ٠

وحاول الجانب الصهيوني ان يقنع عرب فلسطين ، والعرب اجمعين بأن تحول العرب في فلسطين الى اقلية ليس كبقاء اليهود اقلية ٠ وذلك للاسباب التالية :

١ ـ لانه ليس بالموقف المتحرر ان يهمل العرب اراضيهم الواسعة ويحسدوا اليهود على الفرصة الاكثر ضآلة التي اتيحت لهم ، في هذا الوقت خاصة الذي علقت فيه بقايا المذبحة لليهود انظارها على وطنها القومي ٠

٢ ـ « ان وجود فلسطين يهودية لا يحرم العرب من حقوقهم السياسية والدولية ، القائمة على اساس امتلاكهم

ست دول مستقلة ، وميزات تمثيل كـــريم في المنظمـــات الدبلوماسية والدولية ٠٠٠ »

٣ ـ « تستطيع الاقلية العربية في فلسطين ان تعتمد على ست دول ذات سيادة للدفاع عن وضعها ٠٠٠٠ » (٢٣٠) ٠

واكدت احدى مذكرات الوكالة اليهودية الى « لجنـة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين » سنة ١٩٤٧ ما يلي :

اولا : ان الذين وضعوا سياسةالانتداب كانوا «يؤكدون مبدأ التساوي في الحقوق بالنسبة لليهود ، كما هي الحال بالنسبة الى كل الشعوب » ٠

ثانيا : « ان تحقيق الغايات الصهيونية لا يوقـع اي اذى حقيقي بالعالم العربي ، ولا يدخل عوامل ردة وعـدم استقرار في مجتمع الشرق الاوسط » ٠

ثالثا : « ان فلسطين لا يمكن ان توصف بأنها بلـــد عربي ، سيان من حيث الاهمية التاريخية ، او بالنظـــر الى القوى التي تكون الان طابعها السياسي والاجتماعي »٠

رابعا : « ان العرب ، ينسون عندما يطالبون باضافة فلسطين الى منطقة سيادتهم العربية ، ان حق تقرير مصير

---

٢٣٠ ـ The Jewish Agency : *The Jewish Case, before the Anglo - American Committee of Inquiry on Palestine,* p.p. 23, 42, 43, 54, 105, 133, 134, 343.

شعب يمكن ان ينفذ الى الدرجة التي يحبط فيها كليا حق تقرير المصير بالنسبة لشعب اخر » (٢٣١) ·

هذا كان موقف العرب الرسمي ، وهذا كانت الموقف الرسمي للصهيونية · العرب ما زالوا مصرين على الاستقلال وقيام حكم ديمقراطي موحد ، يضم جميع السكان ، ويمثل السكان جميعا ، والحركة الصهيونية ما زالت مصرة على قيام « دولة يهودية » وتحويل العرب الى اقلية ·

ومع انتهاء الحرب ، وبروز الولايات المتحدة على المسرح العالمي قوة جديدة هائلة ، طامعة بالاسواق ومناطق النفوذ كانت مرحلة جديدة تطل على العالم بآفاقها · وكانت هذه المرحلة تحمل معها مشروع قيام دولة صهيونية ، ضمن آفاق السيطرة الامبريالية على العالم ·

وكان شعبنا ما زال يرفض ان تضيع ارضه · وكان تسارع الاحداث يزيد من قلق الناس وتخوفهم · وتعكس القرارات النهائية للمؤتمر العام الثالث لمؤتمر العمال العرب في فلسطين مطامح جماهيرنا في هذه المرحلة · جاء في هذه القرارات :

« ··· يؤيد المؤتمر كل هيئة وطنية تعمل لتحقيق الاهداف الوطنية التالية :

---

٢٣١ _ The Jewish Agency for Palestine : *Zionism and the Arab World*, Memorandum, submitted to the United Nations Special Committee on Palestine, Jerusalem, July, 1947, p.p. 5, 6, 10.

أ ـ الغاء الانتداب ٠

ب ـ جلاء الجيوش الاجنبية بكاملها جلاء تاما ٠

جـ ـ استقلال فلسطين استقلالا تاما ناجزا ٠ غير مقرون بقيد او شرط واقامة حكم ديمقراطي ٠

د ـ منع الهجرة اليهودية منعا باتا ٠

هـ ـ حماية الفلاح العربي ومنع بيع الاراضي ٠

وتضيف القرارات :

يرفض المؤتمر رفضا باتا مشروع التقسيم وجميع الحلول الاستعمارية لقضية فلسطين ٠٠٠٠» (٢٣٢) ٠

وعقدت سلسلة اجتماعات في بئر السبع لمنع تسرب الاراضي العربية الى اليهود (٢٣٣) ٠

وكانت مقررات اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب منسجمة مع قرارات مؤتمر العمال العرب ٠ وكانت اللجنة التنفيذية قد عبرت عن شعورها « ٠٠٠ بضرورة استعداد كل فرد من ابناء الامة وكل هيئة من هيئاتها للمساهمة في الواجب الوطني والمحافظة على عروبة البلاد ٠ ويرى ضرورة تعبئة جميع جهود الافراد والهيئات لتحقيق هذه الغاية » (٢٣٤) ٠

....

٢٣٢ ـ جريدة الشعب ، يافا ، كنعان ابو خضرا ، ٤٧/٩/١٦ العدد ٢٦١ ٠

٢٣٣ ـ جريدة الشعب ، المرجع السابق ، ٤٧/٩/١٨ العدد ٢٦٣ ٠

٢٣٤ ـ جريدة الشعب ، المرجع السابق ، ٤٧/٩/١٩ العدد ٢٦٤ ٠

وطالبت الهيئة العربية العليا باعلان الاضراب يوم ٣ ـ ٦ بمناسبة بحث الجمعية العامة المشكلة الفلسطينية (٢٣٥) ٠

وحين خطب جمال الحسيني امام اللجنة الخاصة بفلسطين قدم مشروعا ، تضمن النقاط التالية :

١ ـ تأسيس دولة عربية ديمقراطية تشمل جميع انحاء فلسطين ٠

٢ ـ ستحترم الدولة العربية الحقوق الانسانية والحريات الاساسية وستحافظ على مبدأ المساواة بين الاشخاص امام القانون ٠

٣ ـ ستحافظ الدولة العربية على حقوق الاقليات القانونية ٠

واضاف جمال الحسيني : « يناضل العرب ضد الحركة الصهيونية والغزوة الصهيونية التي لا علاقة لها باللاسامية » (٢٣٦) ٠

واعلن مندوب الوكالة اليهودية قبول التقسيم وقال : « ان مشروع التقسيم الذي وضعته لجنة التحقيق لا يرضي اليهود لانه ينتقص من حقوقهم ، ووعد بلفور لم ينطو على التقسيم البتة ٠٠ » واشار المندوب الى انه على الرغم من « ٠٠٠ ان اليهود يتحفظون على مشروع التقسيم الا انهم

٢٣٥ ـ **جريدة الشعب** ، المرجع السابق ، ٤٧/٩/٢٩ العدد ٢٧٢ ٠

٢٣٦ ـ **جريدة الشعب** ، المرجع السابق ، ٤٧/٩/٣٠ العدد ٢٧٣ ٠

على استعداد لقبوله · وكذلك يبدون استعدادهم لقبـــول البند الذي يرمي الى الاتحاد الاقتصادي ، ولكن يجـــب ان يكون بيد الدولة اليهودية جميع الوسائل الاقتصادية والمالية التي تساعد في زيادة الهجرة اليهودية ···» (٢٣٧) ·

وكانت الحركة الصهيونية قد بدأت في هذا الوقت اعمالها الارهابية ضد العرب ، هذه المرة ، وليس ضد البريطانيين ·

لقد اصبحت البلاد على ابواب المأساة ·

....

٢٣٧ ـ **جريدة الشعب** ، المرجع السابق ، ٣/١٠/٤٧ العدد ٢٧٦ ·

الفصل الثالث

المصير الفاجع لتجربة العمل المشترك

كانت تجربة الحزب الشيوعي في العمل المشترك ، القائم على أساس توحيد ارادة الجماهير العربية واليهودية تحت راية موحدة ، ومن اجل اهداف موحدة، تجربة رائدة ووحيدة. ولانها كانت تجربة رائدة ووحيدة ، فانها تستحق الدرس .

ويحاول هذا الفصل من الدراسة ان يلقي ضوءا على هذه التجربة من زاوية واحدة ، هي الصراع العربي ـ الصهيوني وما يدور حوله . كما أنه يحاول ان يكشف كيف كانت تتحطم محاولات العمل المشترك على صخرة الدعاوى الصهيونية المضللة .

يمكن تقسيم تاريخ الحركة الشيوعية في فلسطين ، قبل قيام دولة الاحتلال الصهيوني الى ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى (١٩١٩ ـ ١٩٢٩) : مرحلة التكوين .

بدأت قوافل المهاجرين اليهود تفد الى فلسطين ، بعد نهاية الحرب العالمية الاولى ، وصدور وعد بلفور . وكان بين الوافدين سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ عدد كبير من الاشتراكيين ،

ولكن عدد الشيوعيين ، ما عدا الرسـل شبه الرسميين للكومنترن ـ كان قليلا(١) ٠

ومما يجدر بالذكر أن بعض اعضاء منظمات الطـلائع (Ha lutzim) اصبحوا شيوعيين في ذات السنة التي وصلوا فيها فلسطين(٢) ٠ ولكن كثيرا من الذين كانوا يتحولون الى شيوعيين كانوا يغادرون فلسطين ، لاقتناعهم بأن لا أمل بقيام اسرائيل ٠ وهكذا « اصبح الحزب مخيم ترانسيت » (٣) ٠

أسست ، سنة ١٩٢٠ ، الجماعات المنشقـة عن الاحزاب العمالية في فلسطين واوروبا الشرقيـة منظمة سياسية ٠ انبثقت هذه المنظمة عن مؤتمر عقد في ايلول ٠ ولم تكن ضـد الصهيونية كلية ، اذ انهـا كانت تدعو الى « صهيونيـة بروليتارية » ٠ هذه المنظمة هي « حزب العمال الاشتراكي » (Mifleget Poalim Sozialistin) ٠ وكـانت هذه الحركة تؤمـن بأن الصهيونية البروليتـارية لا تتحقق الا بالثـورة الاشتراكية ٠ أما كيف تتحقق الثورة الاشتراكية ؟ يبدو أن اعضاءها : « كانوا يحلمون بأن الجيش الاحمر الجبار سيعبر القوقاس وجبال طوروس ويقدم لهم فلسطين سوفياتية » ٠

وكان هذا الحزب ينتهج سياسة متناقضة ٠ فهو من جهـة ضد الهدف الذي يوحد كل المنظمات الصهيونية : « بنيـان الارض » (Binyan ha'aretz) اي قيام اسرائيل ، ولكنه في

---

١ ـ Laqueur, Walter : *Communism and Nationalism in the Middle East*, Routledge and Kezan Paul, London, p.p. 74-75.

٢ ـ Laqueur, Walter : *Ibid.*, p. 75.

٣ ـ Laqueur, Walter : *Ibid.*, p. 75.

الوقت ذاته يساهم في انشاء الاتحاد العام للعمال اليهود (الهستدروت) ، مع أن هذا الاتحاد كان يهوديا خالصا ، وكان انشاء اسرائيل من اهدافه الاساسية ، ان لم يكن روح اهدافه٠ ولا يستبعد ان يكون عمله في الهستدروت تكتيكا يستهدف التغلغل في اوساط العمال واستقطابهم ، لان الحزب الجديد ، مع انه كان يحلم بالجيش الاحمر الجبار ، لم يحاول قط ان ينضم للكومنترن، وما من تفسير لذلك غير ادراك الحزب بأن انضمامه للكومنترن سيعزله عن قطاعات من الجماهير لا ترتاح الى أية علاقة وثيقة مع الثورة الاشتراكية آنذاك ٠

لم يعش هذا الحزب أكثر من عام ٠ ذلك انه تشتت عمليا في اضطرابات ايار من سنة ١٩٢١ ٠ وكان سبب هذه الاضطرابات أن مظاهرة شيوعية مستقلة ، اصطدمت مع مظاهرات الاتحاد العام للعمال في يافا ٠ تلا ذلك هجمات قام بها العرب على الاحياء اليهودية في تلك المدينة٠ وما كان من السلطات البريطانية الا ان اعتبرت الحزب مسؤولا ، فاعتقلت معظم قادته وابعدتهم عن البلاد ٠ ومن هؤلاء ولف اوفرباخ (ابوسيان) (Wolf Averback) وغرسون ديا (Gherson Dua) المعروف بـ (Avigdor) والمنظر اسحق ميزسون (Yitzhak Meizson) (٤) ٠

كانت جماعة أخرى تعمل من خلال « عمال صهيون » في الوقت الذي تشتت فيه « حزب العمال الاشتراكي » ٠

……………………

٤ _ Laqueur, Walter : *Ibid.,* p. 76.

وحين اكتسبت هذه الجماعة بعض القوة داخل « عمال صهيون » قررت انشاء حزب شيوعي سري · ولكن الحزب الجديد اربكته منذ البدء صراعات داخلية ، دارت حول الموقف من «الصهيونية البروليتارية» · وكانت قيادة الحزب تلتزم خط التهدئة بين الطرفين المتناحرين ، تؤيدها في ذلك الاغلبية من اعضاء الحزب · الا ان الاقلية اليسارية انشقت في مؤتمر الحزب الرابع الذي انعقد في ايلول سنة ١٩٢٢ ، وكونت حزبا شيوعيا جديدا اسمه (K.P.P.) كان الشعار الرئيسي للحزب الجديد : « اهربوا من جحيم الصهيونية »·

قامت حرب ضروس بين الطرفين ، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها كل منهما في سبيل استقطاب اعضاء جدد ، فان الثمرة كانت ضئيلة نتيجة الصراع الداخلي · ولكن الطرفين عادا فاتحدا سنة ١٩٢٣ ، بعد ان قبلت الاكثرية بمبادىء الاقلية · وكان من نتيجة التوحيد ان اصبح الهدف الرئيسي للحزب : «محاربة الصهيونية في كل اشكالها ، فضح الخدعة الصهيونية المفلسة ، النضال ضد الصهيونية ليس في فلسطين فقط بل في اوروبا : تحذير الشباب اليهودي من الهجرة» · ولهذا اعتبر النضال ضد «الصهيونية البرولتارية» أمرا ملحا ، وقرر ان يزداد شدة·

اعترف الكومنترن في شباط سنة ١٩٢٤ بالـ : (K.P.P.) وكان هذا الاعتراف جديرا بأن يزيد من قوة الحزب · الا ان الحزب عاد يعاني ، وبعد الاعتراف بوقت قصير جدا، لا يتعدى الاشهر ، من حالة انقسام وتفكك · وكانت

اسباب الانقسام تعود الى ان «الاقلية القديمة» اخذت تشكو من «تفرقة» تمارس ضدها · ولم يرضها انها اعطيت ثلاثة مقاعد من ثمان في المكتب السياسي ·· وزاد الطين بلة ان هذه الاقلية ذاتها كانت تعاني انقساما ·

وكانت قيادة الحزب تواجه عددا من الاتهامات الخطرة: الانهزامية ، عدم الفعالية ، الميول التصفوية · وكان الواقع العملي للحزب يعزز مثل هذه الاتهامات · ذلك ان عدد اعضاء الحزب كان ثلث ما كان عليه قبل سنتين · وحين انعقد مؤتمر الحزب الخامس عزلت القيادة ، وتولت الامر قيادة جديدة نشيطة تعرف بجماعة (Emek - Nachum - Litvak)

وارتفع بمجيء الجماعة الجديدة ، شعار جديد ، هو : «خروجا من الغيتو اليهودي» · وبات التعريب ، لاول مرة، شعارا مرفوعا ، يستند الى اعتقاد بان «نجاح الحزب يعتمد على تحوله حزبا جماهيريا عربيا» ·

كان الحزب بمواقف مثل هذه يعزل نفسه عن الاوساط اليهودية · ولم يكن رد فعل الاوساط الصهيونية هينا ، فقد طرد الحزب من الهستدروت سنة ١٩٢٤ في نيسان · وكانت حجة الهستدروت ان الحزب طرد لا بسبب وجهات نظر يعتنقها ، بل بسبب نشاطه التخريبي (مظاهرات ضد الهستدروت ، هجمات على مجالس العمال المحلية ، وهجمات لاذعة في الصحف الفلسطينية والشيوعية الاوروبية على منظمة العمال اليهود «الفاشيين الصفر»)·

أخذ الحزب يتوجه حقا الى العرب · ويمكن ان تقدم الحوادث التالية مثلا على ذلك :

أ ـ اشترى الصندوق القومي اليهودي جزءا من وادي مرج ابن عامر ٠ وكان يسكن هذه المنطقة فلاحون عرب ، طالبت الجهة الصهيونية باخراجهم ٠ ولكن العرب رفضوا ٠ وحين تقدم المستوطنون الصهيونيون لاحتلال الاراضي اصطدم العرب معهم وحدثت خسائر ٠ وتدخل البوليس البريطاني بالطبع لمصلحة اليهود ، مما ادى الى وقوع ضحايا من العرب ٠ وكان الحزب الشيوعي ، قبل قدوم المستوطنين بقليل ، قد توجه بنداء الى العرب يطالبهم فيه بمقاومة اليهود «الذين كانوا «سيعمرون» الاراضي على حطام القرية الفلاحية» ٠

ب ـ أيد الحزب في انتخابات بلدية القدس سنة ١٩٢٤ ما كان يعتبر انذاك الجناح المتطرف من الحركة القومية العربية : جماعة الحاج امين الحسيني ٠

ج ـ أيد الحزب سنة ١٩٢٨ العرب في موقفهم من قضية وادي الحوارث ، التي لا تختلف عن قضية سهل مرج ابن عامر ٠

ولكن مثل هذه المواقف قادت الى الانقسام من جديد ٠ وظهر هذا الانقسام ، قبل انعقاد المؤتمر العربي السابع ، سنة ١٩٢٨ ٠ ولذلك وجهت جماعة سمت نفسها « مجلس العمال اليهود » رسالة مفتوحة الى المؤتمر جاء فيها : « ان وطن اليهودي حيثصدف ان يكون قد ولد ، بينما تخص فلسطين العرب ٠٠٠ وانه لواجبنا المقدس ان نقاتل جنبا الى جنب مع العرب ، ونستنهض شعوب العالم ضد الخطر الصهيوني » ٠ ولما كانت اكثرية الحزب اكثر

اعتدالا فقد استصدرت قرارا ضد الاقلية وطردتهـــــا من الحزب • وقد ايدت دوائر الكومنترن الاكثريـة باديء ذي بدء ، ولكنها عادت بعد عام فانتصرت لرأي الاقلية معتبـرة رأي الاكثرية مساويا «لانحراف صهيوني خطير» •

وقام الحزب، خلال السنوات (١٩٢٦ ـ ١٩٢٩) بنشاطات متعددة ولكن «الانقسام» كان مسيطرا عليه • فهو من جهة يستغل ظروف الازمة الاقتصادية للتغلغل في كتبة العمـــال (Gdud Avodah) ويسعى مـــــن أجـــل فضح الطـــابع التضليلي للحركة الصهيونية ، ومن اجل تنظيم الفلاحين العرب وتوجيه نضالهم ، وهو من الجهة الثانية ينتهي ، مع نهاية هذه المرحلة ، باستعمال قناعين اولهما للعربوالثاني لليهود • فنشراته بالعربية تدعو كل وطني عربي لان يهب مقاتلا لانقاذ بيته وبلاده من الغزاة ، بينما تدعو نشراتـــه بالعبرية واليديشية للتضامن بين العرب واليهود(٥) •

المرحلة الثانية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٩) : التعريب •

لم يكن الحزب يدرك ابعاد ما تخبئه سنة ١٩٢٩ • ولذلك، ونتيجة لنمو الاتجاه غير اليساري فيه ، فقد ركز في سنتي ١٩٢٨ و١٩٢٩ على فضح المؤامرات الانكليزية الهادفة الى تحريك النزاع بين العرب واليهود والاقتتــــال بين الاخوة • وحين بدا الجو متوترا ، قبل انفجار حوادث اب سنـــة ١٩٢٩ باسبوع ، أصدر الحزب نشرة دعـا فيها : « الجماهير الكادحة العربيـــة واليهودية لتجـــاوز الحقـد العنصري

---

٥ ـ Laqueur, Walter : *Ibid.*, p. 76.

والاثارة ، وللعمل جميعا على تجنب حرب اهلية ».

والحزب هنا يتحول في سياسته عن لغة نشراته العربية الى لغة نشراته اليهودية . وحين حدث الانفجار ظل الحزب محافظا على خطه السلمي طيلة اربعة اسابيع ، ولكنه ، بعد ذلك ، ساهم في الدفاع عن الاحياء اليهودية . وحمل السلطات البريطانية مسؤولية المذابح .

كان رأي الكومنترن في حوادث اب ١٩٢٩ غير رأي الحزب . ولذلك عقد الحزب ، بعد وصول توجيهات الكومنترن ، اجتماعا ، وقرر : ١- انتهاج سياسة مناقضة للسياسة السابقة ٢- اجراء تطهير في الحزب . واعيد النظر في عضوية الاعضاء بمطالبتهم بالاجابة على عدد من الاسئلة ، منها السؤال التالي : « هل تقبل وجهة النظر القائلة ان انتفاضة اب كانت نتيجة «لثورية» الجماهير العربية ؟ » . وكان العضو الذي يجيب على هذا السؤال اجابة سلبية يطرد . وهكذا طردت الفئات المعارضة للخط «العربي» واتهمت باليمينية والتخريبية . وحين اجتمعت اللجنة المركزية اجتماعها الموسع ، في كانون الاول سنة ١٩٢٩ ، كانت قرارات الاجتماع متفائلة :« فالثورة انتصرت ولم تضرب ، ونحن على ابواب انتفاضات اوسع ». (٦)

وهنالك وثيقة شيوعية نشرت مؤخرا تدرس ثورة١٩٢٩

....

٦ـ Laqueur, Walter : *Ibid.*, p.p. 82-85.

ولعله من المفيد ان تقدم هنا (٧) لانها تلقي اضواء على الثورة وعلى القوى المتصارعة ، ولانها تلقي اضواء على موقف الحركة الشيوعية في فلسطين وخارجها من الاستعمار الصهيوني في فلسطين ٠

وتلاحظ هذه الدراسة التي تحاول ان تكتشف : « من اين أتت هذه العداوة بين المستعمرين والفلاحين » ان هناك « نقصا شبه تام في مصادر البحث ٠٠٠٠ » اما الاسباب فانها « واضحة ومفهومة » ، اذ ان الفلاحين لا يكتبون « شيئا حول كيفية سلبهم ونهبهم ، فهم يحتجون بالسلاح »٠ وعلى النقيض من ذلك الصهيونيون الذين لديهم كثير « من « الباحثين » الذين يمجدون تقدمهم الاستعماري » ٠ و«المصادر البرجوازية حول فلسطين (ومن ضمنها الكتب التي صدرت عن قادة الاممية الثانية) تتجاهل تماما السكان الاصليين ٠»

ويؤكد القسم الاول من الدراسة المعنون : « الطابع السياسي للاستعمار الصهيوني » على الموضوعات التالية :

١ ــ ان ١ بالمئة فقط من المهاجرين اليهود قبل الحرب سكنوا فلسطين ، ومع ذلك فان فلسطين «اعتبرت من قبل

---

٧ ــ شليشتر ، أ : الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة ١٩٢٩ في فلسطين ، ترجمة رياض يونس ، عن مجلة Agrar Probleme الصادرة في موسكو الجزء الثاني مجلد ٣ و ٤ ١٩٢٩ ٠ انظر **دراسات عربية** السنة السادسة ، العدد ١٠ ــ آب ــ ١٩٧٠ ص ٢ ٠

ايديولوجي القومية اليهودية ـ اي من الصهاينة كخلاص للشعب اليهودي من وضعه البائس » ٠

٢ ـ ولكن لماذا فلسطين ؟ لان فكرة (« فلسطين يجب أن تلعب الدور الرجعي الذي ترك في الدول القومية المسيطرة الى فكرة الوطن الام ، اي انها يجب ان تغطي التناقضات الطبقية وتخلق وحدة قومية حول هدف «قومي مشترك» ») ٠

٣ـ ان عملية «شد الاذهان» هذه التي تتم من خلال «توجيه الانظار الى قلة من المستعمرات في فلسطين» ، أدت الى ان تمسك الصهيونية « بالطبقة العاملة اليهودية واليهود الفقراء في شرق اوروبا من الصراع الطبقي »٠

٤ـ ان «مشروع الاستعمار هذا» لم يكن طبعا بأي شكل من الاشكال قادرا على حل «المشكلة اليهودية» ٠ « واذا كانت الحصيلة الاقتصادية للمستعمرات ، من وجهة النظر اليهودية ، غير مهمة جدا ، وعملية استعمار فلسطين لم تؤد الى تغيير يذكر على الوضع الاقتصادي للجماهير اليهودية في اوروبا ، الا ان تأثيرها داخل فلسطين الصغيرة كان كبيرا على اقتصاد البلاد »٠

ويؤكد القسم الثاني : « انتزاع اراضي الفلاحين » على الموضوعات التالية :

١ ـ ان الاراضي التي يملكها الصهيونيون « غير مهمة بالنسبة الى مساحة البلاد الكاملة » ولكن الصهيونيين يشترون «أخصب الاراضي» ٠ وقد بلغت مساحة هذه الاراضي ١،٠٠٢،٠٠٠ دونم سنة ١٩٢٨ ٠ يملك منها

الصندوق القومي اليهودي « ٢١٤ ألف دونم ، والوكالة اليهودية للاستعمار على ٤٢٩ الف دونم والمنظمة الصهيونية الامريكية على ١٥١ ألف دونم ، و ٢٠٨ آلاف دونم كانت موزعة بين املاك مشتركة ، املاك شركات مختلفة ، املاك خاصة وأراضي موزعة على المستعمرين » ٠ وقد توسعت مساحية هذه الاراضي « بعد الحرب العالمية ، وعندما وقعت فلسطين تحت سلطة الانكليز »٠

ويلاحظ الكاتب « طابعا خاصا » للملكية الصهيونية في فلسطين « وهو توسع املاك الصندوق القومي اليهودي » ٠ وقد كانت ٢٠٠٠٠ قبل الحرب ، فأصبحت ٢١٤٠٠٠ سنة ١٩٢٧ ٠

٢ـ بما ان الصهيونية تحتاج الى ارض من اجل اهدافها السياسية ، فقد اصبح « الفلاح ، مستأجر الارض ، يشكل عقبة كبيرة جدا في وجه انشاء المستعمرات اليهودية » ٠ والارض يجب أن « تحرر » من العرب ٠ « فاذا اشترى الصهيوني قطعة أرض من مالك عربي ، فانه يضع الشرط في بعض الاحيان ، بأن تسلم اليه هذه الارض محررة من جميع الفلاحين الذين يعيشون عليها ، ومن جميع مطالبهم ٠ واذا كان المالك الكبير لا يستطيع بنفسه (بسبب القانون العرفي والعلاقات العائلية) « تحرير » الارض ، فان الصهاينة يتكلفون بالقيام بذلك عن طريق جهازهم الضاغط » ٠ اما الصراع الذي يدور حول الارض المبيعة وحق امتلاكها فانه يدور « امام المحكمةولدى

الدوائر الحكومية ، الا انه في الدرجة الاولى ، وقبل كل شيء يقع على الارض نفسها ٠»

وقد رفع الصهيونيون الشعارين التاليين المتكاملين : فايلات هارتس ، أي تحرير الارض عن طريق الشراء ، وكيبوتس هارتس ، اي امتلاك الارض بالقوة ٠ وقد قامت تعاونيات خاصة مثل كفوزوت هاكيبوتس أي تعاونيات انتزاع الملكية بالقوة بهذا العمل ٠ وكانت المستعمرات « تحرس » حتى لا يحاول البدو والفلاحون استعادة الارض بالقوة ٠ ولذلك قامت منظمة « هاشومير » أي الحارس ٠

٣ـ يكثر الصهيونيون من («الوعود «بشراء» جميع الاراضي ، مما يعتبره الفلاح تهديدا له بطرده من فلسطين الى الصحراء وراء نهر الاردن ») ٠ ولهذا فان الفلاح ينظر بكره الى هذا الغريب الدخيل الذي ينتزع منه قطعة أرض خصبة تلو الاخرى ٠ » وتضيف الدراسة « ٠٠٠ ان مخاوف الفلاح العربي ، بان استعمار البلاد على نطاق واسع سوف يطرده من أرضه، هي صحيحة »٠

ويدرس القسم الثالث قضية «استغلال قوة العمل العربية»، وهو هنا يبرز ثلاث قضايا :

١ ـ لم تكن لدى كثير من المستوطنين امكانية للقيام باستغلال الارض التي يملكونها ، او التي وضعت تحت تصرفهم ، دون ايد عاملة غير يهودية ٠ وبما ان اليد العاملة العربية رخيصة ، « فان مزارع المستعمرين

الكبيرة تستخدم في الدرجة الاولى عمالا زراعيين عربا »· ولما كانت الارض التي مساحتها ١٠٠ دونم هي الحد الاقصى الذي تستطيع ان تستغله عائلة واحدة استغلالا مكثفا ، فقد كان ٤٤ بالمئة من الملكيات الصهيونية مضطرة لاستخدام عمال اجراء · ولهذا « فان كثيرا من المستعمرات اليهودية اتخذت في البداية طابع مزارعين ملاكين كبار »·

ويوضح الجدول التالي هذه الحقيقة :

اسم المستعمرة	عدد المستعمرين	عمال يهود	يهود آخرون	عمال عرب
الخضيرة	٣٢	٧	٨	٣٠
زخرون ـ يعقوب	٥٠	١٠	٨	١٠٠
مسحة	٢٣	٦	٣	٤٠
يسود همعلاه	٣٢	ـ	١٤	٦٠
المطلة	٢٤	٨	١٤	٥٠

٢ ـ استغل اليهود اليمنيون ، كما استغل العمال العرب ، وكانت أجورهم متقاربة ، ولقد وضع اليهود اليمنيون في ظروف عمل وحياة محزنة ، حتى ان كثيرا منهم ماتوا ، وحتى مات كل الاطفال الذين ولدوا في بعض المناطق ·

ويستفيد المستوطنون المستغلون من المنافسة بين العمال العرب واليهود وكان التهديد « باستبدال اليد العاملة العربية بيد عاملة يهودية يؤدي بالعمال العرب الزراعيين الى التراجع » ·

٣ ـ لم يجد العمال العرب في الاضراب الكبير الذي وقع سنة ١٩٢٤ في حي بخارى أية مساندة من العمال اليهودالذين كانوا يعملون معهم ، « فاضطروا الى التراجع » · و« لم يقع

بعد ذلك في بيتح تكفا أي اضراب كبير يذكر » ٠

أما القسم الرابع من الدراسة فيعالـــج « اسطورة تقدمية الاستعمار الصهيوني » ٠ وهو يتناول القضية من زوايا عدة أهمها :

١ ــ يكثر الصهيونيون من الكلام عن الطابع التقدمي لعملهم، ذلك انهم حولوا « فلسطين المتوحشة الى بلـد متحضر ، الى اوستراليا جديدة ، الى كاليفورنيا جديدة والى محمية مقدسة سابعة » ٠ وهم يقولون ان «قطعة الارض التي كانت في الماضي بادية ، اصبحت الان قرية من بيوت ، وقبو للخمر على الطريقة الاوروبية » ٠ وصحيح ان مستعمرة كهذه متقدمة على مخيم البدو ٠ « ولكن الميتافيزيقيين فقط هـــم الذين يستطيعون ان ينظروا الى تنظيـــم اجتماعي خارج محيطه الاجتمـاعي في الداخل ، أي في المجتمع الفلسطيني » ٠ ذلـــك ان المستعمرة تقوم هنا « بوظيفة رجعية » ٠

٢ ــ يقوم الصهيونيون بتمجيد « العلاقات الاجتماعيـــة المتقدمة » داخل المستعمرات ٠ ولكـــن الكاتب يرى « ان من الممكن اعتبار هذه العلاقات متقدمـــة اذا غضضنا النظر عن وظيفة عملية الاستعمار السياسية والاجتماعية » ٠ الا انـــه يعقب على ذلك قائلا ان « الملاحـــظ يصاب بخوف من عدم الاطمئنان لهـــذه العلاقات الاجتمـــاعية التي اوجدهـــا الصهاينة » ٠

٣ ــ ويعلن الصهيونيون (« انهم رواد زراعة فـاكهة ذات قيمة ، أتوا بها الى فلسطين ٠ ولكنهم ينسون بذلك بأن ٤٠٪ فقط من الاراضي المزروعة برتقالا تخص الصهاينة، بينما اكثر من ٦٠٪ من الممتلكات تخص العرب غير المتحضرين ») ٠

وتتناول الدراسة في القسم الخامس ، وعنوانه « الحلف الصهيوني ـ الانكليزي » طبيعة هذا التحالف وابعاده ٠ ومما تطرحه هنا :

١ ـ هنالك تناقضات بين السياسة الاقتصادية البريطانية والمصالح الصهيونية: « أدت الى ارتفاع اصوات معارضة في الاوساط الصهيونية » ٠ وهناك من يتكلم(« عن اصواتثورية في اوساط « اليشوف »)وهذا الرأي « خاطيء من اساسه »٠ ان الصهيونيين يخافون « الثورة الزراعية » ولذلك فهم بحاجة « الى المساندة الانكليزية، وسوف لن يتركوا الوضع يصلالى قطيعة مع انكلترا » ٠

وانكلترا من جهة أخرى ، « وبالرغم من البرودةالظاهرية لعلاقة الصداقة بينها وبين البرجوازية الصهيونية، بحاجةالى الصهاينة دائما » ٠

٢ ـ وقد استخدم الجيش البريطاني المستعمرات أثناء الحرب قواعد عسكرية ومراكز تموين ، كما استخدم الصهيونيين في الجاسوسية ٠ وسوف تستخدم المستعمرات للاهداف عينها في حرب قادمة ٠

٣ ـ استخدم الجيش البريطاني المجموعات العسكرية الصهيونية « لاخماد الثورات وذلك ليس فقط اثناء الثورة الفلسطينية الاخيرة ، وانما ايضا في الثورة المصرية سنة ١٩١٩ » ٠

٤ ـ قام رأس المال الصهيوني بتأمين وضع « انكلترا ليس فقط في فلسطين وانما في الدول العربية المجاورة » ٠

أمـــا القسم السادس فيتناول « عـــداء الفلاحين العرب للمستعمرين » · وهو يؤكد على ما يلي :

١ ـ « ان العداء بين العرب واليهود » ليس عداء ذا «جذور دينية » ·

٢ ـ ان « الاسطورة التي تقول بأن العداء بين العرب واليهود هو عداء قومي خالص ليس لها أي أساس » ·

٣ ـ « ان الازمات العربية ـ اليهودية في فلسطين تعبر في اللغة السياسية عن تناقضات علاقات ملكية الارض » ·

٤ ـ وجد الفـــلاح الفلسطيني امامه (« اثنـــاء الحرب الامبريالية فجأة مستعمرا لبس البدلة العسكرية الانكليزيـــة وأتى مـــع القوات الانكليزية لتحـــرير فلسطين ») · ويذكر الكاتب هنا عددا من مواقف الصهيونيين، من الحركة الوطنية، منها ان ثورة نشبت في الجليل الاعلى بين العرب والفرنسيين· وكان هنالك مستعمرة المطلة التي هربت القسم الاكبر مـــن سكانها ، مع العلم بأن قادة الثورة قد شددوا في تصريحاتهم « بأنهم لا يفكرون في القيام بهذا النوع من الحرب ضد اليهود، وبأن علاقاتهم مع اليهود من السكان الاصليين لا زالت علاقة طيبة كما هي الحال من قبل ، وبأنهم يكافحون ضد الفرنسيين فقط ، وينتفضون ضد الذين يريدون قسرا اقامة نير السلطة الاجنبية على الفلاحين » · وعلى الرغم من ذلك قاد ترمبلدور النقيب العسكري البريطـــاني (« العمـــال اليهود المعميين بالشوفينية في سبيل «حماية شرف الراية اليهودية») و «وقف رواد » و « ابطال » الاستعمار الصهيوني الى جانب المحتلين الفرنسيين وساندوا مضطهدي الفلاحين » ·

٥ ـ لدى البرجوازيين والملاك الكبار ، وهم قادة حركة التحرر الوطني ، ما يكفي من الاسباب « لعدم الرضى عن الاستعمار الصهيوني ذلك أن التجارة الخارجية وجزءا من التجارة الداخلية تنتقل اكثر فاكثر الى ايدي اليهود ... » هذا بالاضافة الى « الامتيازات السياسية والاقتصادية التي تقدم للبرجوازية اليهودية » .

يبقى القسم السابع ، والاخير ، المعنون « ثورة الفلاحين الفلسطينيين » ، ويتناول الكاتب فيه احداث الثورة . ومن الملاحظات الجديرة بالاهتمام في هذا القسم :

١ ـ « اتخذت الحركة فورا ، ومن بداية الاضطرابات في الريف طابعا واضحا ضد البريطانيين والصهاينة » . وقد اتهم الحاج أمين بالخيانة عندما(«حاول اقناع الجماهير بعدم الهجوم على الحكومة ، وانما بالاقتصار على حماية الاراضي المقدسة ») .

٢ ـ هدمت مستعمرات بأكملها ، ومع ذلك حمى العرب العمال اليهود في مقالع الحجارة القريبة من بيت لحم ، ورفضوا تسليمهم .

٣ ـ اشترك يهود من السكان الاصليين « في مظاهرات الاحتجاج وفي المهرجانات ، وشجبوا الصهيونية » . واعلنت جماعة من سكان طبرية اليهود « بأنها هي ضد الصهاينة وتساند مطالب المسلمين في حائط المبكى » .

وتصل الدراسة الى ثلاث نتائج هامة :

الاولى : « ان الثورة الزراعية للفلاحين الفلسطينيين، التي

تقوم ضد « ملاكيهم » الكبـار وضد المستعمرين الامبرياليين سوف تقـدم الفرصة لتطور عمـلاق لقوى انتاج البـلاد وزراعتها » ·

الثانية : « ان الكفاح ضد المستعمرين لا يعني ابدا تقويـة حدة العداء القومي كما يظهر · ذلـك ان « الوحدة العالمية للشغيلة العربية واليهودية تتحقق فقط في الكفاح المشترك ضد المستعمرين اليهود · والشعارات السلمية التي تستر معنـى هذا الكفاح لا تؤدي الا الى تعميق العداء القومي » ·

الثالثة : ان الصراع الطبقـي يزداد عمقا في القريـة الفلسطينية وانه « يتخذ له اهدافا جديـدة باستمرار » وان فلسطين « تقترب من ثورة زراعية ضد الامبريالية » ·

وتمثل هذه الدراسة نظرة الشيوعيين الفلسطينيين والحركة الشيوعية العالمية الى الوضع في فلسطين · ويبدو فيها الاهتمام بموضوع الفلاح الفلسطيني والثورة الزراعية · كما يبدو فيها الاصرار على الدور الرجعي للاستعمار الصهيوني ·

في هذا الجو طرحت قضية التعريب ·

بات التعريب قضية الحزب ، وتجلى هذا في امور ثلاثة :

الاول : تعيين سكرتير عربي ، كان رضوان الحلو، تم تلاه سنة ١٩٣٤ موسى الدجاني، بعد عودته من الاتحاد السوفياتي · وقد أرسل اكثر من ثلاثين عربيا ما بين ١٩٢٩ و ١٩٣٥ الى الاتحاد السوفياتي ، ارسلت الدفعة الاولى قبل احداث آب سنة ١٩٢٩ ، أما الثانية والكبرى فقد ارسلت سنة ١٩٣١ · وحين

اعتقل بعض قادة الحزب سنة ١٩٣٠ كان بينهم نجاتي صدقي الذي اشار بافتخار عند اعتقاله الى ان الحزب اصبح عربيا٠

الثاني : التوجه نحو الجماهير العربية ٠ وتمثل هـذا في أمور عدة ، منها مثلا التركيز على النوادي الوطنية والمصانع وورشات سكك الحديد في يافا، والاحزاب والمنظمات الوطنية٠ ومن الاحزاب التي تعاون معهـا الحزب الشيوعي حـزب الاستقلال ٠ وكان شعاره الذي يقوم التعاون عليه : « السير منفصلين والعمل معا » ٠ ومن الاساليب التي أتبعها انه حاول ان ينقل نشاطه من المدن الى الريف ٠ وقد نقـل الحزب في القدس نشاطه من المدينة الى القرى المجاورة ٠

الثالث : اتخاذ موقف نظري مـع الثورة العربية وضد الصهيونية٠ففي اوائل هذه الفترة صدرت الوثيقتان الهامتان: قرار مؤتمر الاحزاب الشيوعية في سوريـة وفلسطين سنة ١٩٣١ ، ومقررات المؤتمـر السابـع للحـزب الشيوعي الفلسطيني ٠ وهاتان الوثيقتان تعتبران قضية الوحدة قضية مركزية من قضايـا النضال في المنطقـة ، ضد الامبريالية والصهيونية ٠ وهاتان الوثيقتان صفحتان ناصعتان في تاريخ الاحزاب الشيوعية في المنطقة ٠

واذا كنا لا نريد ان ندخل في طرح الموقف من الوحـدة ومناقشته ، فاننا نرى لزامـا ان نوجز الموقف من القضية الفلسطينية ، حسب ما جاء في « مهمـات الحزب الشيوعي

الفلسطيني في الارياف » (٨) . وليس هذه الوثيقة الا قرارا اتخذ في المؤتمر السابع للحزب . من اهم ما جاء في الوثيقة.

١ ـ « ان الشرط الاول والاساسي لعمل ناجح في الارياف » لا يكون الا بتعريب الحزب « اي تحويله الى الحزب الحقيقي للجماهير الكادحة العربية » وذلك لان « الثورة الزراعية هي الشيء الاهم ، في بلد زراعي كفلسطين ، ونظرا لان المهمة الاساسية للحركة الشيوعية ـ تحرير البلاد القومي والاجتماعي من الامبريالية البريطانية ومن الصهيونية وطبقة الافندي ...»

٢ ـ « ... انشاء جبهة متحدة للعمال العرب واليهود من اجل النضال ضد الاغتصاب الصهيوني والاستثمار الذي يمارسه المعمرون والزراع والمشاريع الزراعية ... » . وترى المهمات ضرورة التركيز ، بالاضافة الى المطالب العمالية ، « في الظروف النوعية التي تسود في فلسطين » ، على « حملة قوية ومتواصلة ضد طرد العمال العرب من قبل الصهيونيين».

٣ ـ الشعار المركزي للحزب الشيوعي هو الاطاحة بالامبريالية البريطانية . « مستعبدة الفلاحين والتي تساند الاستعمار الصهيوني والاستثمار الاقطاعي الرأسمالي للفلاحين من قبل الملاكين واصحاب المزارع العرب واليهود » . ومن الشعارات التي رفعها الحزب : « الارض لمن يزرعها ، ولا خمس او ثلث يدفع عليها ، ولا دونم واحد للغاصبين الامبرياليين والصهيونيين » . وذهب الحزب ابعد من ذلك فرفع شعار : الاستيلاء الثوري على الارض العائدة للحكومة ،

....

٨ ـ مرقص ، الياس (ترجمة وتحرير) : **الاممية الشيوعية والثورة العربية : الكفاح ضد الامبريالية ، الوحدة ، فلسطين** . وثائق ١٩٣١ ـ دار الحقيقة ـ ص ١٢١ .

والمعمرين اليهود الاغنياء ، والطوائف الصهيونية ، وكبار الملاكين والمزارعين العرب » لكي توزعها لجان الفلاحين ، واعتبر الحزب هذا الشعار شعارا أساسيا من بين ثلاث شعارات أساسية .

٤ ـ وطالب الحزب « بعدم الاعتراف بالاتفاقات المتصلة ببيع الارض على ظهر الفلاحين » كما طالب « بالنضال ضد الغاصبين الصهيونيين الذين يسرقون أرض الفلاح » و « رفض النقل الى مناطق اخرى ، الى شرقي الاردن او سورية او داخل فلسطين » . ويدعو الحزب « العمال اليهود الى قطع الصلة مع جماعات اللصوص والمعمرين الصهيونيين ومد يد المعونة الى الفلاحين المطرودين ... » .

٥ ـ ويرى الحزب ايضا « ان نزع الملكية الصهوني هو الاخطر والاقسى » بالنسبة للفلاح . ذلك ان الفلاح لا يطرد من الارض عادة بصورة مباشرة اذا ما نزعت الارض الحكومة او ملاك الارض « فان الشركات الصهيونية لا تستطيع الا ان تطرده » ، ولان الحملة الصهيونية تتميز في « كونها تحرم الفلاح من اية فرصة للحصول على عمل ... » .

٦ ـ ان البرنامج الصهيوني في ميدان الارض ، بدء بالتحريفيين وانتهاء بوعيلي تسيون هو برنامج اصلاح زراعي « لا بقصد تحرير الارض للفلاحين ، بل بقصد تحرير الفلاحين من الارض ونقلها الى المعمرين اليهود الصهيونيين » .

٧ ـ ويرى البرنامج في ميدان النضال ضد الصهيونية ما يلي :

١ ـ « لقد تحولت الصهيونية الى اداة للامبريالية البريطانية تستخدمها للقضاء على حركة التحرر

القومية للجماهير العربية » « مقابل الدعم الذي تناله من الامبرياليين الانكليز » · كما ان الصهيونية « تصنع أداة من السكان اليهـــود في فلسطين ، بما في ذلك المراتب شبه البروليتارية والبروليتارية » ·

ب ـ ان الصهيونية فصيلة الصدام للامبريالية « تقوم بكفاح ابادة استعماري ضد الجماهير الكادحة المحليـة » · وتمر هذه العملية بثلاث مراحل ، الاولى : استيــطان مهاجرين في حماية الحراب البريطانية · وهذه الهجرة لا يتم منها عفويا الا القليل لانها « هجرة كوادر دربت تدريبا خاصا بوسائل تقدمها البرجوازية اليهوديـــة (ما يسمى « هالوتسيم ») وأعدت خصيصا للاستيلاء على البلاد وانشاء دولة يهودية » · أما نسبة العمـال بين المهاجرين فلا تزيد عن ٥٪ · والباقي برجوازيـــة وبرجوازية صغيرة « بينها عناصر معاديـــة للثورة نفيت من الاتحاد السوفياتي الخ » ·

الثانية : « نزع ملكية الفلاحين العرب واستعمار هذه المنـــاطق من قبــل اليهود وطــرد العمال العرب واحلال اليهود محلهم ، وطرد صغار رجال الاعمـــال والحرفيين العرب وتقوية رأس المال اليهودي » ·

الثالثة : « خلق امتيازات سياسية لليهود ، بالمقارنـة مع السكان العرب » ·

٨ ـ ولهذا يرى البرنامج « ان النضال ضد الصهيونية هو تعبير طبيعي وحتمي عن استنكار الجماهير العربية ، لدرجة انه ليس ثمة حزب واحد من هذه الاحزاب العربية ، بما فيها الاحزاب الممثلة للافندي والكمبرادور ، يستطيــع ان يرفض استخدام الشعارات المناهضة للصهيونية » ·

واذا كان اليهود في فلسطين واقعين « تحت النفوذ المباشر والقيادة المباشرة للصهيونيين » فـــان الحركة المناهضـــة للصهيونية تبدو بالقدر ذاته « حركة مناهضة لليهود » ٠ وهي بهذا «تعطي فرصة للامبرياليين الانكليز والبرجوازية اليهودية، جنبا الى جنب مع ملاكي الارض العرب ، لكي يحولوا غضب الجماهير العربية في قناة النضال ضد الاقلية اليهودية ككل »٠

ويرى البرنامج انه من الخطأ « ان ينظر الى الامبرياليـــة والصهيونية والسكان اليهود٠٠٠ ككل عضوي واحد»٠ ولكن هذا لا يجعل الحزب يغير رأيه٠ فالمستعمرات مخافر زراعية ، والمعمر اليهودي ليس« فلاحا مضطهدا» « بالمقارنة مع العرب، انه يشغل موقع صاحب مزرعة ٠٠٠ »

٩ ـ ولكن متى ينتقـل المستوطنون الى المعسكر الثوري ، يحصل ذلك في رأي برنامج الحزب ، حين تعجز البرجوازية الصهيونية عن تنفيذ التزاماتها،وحين ينحدر المستوى المعاشي للمستوطنين اليهود انحدارا كبيرا ، وفي حالات كهذه فـــان المستوطنين سيكونون مضطرين « امـــا للفرار من الجبهـــة الامبريالية ، اي الهجرة من فلسطين، او للانتقال الى المعسكر الثوري » ٠

هذه هي المهمـــات باختصار ، فيمـــا يتعلق بالموقف من الصهيونية٠ويبدو فيها موقف واضح ومحدد من قضيةالوجود الصهيوني في فلسطين ٠ ولا أريد هنا ان أدخل في مناقشـــة البرنامج كاملا واخطائه النظرية والعملية، فهو ما زاليساوي بين موقف البرجوازيـــة العربية والبرجوازيـــة اليهودية ـ الصهيونية ٠ وهو ما زال يؤكد على جبهـــة عمالية متحدة ،

عربية ـ يهودية ، مع أنه يعرف الامكانيات الحقيقية لقيامها ويحددها .

الا ان البرنامج ، وعلى الرغم من هذا كله يتخذ موقفا حازما وصارما من الصهيونية والوجود الصهيوني في فلسطين، ويعتبر ان الفلاح العربي المسحوق والمضطهد والمطرود من أرضه هو مادة الثورة الزراعية ، الثورة الوطنية الديمقراطية. وليس العامل اليهودي . منطلق الثورة اذن ومادتها وأداتها موجودة في القرية العربية المتخلفة وليس في « اليشوف » الصهيوني المتطور .

وكان الحزب في نضاله العملي ، وفي هذه الاثناء ، دائبا على استثارة العرب من اجل المقاومة . وكان يصدر نشرات في ذكرى احداث ١٩٢٩ ، ويطالب بالعفو عن السجناء ، ويهاجم القادة الذين يسمون انفسهم وطنيين . ومما جاء في نداء أصدره الحزب بمناسبة الذكرى الثالثة لحوادث ١٩٢٩: « ان الاتفاق بين عصابة اللصوص الذين يسمون انفسهم قادة وطنيين والحكومة الاستعمارية والصهيونية الغازية تعاون وثيق » .

وعلى الرغم من ان الحزب لم يساهم في احداث ١٩٣٣ ، الا ان عددا من مناضليه اليهود حاولوا ان ينخرطوا في صفوف الحركة الوطنية العربية ، ولكنهم فشلوا واكتفى الحزب هذه المرة ايضا بالدعوى لاطلاق سراح المعتقلين ولجمع النقود لضحايا الاصطدامات .

وهناك وثيقة ، تعود الى سنة ١٩٣٣ ، تكشف موقف الشيوعيين من ثورة ١٩٣٣ (٩) ٠

وتؤكد هذه الوثيقة على مجموعة حقائق ، تطور النتائج التي وصلت اليها الوثيقة الخاصة بتحليل ثورة ١٩٢٩ ٠ ومما تؤكده الوثيقة ان « ثورة ١٩٣٣ كانت كفاحا مباشرا ضد الامبريالية الانكليزية ، وذلك بهجومها على مبان حكومية وثكنات عسكرية » أما ثورة ١٩٢٩ فكانت كفاحا ضد عملاء الامبريالية ٠ وليس هذا هو الفرق الوحيد بين ثورة ١٩٢٩ وثورة ١٩٣٣ ٠ اذ ان هناك فرقينكبيرين آخرين تشير الوثيقة اليهما ٠ أولهما : ان الجماهيركانت ما زالت سنة ١٩٢٩تحت « النفوذ غير المجزأ للاصلاحيين الوطنيين » ، ولكن هؤلاء بدأوا سنة ١٩٣٣ « يفقدون التأثير على الحركة » ٠ وثانيهما : ان قيادة الحزب الشيوعي وقعت سنة ١٩٢٩ « في سلسلة من الاخطاء اليمينية الانتهازية » ٠ ولكن موقف الحزب الشيوعي سنة ١٩٣٣ كان مختلفا اذ رفع شعارات جوهرية صحيحة ، وهو يكافح « في سبيل قيادة البرولتارية للثورة الزراعية المتصاعدة ضد الامبريالية » ٠ واذ كان دور الطبقة العاملة ضعيفا سنة ١٩٢٩ فقد شاركت في الثورة سنة ١٩٣٣«ووقفت وراء المتاريس في الصفوف الاولى » ٠

ومن الحقائق الهامة التي تؤكدها الدراسة :

١ ــ ان الصهيونية هي السند الرئيسي للامبريالية في

---

٩ ــ لوتسكي ، ف : الامبريالية الانكليزية وثورة تشرين الاول في فلسطين ، ترجمة رياض يونس ، كتاب « دراسات عربية » رقم ٢: المقاومة الفلسطينية ، الواقع والتوقعات ص ، ٩ ٠

فلسطين ، على الرغم من المعارضة التي تبديها السلطـــات البريطانية للهجرة ، وعلى الرغـــم من المعارضة الصهيونية المسرحية للصهيونية ٠

٢ ــ ان الهجرة اليهودية تحمل معها « طابعـــا رجعيا » ٠ وهذه الهجرة هي « السند الرئيسي للامبريالية البريطانية »٠ وعليه فان الشعـــار الذي تهتف بـــه الجماهير العربية ، وهو « ليسقط الاستعمار الاستيطاني والهجرة » شعار ثوري « وهو ليس فقط شعار فلاحي ، وانما ايضا شعار تحرري وطني ضد الامبريالية » ٠

٣ ــ ان اعتبار اليهود جماهير رجعيـــة موحدة خطأ ٠ اذ تحدث في اوساط المستوطنين اليهود « عملية مفارقة » وتنتقل شرائح منهم الى صف الثورة ٠« ولكن المغالاة في تقديرالقدرة الثورية للمهاجرين اليهود تعتبر خطأ فادحا كـــان من سمات القيادة اليمينية الانتهازية للحـــزب الشيوعي الفلسطيني » ٠ وبينما تنقل أقلية من العمال اليهود نتيجة للازمة وتحت ضغط الفقر الى صف الثورة فان العمال يقعون في أغلب الحـــالات « تحت تأثير الفاشيين » ٠

وعلى الرغم من ان الايام أثبتت فيما بعد،وللحزب الشيوعي نفسه ، ان « عملية المفارقة » هذه لم تتم، وان « الاقلية نفسها» لم تنتقل الى صفوف الثورة ، فان الخط العام للحزب كـــان معاديا للصهيونية وللوجود الصهيوني في فلسطين ٠

واستطاع الحزب ، قبل حدوث ثورة ١٩٣٦ ، ان يدرك بأن ثورة على الابواب ٠ وقد دعا الحزب الى تأييد الحركةالوطنية

العربية ، منددا « بالصهيونيين الفاشست لانهم شنوا الحرب على العرب » · ولانهم قاموا بعمليات قتل الفلاحين · كان هذا في تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ · وكان مما طالب به الحزب في دعايته ، حل الهاجاناه ومنظمات الدفاع اليهودية ومنعها · وقابل وفد من الحزب الحاج امين الحسيني ، قبل اندلاع الثورة ، من اجل الوصول الى اتفاق ، تنفيذا لقرار كانت قيادة الحزب قد اتخذته بعد مناقشات ، جاء فيه : « ان الشيوعيين العرب يجب ان يشاركوا مشاركة فعالة في تدمير الصهيونية والامبريالية ، بينما على الاعضاء اليهود ان يقوموا، بدورهم، باضعاف المجتمع اليهودي من الداخل » · وكان من نتيجة هذا الاتفاق ان التحق قائدان شيوعيان بالثورة هما فؤاد نصار ونمر عودة · وأيد الحزب في بيان أصدره بعد اعلان الثورة بأسبوعين مطالب العرب تأييدا تاما ، وحث اليهود على « الانخراط في الحركة الوطنية العربية » ·

ظل نهج قيادة الحزب ، خلال الثورة ، عربيا واضحا · ويمكن ان نمثل على ذلك ببعض الحوادث · من هذه الحوادث :

أ ـ ان قيادة الحزب اعتبرت انهاء الاضراب الكبير ، الذي نظمه العرب ودام ستة أشهر تقريبا خيانة مخزية، ولذلك طلبت من الجماهير مواصلة الكفاح · وكانت القيادة « الوطنية » قد وافقت على انهاء الاضراب، بعد الحاح من حكومات العراق، والمملكة العربية السعودية وامارة شرق الاردن ، دون ان يتحقق أي من الاهداف الوطنية ·

ب ـ حين انعقد مؤتمر بلودان في الثامن من ايلول سنة ١٩٣٧ بدعوة من اللجنة العربية في فلسطين ، أيد الحزب

قرارات المؤتمر، وهي قرارات نصت على رفض تقسيمفلسطين وانشاء دولة يهودية فيها،وطالبت بالغاء وعد بلفور والانتداب ووقف الهجرة وبيع الاراضي ، وأعلنت ان العرب سيقاومون هذا كله ، بكل قواهم ·

جـ ـ حين غادر الحـــــاج امين الحسيني ، مفتي فلسطين ، أرض فلسطين هاربا من وجه السلطات البريطـانية ، احتجت قيادة الحزب على « ابعـــاده » · واتهمت قادة اليهود برفض « مقترحات المفتي المعقولة جدا » ·

د ـ ونشرت جريـدة الحزب ، في ايلول من سنة ١٩٣٨ ، نداء من علي عبد الرزاق ، احد قادة الثورة الكبار ·

وتوقفت الثورة دون ان تحقق شيئا من اهدافها غير كتاب سموه الانكليز أبيض،وعد العرب بوقفالهجرة وبيعالاراضي، مع انه كان يتضمن وعدا لليهودبادخال مائة الف مهاجر جديد خلال خمس سنوات · وقام الحزب الشيوعي بتحليل لاسباب فشل الثورة · وكانت الاسباب « عدم وجود قيادة للحركـــة العربية القومية ، انانية القـادة وانتهازيتهم ··· لا مركزية قيادة العصابات التي اتاحت للاشرار ان يندسوا في صفوف المقاتلين ، وآخرا ، وان كان ليس أخيرا ، ضعف الحـــزب الشيوعي » ·

وظل موقف الحزب واضحا وصلبا من الصهيونية·وتجلى هذا فيما يلي :

أ ـ ظل الحزب يهاجم الاحزاب الصهيونية، وحتى اليسارية منها ، وحين تغير موقف الكومنترن ، بعـد المؤتمر السابع ،

ورفع شعار الجبهات الوطنية ضد النازية والفاشية ، لم يطبق الحزب الشيوعي هذا الشعار في فلسطين • وكان تبريره لهذا الرفض هو « ان العامل اليهودي في فلسطين ، ليس من طراز العمال الذين يعتقدون خطأ بالاشتراكية الديمقراطية » ••• « ان الشوفينية تعمي العامل الصهيوني ، والحوافز القومية الاشد سوادا جعلته يؤمن بالمعجزات • وهو يعتقد حقا ان بلاده ستكون قادرة على استيعاب عشرات الآلاف من اليهود كل سنة خلال السنوات الخمس عشرة الى العشرين القادمة• وهو يؤمن باستيعاب الملايين وانشاء الدولة اليهودية • ان العامل اليهودي يرتكب خطأ اكثر خطورة من العامل الديمقراطي الاجتماعي في اوروبا » • واتخاذ موقف كهذا، في وقت كانت الاحزاب الشيوعية القوية فيه تقبل آراء الكومنترن دون نقاش، وفي وقت كان صعود النازية والفاشية فيه مبررا هاما لقبول صيغة الجبهة ، يدل على شجاعة ونفاذ بصيرة وحسن تقدير واخلاص لروح الماركسية ولعمقها واصالتها وثوريتها •

ب ـ وظل الحزب ايضا ثابتا في موقفه من رفض الهجرة ، حتى بعد صعود النازيين الى السلطة في المانيا ، وكان يعتبر المهاجرين الجدد : « جنودا صهيونيين فاشيين » جاءوا « ليحاربوا الحركة الوطنية العربية والاتحاد السوفياتي » ، وكانوا يرون ان « كل الحركة الصهيونية فاشية » • ولقد قام الحزب بتوزيع منشور في ميناء حيفا ، سنة ١٩٣٦، على دفعة من المهاجرين الالمان • كان المنشور باللغة الالمانية وجاء فيه : « يوجد عدد كاف من العاطلين في هذه البلاد » • شعارنا يجب ان يكون : « انهاء الهجرة والحركة الصهيونية » •

وكان الحزب بعد انتفاضات العرب،سنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٣٦ يحاج ضد الهجرة قائلا : « ما هي نتائج الهجرة ؟ » ويجيب: « انها الدم والنار ، الخراب والجحيم » ·

ولكن ما يجب الاشارة اليه الان ، هو ان هذه المواقف لم تكن مواقف الحزب كله·كانت مواقف القيادة والاعضاءالعرب وبعض الكوادر والاعضاء اليهود· ذلك ان قسما من الاعضاء اليهود أخذ الشك يساوره ، في سياسة الحزب ، منذ اوائل الثلاثينات · وحين بدأت الثورة ، سنة ١٩٣٦، وطلبت القيادة من اعضاء الحزب ان يساهموا فيها ، اختارت الاغلبية، وهي يهودية بالطبع ، ان تنسحب او تجمد نشاطاتها · وفي سنة ١٩٣٩ كان هنالك قيادة دون قواعد · وقد تقلص الحزب في اوساط اليهود تقلصا شديدا ، وانتهى بين العرب · ومع هذا التراجع « العضوي » بدأ تراجع سياسي خطير تمثل ، اول ما تمثل ، في اعادة النظر من موقف الحزب من الثورة · كان الموقف الجديد ، الذي عمم على اعضاء الحزب ، في صيغة رسالة ، في تشرين الثاني سنة ١٩٣٩ يقول : « لقد انتشرت الثورة ، ولكن الحزب لم يقم بدور فيها ، لان الجماهير كانت ضعيفة وغير منظمة ، وكنا خائفين من التسلل الفاشي · ولكنها كانت خطيئة الحزب الا يوضح معارضته لتجديد الاضطرابات · وعندما انتشرت الثورة ، على الرغم من ذلك، صمم الحزب ان يساهم فيها بعد تردد · ولقد قررنا تأييد الاشتراك بسبب الطبيعة الشعبية للثورة ، ومن اجل مجابهة التأثيرات الفاشية » · وواضح ان كل هذه التبريرات كانت تحاول التكيف مع « جو » القواعد التي رفضت خط الحزب

السابق • وهي انحراف جلي عن خط الحزب سابقا ، وتشويه له (١٠) •

المرحلة الثالثة (١٩٤٠ ـ ١٩٤٧) التمزق •

خرج الحزب من ثورة (٣٦ ـ ٣٩) ضعيفا مهزوزا • كان عدد اعضائه بضع مئات ، بينهم اقل من ثلاثماية من اليهود ، ونفر قليل من العرب • ومع هذا فقد كـــان الحزب حزبين • كانت هنالك القيادة ومؤيدوها ، وكان هنالك جماعة يهودية • وفي البدء ، وبعد التراجع الذي حصل ، لم تكن الخلافات في وجهات النظر كبيرة • وكـانت قضية الصراع الاوروبي بين النازية وحلفائها من جهة وبريطانيا وحلفائها من جهة ثانية ، اول ميدان للخلاف بين الفئتين • وبينما كان جمـاعة القيادة يقولون : « ان هتلر الذي يحارب ضده تشمبرلن اليوم ، ليس هو نفس هتلر الذي أراد محاربة الاتحاد السوفياتي • انه لم يعد شرطي تشمبرلن وداليديه،وعليه ان يفعل ما تطلبموسكو منه » ••• كانت الجماعة الاخرى لا تتفق مع القيادة ، وتعتقد بأن كلا من المتخاصمين شر • ولكن الجماعتين مـــا لبثتا ان اتفقتا على ان يكون الشعار الرئيسي : « تسقط الحرب » •

وظل موقف الحزب معاديا للصهيونية وبريطانيا ، خـلال الفترة الواقعة بين ابرام معاهدة عــدم الاعتداء بين برلين وموسكو ، والهجوم النازي على الاتحاد السوفياتي • وكان الحزب يرى ان موقف العرب من الحرب تقدمي : « فلقد فهـم

....

١٠ ـ Laqueur, Walter, *Ibid,* p.p. 96-100.

العرب جيدا طبيعة هذه الحرب الاستعمـــارية ، وأدركوا ان واجبهم مقاومة هذه الحرب والمسؤولين عنها » • وان هنالك أملا بألا ينجرف العمال اليهود مع الدعوة لمحاربة المانيا لانهم « فهموا جيدا ان هذه ليست حربهم ، وانهم سيقاتلون ، مـع الجماهير العربية ، بريطانيا وعملاءها الصهيونيين » •

وأصدر الحزب ، بعد انفجار ثورة ١٩٤١ في العراق،نشرة دعا فيها المانيا وبريطانيا ألا تتدخلا •••

وسعى الحزب جهده ، خلال هذه الفترة القصيرة ، للتركيز على الاحتلال البريطاني في الداخل ، مقابل سياسة التركيز على الخطر النازي ، التي كانت اوساط عديدة تنتهجها •وكان جواب الحزب على السؤال الذي يطرح عليه حول الموقف من الحرب « يأتي العمال ليسألونا عما يفعلون • انهـــم يريدون نصيحة صحيحة • اننا نقول لهم : حسن ، صحيح ان جيوش الالمان والطليان على الابواب ، ولكنه صحيح أيضا انجيوش تشرشل في هذه البلاد وواجبنـــا الاول ان نقاتـــل العدو في الداخل » • وبدلا من ان يركز الحزب على شعار « الدفاععن الوطن » ركز على شعار : « السلم والخبز » •

وحين فاجأ هتلر العالم بهجومه على الاتحاد السوفياتي ، كان متوقعا ان يغير الحزب خطه فورا ، ولكن النشرة التـــي اصدرتها القيادة بعد الغزو طالبـــت بمعارضة حملة التعبئة الصهيونية ــ الامبريالية ، وطلبت من العمال ان يضربواحيث يكونون اعرابا عن تضامنهم مع الاتحاد السوفياتي • ولميكن موقف الجماعة اليهودية مختلفا عن موقف القيادة• فلقدكتبت في جريدتها : « ان الهجوم كان نتيجة اتفـــاق بين الفاشية

والديمقراطية الغربية والانخـــراط في جيش تشرشل مواز للمساعدة التي تقدم لاعداء الاتحاد السوفياتي »· وما انجاء اكتوبر (تشرين الاول) من سنة ١٩٤١ حتى اعلن الحزبان جبهة موحدة من طبرق الى لينتغراد قد تكونت · وبعـــد ان كان الانخراط في جيش تشرشل « موازيا للمساعدة التي تقدم لاعداء الاتحاد السوفياتي » بات الانخراط أمرا ، وبات الجيش البريطاني « رفيق سلاح » للجيش الاحمر البطل · وكان على الحزب ان ينتقد خطه السابق ويعترف بخطئه· وقد فعل·وكان ان اطلق سراح قادة الحزب المعتقلين ، بعد ان تبنى الخـــط الجديد ·

ومر الحزب بتحولات في موقفـــه من الصهيونية ، فحتى حزيران من سنة ١٩٤١ كانت الصهيونيـــة تهاجم على أساس انها حليف للامبريالية البريطانية · أما مـــا بين تموز وايلول فقد هوجمت على اعتبار انها « عميلة الفاشية في فلسطين »· وبينما اتفقت الجماعتان في الحزب ، بعد خريف سنة ١٩٤١، عـــلى ان تدافعا عن استقـــلال العرب القومي ، جرى تخفيف الحملات على الصهيونية ، بعض الوقت ، في حقـــل الاعلام العلني ، وان لم تخفف في المنشورات الخاصة بالكوادر ·

ظل الشقاق بين الجماعتين في الحزب عميق الجذور على الرغم من الاتفاقات المؤقتة · وما ان حلت سنة ١٩٤٣ حتـــى كان الحزبمهيأ لانشقاقكبير وحاسم·وحين اعلنالهستدروت الاضراب في معسكراتالجيش البريطاني شهر سكرتيراللجنة المركزية موسى الدجاني ، والقادة العرب الآخرون به · ولكن الاعضاء اليهود رفضوا هذا الموقف ، متهمين موسى بأنه أيد اضرابات مماثلة قام بها العمـــال العرب · ولم تكن القضية

عسيرة ولا معقدة ، ولا كانت أعسر المشاكل التي مر بهـــا الحزب • ومع هذا فقد صمم القادة العرب على فصل اعضاء القيادة اليهود ، بينما بادر القـــادة اليهود الى فصل موسى والقادة العرب الآخرين • اضطر القادة العرب امـام المبادرة اليهودية الى الاسراع بعملية الانقسام ، فأصدروا نداء اتهموا فيه اعضاء القيادة اليهود بالانحراف القومي • ومما جاء في هذا النداء : «ان الحزب الشيوعي الفلسطيني حزب وطني عربي، مع انه يضم أفرادا من اليهود ، يقبلون برنامجه الوطني » • وازاء هذا الموقف « العربي » قرر القـــادة اليهود ان يقوموا بعملية تطهير وان يستأصلوا السرطان « الموسوي » (نسبـة الى موسى الدجاني) •

وكان من نتيجة هذا الانقسام ان نشأ حزبان احدهما عربي، سمى نفسه : « عصبة التحرر الوطني » والآخر يهودي باسم: « الحزب الشيوعي الفلسطيني » • كـــان خط عصبة التحرر عربيا واضحا • أما الحـــزب اليهودي فلم يكن صهيونيا ولم يكن يعمل من اجل انشاء دولة يهودية • ولكن معاداته الشديدة للصهيونية كانت قد بدأت تتلاشى •وكان الحزب يصدر بيانات غامضة استعدادا لكل الاحداث •

وكان الحزب ، حتى سنة ١٩٤٤ ، يركز عـلى فضح طبيعة المغامرة الصهيونية • ومن اجل الشعارات التي رفعها في هذه المرحلة شعار : « انشاء جمهورية ديمقراطية مستقلة تؤمـــن حقوقا كاملة للاقلية اليهودية » • ولكن الحزب عاد بعد سنتين فطالب بانشاء « دولة ديمقراطية عربية ــ يهودية » • على أن يكون ثلث الوظائف الرئيسية لليهود والثلثان للعرب •

وحين اجتمع في لندن ممثلو الاحـــزاب الشيوعية في دول

الكومنولث من السادس والعشرين من شباط حتى الثاني من آذار سنة ١٩٤٧ · كان يمثل فلسطين قائدان شيوعيان أحدهما ميكونس عن « الحزب الشيوعي اليهودي » والآخر اميل توما عن « الحزب الشيوعي العربي » ·

وكان ميكونس يرى « ان أي اتفاق « عربي – يهودي » يجب ان يستند على أساس استقلال البلاد وفق النقاط التالية :

أ – انهاء الانتداب البريطاني ، جلاء القوات العسكرية البريطانية ، مساعدة (اسهام) هيئة الامم المتحدة في اقامة استقلال البلاد ·

ب – استقلال البلاد ، نظام ديمقراطي ، والمساواة الكاملة في الحقوق المدنية للعرب واليهود ·

جـ – يجب ان تكون الدولة الفلسطينية القادمة دولة فلسطينية ديمقراطية ومستقلة ، تؤمن الحقوق الديمقراطية المتساوية والكاملة لجميع سكان البلاد ، دون النظر الى العرق او الدين او الجنس ·

د – ضمان تشريعي لحرية الضمير والكلام والتنظيم والصحافة والغاء جميع التدابير الاستثنائية ·

ان مفتاح تحقيق هذا الاتفاق الديمقراطي هو في توطيد ووحدة القوى التقدمية بين العرب واليهود » ·

أما اميل توما فيرى :

١ – « ان مسألة فلسطين عيانيا هي مسألة استقلال · والامبريالية البريطانية والاميركية تقف في طريق هذا الاستقلال · وترسم المخططات لاضعاف وتحطيم الحركة الوطنية (القومية) العربية في فلسطين » ·

٢ ـ ان المسألة تبرز في بعض الاحيان « كأنهـــا نزاع بين العرب واليهود · لا كنزاع بين الشعب العربي والجمـــاهير اليهودية من جهة والامبريالية من جهة ثانية » · واذا كـــان صحيحا « ان الكفاح ضد الامبرياليـــة لا يمكن ان يفصل عن الكفاح ضد الحركة الصهيونية ، ولكن يجب ان يكون هنالـك خط فاصل مميز بين الصهيونية ، كما تمثلها اميركا وبريطانيا وبين الجماهير اليهودية المضللة في فلسطين،التي لها مصلحة مشتركة مع الشعب الفلسطيني » ·

٣ ـ ليس صحيحا ان القضية المركزية هي قضية الهجرة· ذلك ان « الهجرة تقف حائلا في طريق التعاون الجماهيريبين العرب واليهود في نضال مناهض للامبريالية ، ولكنها ليست القضية المركزية في فلسطين · القضية هي ان الشعب العربي في فلسطين يكافح من اجل استقلاله ، وان الصهيونيين تتبعهم جماهير اليهود المضللين لا يكافحون من اجل الاستقلال،وضد الاستعمار البريطاني » ·

٤ ـ « ··· ان الكفـــاح ضد الانتداب وضد الامبريـــالية البريطانية لا يمكـــن ان يفصل عن الكفـــاح ضد الصهيونية والهجرة وبيع الاراضي · والتحالف بين القوتين والحاجةالى عزل الجماهير اليهودية عن الصهيونية والامبريالية يمكنان يتحققا بهذه الطريقة » ·

٥ ـ ان حركة التحرر الوطني في فلسطين « يشهر بهـــا الرجعيون بتهمة اللاسامية ومناهضة اليهود » · وهذه التهمة « جديرة بالرجعية التي ساعدت النازية في المانيـــا » · واذا كانت قد وقعت « صدامات بين العرب واليهود » ولكن « هذه الصدامات لم تكن صفة مميزة لحركـــة التحرر العربي » ·

وعانت القيادة الوطنية من نقيصة حيث انها « لم تتخذ موقفا ايجابيا من الجماهير اليهودية ، باعتبارها مميزة عن الصهيونية ٠٠ » ويعود سبب ذلك الى دسائس الامبريالية ـ الصهيونية ، والى الوضع الممتاز للطائفة اليهودية ٠ ولكن الجناح اليساري في الحركة الوطنية ، أي عصبة التحرر الوطني ، تجاوز هذا النقص ٠

٦ ـ ان التعاون الطبقي العمالي العربي ـ اليهودي وكفاح « القوى التقدمية اليهودية المتقدمة ضد الارهاب الصهيوني عاملان جديدان يساعدان في الكفاح المناهض للامبريالية » (١١) ٠

هذه مسيرة الحركة الشيوعية في فلسطين ، وهي تكشف ان الحركة كانت تتمزق دائما على صخرة العلاقات العربية ـ اليهودية ٠ وكان الموقف الصحيح من الصهيونية والاستيطان الصهيوني لا يقود الى وحدة الطبقتين العاملتين العربية واليهودية ، بل الى تمزق الحزب وانسلاخ العناصر اليهودية عنه ٠ وكانت الجماهير اليهودية تنحدر ثم تنحدر تحت وطأة الخضوع للفاشية الصهيونية ، والقلة التي توقعها الشيوعيون تزداد تفاؤلا بدلا من ان تزيد اتساعا ٠ ولقد فشلت بفشل الحركة الشيوعية المتحدة التجربة الوحيدة في العمل السياسي

---

١١ ـ اخذ هذان النصان عن كتاب : « **نتكلم من اجل الحرية** » الصادر باللغة الانكليزية ، والتي يجمع وثائق مؤتمر الاحزاب الشيوعية في دول الكومنولث ٠ قدم للكتاب هاري بوليت ، زعيم الحزب الشيوعي البريطاني ٠ قام بالترجمة الياس مرقص ، ولكنها لم تنشر ٠ والترجمة هنا مأخوذة عن ترجمة الياس مرقص ٠

المشترك · مع ان هذه التجربة هي التجربة الوحيدة المؤهلة للنجاح· ولكن الشيوعيين اخطأوا في دراسة الواقع الملموس· ومع انهم كانوا يعرفون طبيعة الجالية الصهيونية ، ويدعون الى عدم الاغراق في توقع المستحيلات منها ، الا انهم لم يتوقعوا اطلاقا ، كما يبدو مما قدمنا ، ان لا يخرج منها رافد يمد الثورة الشعبية بقوته · وكانوا كلما توقعوا جاءت الايام لتثبت عقم توقعاتهم · ومع ذلك فقد ظلوا يتوقعون · وكانوا على ما يبدو يريدون ان ينبتوا القمح في الصخر ، تحت ضغط القيم الايديولوجية · الا ان الواقع الملموس حكم على كل توقعاتهم بالبطلان حين بدأ الصدام سنة ١٩٤٧ ·

وتنبع أهمية هذه التجربة من العوامل التالية :

اولا : تثبت هذه التجربة ان عدم دراسة الواقع الملموس دراسة علمية يقود الى نتائج مضللة ·

ثانيا : كما تثبت ان اية امكانية للعمل المشترك والنضال المشترك في ظل ظروف ، كالتي سادت في فلسطين قبل سنة ١٩٤٧ ، هي تجربة محكوم عليها بالاحباط،لان العمل المشترك ممكن عندما تكون هنالك قضية مشتركة ، ويكون هنالك حد أدنى من الاحساس بالشراكة في هذه القضية · كما لا بد ان تكون هنالك عوامل توحيد أخرى : تاريخ ، لغة ، تعايش ، امتزاج مصالح الخ · وهذا ما لم يكن في فلسطين ·

ثالثا : ان مجتمعات « المعمرين » لا تنبت فيها حركات ثورية ، وان كان ممكنا ان ينضم بعض الافراد أو بعض الشرائم الى الحركة الثورية ·

الفصل الرابع

الدعوة اليهودية للتعايش والسلام

ظلت العلاقات العربية تعاني توترا منذ الهجرات الاولى ، وكانت الصدامات التي تحدث هنا وهناك ، وما بين آونة وأخرى تطرح قضية العلاقات العربية ـ اليهودية وقضية التعايش : ولقد طرحت الاوساط اليهودية والصهيونية هذه القضية مرارا وتكرارا ·

وكانت بعض الاصوات اليهودية ترتفع في بعض الاحيان محذرة · طالب يتزاك ابنشتاين (Yitzhak Epstein) عند انعقاد المؤتمر الصهيوني سنة ١٩٠٥ ان تدخل الصهيونية في تحالف مع العرب · وقال : « ان اليهود العائدين الى وطنهم يجب الا يفعلوا ذلك باعتبارهم فاتحين ، ان عليهم الا يدوسوا حقوق شعب ابي واستقلالي مثل العرب ، الذين اذا استثير حقدهم ، سيكون له اوخم العواقب (١) · ويرى ابنشتاين : « انه من السهل خلق اعداء بين العرب ، ومن الصعب جدا كسب اصدقاء · ولهذا فان كل خطوة يجب ان تدرس بعناية »

---

١ ـ Laqueur, Walter : *A History of Zionism,* Weidenfeld and Nicolson, 5 Winsley St., London W, p. 215.

ويقترح ابنشتاين في سبيل ذلك الاقتراحات التالية :

الاول : ان تشترى الاراضي التي لا تستغل فقط .

الثاني : ان يقدم اليهود في الوقت ذاته دعما كاملا لمطامح العرب القومية ، وان يعقد ميثاق بين العرب واليهود .

الثالث : « ... المساعدة على رفع مستوى المعيشة لدى الفلاحين . ويجب ان تفتح المشافي اليهودية والمدارس ودور الحضانة وغرف المطالعة لهم . وعلى المدارس اليهودية ان تبتعد عن الروح القومية الضيقة . ويجب الا يكون القصد تهويد العرب بل مساعدتهم في ان يجدوا هويتهم الخاصة . وعلى اليهود ان يأخذوا في الاعتبار الوضع النفسي للعرب ، الامر الذي كان مهملا في الماضي كليا . وحين تنشأ المؤسسات التعليمية العالية ، فانها ستجلب آلافا من الطلاب من البلاد العربية المجاورة . وهذا ايضا سيقوي التحالف الاخوي بين الشعبين » (٢) .

وقد اثارت آراء ابنشتاين كثيرا من الردود. وكانت الردود تنطلق من ان اليهود لا يستغلون الفلاحين العرب بل يستغل هؤلاء الافندية والمرابين . وان هنالك اتفاقا اجماعيا على أن العرب استفادوا من وجود اليهود ، فاذا ما وقفوا يوما ضد اليهود فلن يكون السبب شراء الاراضي بل : « العداوة نحو اليهود الذين نفوا من بلادهم » . ولهذه الاسباب وامثالها لن يكون ممكنا تحقيق اقتراحات ابنشتاين (٣) .

وكتب سولوكوف سنة ١٩١٤ ، بعد ان زار منطقة الشرق الادنى : « ان مسألة علاقاتنا مع السكان العرب اصبحت اكثر

....

٢ ـ Laqueur, Walter: *Ibid.*, p.p. 215-216.

٣ ـ Laqueur, Walter, *Ibid* p. 216

حدة » (٤) • وأخذ الصهيونيون بعد الحرب العالمية يعلنون تأييدهم للحركة الوطنية في الشرق ، وللحركة الوطنية العربية خاصة ، في كل مؤتمر من مؤتمراتهم •

وقد طرح الصهيونيون قضية التحالف عمليا ، خلال الحرب العالمية الاولى ، وهذا ما أشرنا اليه سابقا • وكانت محاولة جرت قبل ذلك للتعاون في انتخابات مجلس المبعوثان في القدس • الا ان هذه المحاولات لم تقد الى قيام علاقات منتظمة (٥) •

وكان روبين يدعو الى دولة ثنائية القومية ، ولكنه تحقق بعد ذلك (المؤتمر الصهيوني ، فيينا ، ١٩٢٥) « ان كل الفلسطينيين العرب كانوا معارضين للصهيونية ، واذا كان أي حل للمسألة الفلسطينية مرهونا (Continsent) بموافقة العرب ، فان ذلك يتضمن ايقاف الهجرة والتقدم الاقتصادي اليهودي » (٦) •

وأشار روبين في تقرير للمؤتمر الصهيوني الحادي عشر : « ••• ان على الصهيونيين ان يعملوا كثيرا من أجل ما أهملوه ، وان يصححوا الاخطاء التي ارتكبوها » • ويضيف روبين « انه بالطبع غير مفيد ان نقنع أنفسنا بطمأنة العرب فقط في اننا قادمون للبلاد باعتبارنا اصدقائهم • ان علينا ان نثبت ذلك بأعمالنا » (٧) واقترح روبين سنة ١٩١١ ان تشترى اراض في حمص وحلب لاسكان الفلاحين العرب المطرودين من أرضهم ، الا ان اقتراحه سقط لانه يثير الشك بالصهيونيين •

---

٤ _ Laqueur, Walter, *Ibid.*, p. 218.

٥ _ Laqueur, Walter, *Ibid.*, p.p. 222-223

٦ _ Laqueur, Walter, *Ibid.*, p. 224.

٧ _ Laqueur, Walter, *Ibid.*, p. 230.

وتكررت التصريحات حول أهمية الحركة القومية العربية وضرورة عدم التقليل من شأنها · وكتب ذات مرة القائد الصهيوني حاييم ارلوسوروف ، سنة ١٩٢١ منتقدا الذين يضعون كل اللوم على المندوب السامي من زملائه ، والذين رأوا ان « اليد القوية » كل ما يحتاج اليه · وأشار الى انهم ان لم يتيقنوا ان الحركة القومية العربية قوة هامة ، فيجب الا يجري التقليل من شأنها ، حتى لو لم تتطابق بالضبط مع المقياس الاوروبي ، لما يجب ان تكون عليه الحركة القومية · وكان ارلوسوروف يرى « ان هناك مخرجا واحدا فقط من الازمة : سياسة سلام ومصالحة ، حتى لو بدا انه ليس سهلا قبول مثل هذه النصيحة ، بينما كانت العواطف تغلي » (٨)·

وكان هناك كثير من التصريحات التي تدعو الى الاهتمام بالعرب والى مراعاة مشاعرهم · وهدفت هذه التصريحات في الواقع الى طمأنة الرأي العام الخارجي ، والى اشعاره بأن الامور تجري على ما يرام · ولكن هذه التصريحات ، كما يقول لاكور ، « لم تلزم احدا بالتحديد ، وكانت ادعائية ، declamotory ولم تكن لها مدلولات عملية » (٩)·

ومن أجل ان يشوه الصهيونيين الحركة الوطنية العربية ويثيروا حولها الريبة والشكوك كانوا يطلقون حول كل الاحداث تفسيرات خادعة · وكان مثلا كابلانسلي يعتقد ··· « ان الحركة القومية العربية كانت ببساطة مضللة بمقدار ما كانت معادية للصهيونية » · وكان غيره من قادة الصهيونية يرد عداء العرب الى « يد خفية » تقف وراء الحركة المعادية

٨ـ Laqueur, Walter, *Ibid.*, p. 231.

٩ـ Laqueur, Walter, *Ibid.*, p. 243.

للصهيونية · فالانجليز والفرنسيون هم الملامون في اوائل العشرينات ، والفاشيون الايطاليون والالمان هم المسؤولون في الثلاثينات · أما اضطرابات سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢١ فتعود الى « التعصب الديني والى التقاليد المألوفة في معاداة السامية » (١٠) ·

ومن أجل الامعان في التشويه والتضليل « كانت الهجمات العربية توصف على أنها مجرد اعمال سرقة وقتل ، تنفذها عناصر مجرمة من بين السكان العرب ، او بواسطة رعاع اثارهم مهيجون بلا مثل اخلاقية » (١١) ·

ولدت في مثل هذه الاجواء « جمعية عهد السلام » سنة ١٩٢٥ في القدس · وكان جوده ماجنس الراعي الاميركي الاصلاحي ، الذي اصبح اول رئيس للجامعة العبرية من المساهمين في تأسيسها · وكانت لماجنس مواقف من السيطرة الصهيونية على فلسطين قبل انشاء الجمعية · وتشير المراجع الى انه لم يكن مسرورا بوعد بلفور منذ البداية · لقد قال : « ان مؤتمر الصلح ليس من حقه ان يعطي اية ارض لاي شعب · وخاف ان يعتبر الصهيونيون من الآن فصاعدا interlopers وغزاة ، وان الدعم الذي تلقوه من قوة امبريالية سيكون في حينه عبئا ثقيلا » (١٢)·

اريد من الجمعية ان تكون ناديا لدراسة العلاقات العربية اليهودية · ولم تكن تضم اكثر من مائة عضو · وكان ماجنس

---

١٠ ـ Laqueur, Walter, *Ibid.,* p. 243.

١١ ـ Laqueur, Walter, *Ibid.,* p. 247.

١٢ ـ Laqueur, Walter, *Ibid.,* p. 248.

يؤيدها ، وان لم ينضم اليها · وضمت بين اعضائها اساتذة جامعة من وسط اوروبا وغربها ·

قامت الجمعية على فكـــرة أســـاسية هي : « ان فلسطين يجب الا تكون دولة عربية او يهودية ، ولكن دولة ثنائيـــة القومية ، يتمتع فيها اليهود والعرب بحقوق مدنية وسيـاسية واجتماعية مساوية ، دون تمييز بين اقلية واغلبية » · وكانت الجمعية تطرح الحكم الذاتي من حيــث الادارة ووحــدة فــي المصالح المشتركة(١٣) ·

ظل تأثير الجمعية محدودا ، ذلك انها ظلت بلا قاعـــدة جماهيرية · ولم تضم الجمعية في عضويتها يهود شرقيين او ضمت قلة فقط من يهود شرق اوروبا · ولكن سبب فشلهـــا الحقيقي كان عدم تجاوب الجانب الغربي ·

وكان ماجنس يطالب ، بعد انتفاضة سنة ١٩٢٩ ان يعاد النظر في السياسة الصهيونية وان تقوم على أسس جـديدة سليمة · وكان يرى ان على اليهود « ان يعودوا الى فلسطين لا باعتبارهم غزاة متبعين تقاليد يشوع بن نون ، بل ان تفتـح البلاد بالوسائل السلمية ، العمل الشاق ، التضحية والحب »· وكان ماجنس راغبا في التنازل عن فكرة الاكثرية اليهوديـة ، ولكنه مصر على اعمـــدة الصهيونية الثلاثـــة : الهجرة ، الاستيطان ، الثقافة العبرية ، وكان يظن ان العرب يقبلون بذلك ·

ومع ذلك فلقد هوجمت « عهد السلام » بقسوة ، اتهمهـــا الصهيونيون بأن «وجهات نظرها تعكس عقلية الشتات ، وسمي

---

١٣ ـ Laqueur, Walter, *Ibid.*, p. 251.

اعضاؤها التمثليون حتى العظم ، والرجال الخالونمن الشعور القومي اليهودي » ٠

وكان هنالك من يرى « ٠٠٠ ان صهيونيتهم كانت متأصلة مثل صهيونية خصومهم ، ولكنهم خافوا انه دون اتفاق ، سيكون هنالك كفاح دائم بين اليهود والعرب ، سيقود الى تدهور الصهيونية ، وربما حتما الى دمارها » ٠

وعلى الرغم من ذلك لم يكن موقف وايزمن غير ودي وقرر ان يقدم للجمعية سنة ١٩٢٧ مساعدة ضئيلة (١٤)٠

ولم تلبث عهد السلام ان انتهت سنة ١٩٣٣ ٠ الا ان ماجنس واصل النضال السلمي دفاعا عن آرائه ٠ وكان من آرائه ان الصهيونيين يطالبون بحكومة يهودية في كل فلسطين والعرب يطالبون بحكومة عربية وان « ٠٠٠ الدعاوة الحدية فيالجانبين ذهبت بعيدا حتى ان اليهود والعرب يزدادون وعيا انهم فينزاع حول كل نقطة تقريبا » ٠ وعليه فان « ٠٠٠ تحقيق اي من هذه المطامح الحدية ستكون نتيجته الحرب بين العالم اليهودي والعالم العربي » ٠ ولذلك كان يرى ان على الطرفين ان يدعوا للوحدة :

أ ــ الوحدة داخل فلسطين بين العرب واليهود ٠

ب ــ وحدة الاراضي العربية السامية التي تكون فلسطين الثنائية القومية جزءا ذا حكم ذاتي فيها ، ولكنه متكامل معها٠

جـ ــ وحدة الاراضي العربية السامية مع الاتحاد الاكبر للامم الحرة ٠

وكان ماجنس يرى ان من واجب الوظيفة الرئيسية لليهود

....

١٤ ــ Laqueur, Walter, *Ibid.*, p. 252-254.

مصالحة العرب مع العالم الانجلو ـ اميركي · وانهم اذا لم يستطيعوا عمل ذلك « فهنالك مستقبل ضئيل لهم في هذا الجزء من العالم · وهم بالتأكيد لا يستطيعون عمل هذا بمحاولة كسب العالم الانجلو ـ اميركي لليهود وحدهم ضد العرب » ·

وكان ماجنس يناشد العرب ان يرحبوا باللاجئين اليهود « ··· باعتبارهم اخوة في كل اجزاء عالم العظيم ، الجديد القديم · رحبوا بالمساعدة اليهودية لخلق الفيدرالية العربية ـ السامية » (١٥) ·

وحين استدعي ماجنس للشهادة امام اللجنة الانجلو ـ اميركية سنة ١٩٤٦ قال : « ان دولة ثنائية القومية هي على المدى الطويل ليس المثال فقط ، بل الحل العملي الوحيد » · وقد سماه بن غوريون طفلا سياسيا (١٦) ·

ويروي نورمان بنتويتش هذه الحادثة التي تعطي دلالات واضحة عن وضع ماجنس في الجامعة العبرية ، وعن مدى التجاوب مع أفكاره · يقول نورمان انه «ذهب لالقاء محاضرة · وما ان بدأ الجملة الاولى قائلا : القدس مدينة السلام حتى هب الطلاب في وجهه صائحين : اذهب وتحدث عن السلام مع العرب ومع مفتي القدس» · ولم تستطع ادارة الجامعة أن تعيد النظام ، فاستدعي البوليس · ويقول نورمان : « وتحت حراسة الشرطة بحرابهم المشرعة اكملت محاضرتي عن : « القدس

---

١٥ ـ Magness, J. L. : *Palestine and Arab Union.*
نشر النص العبري لهذه الترجمة في المجلة الشهرية Bayoth Hayam في حزيران سنة ١٩٤٢ ·

١٦ ـ Laqueur, Walter : *Ibid.*, p. 266.

مدينة السلام » » · ويفسر نورمان الحادثة بقوله ان جماعة جابوتنسكي من الطلاب قد اعتقدوا بأنه مرتبط « ·· بجماعة من اساتذة الجامعات على الاغلب ، كانت عاملة في فلسطين من سنوات عدة ، وكانت تعرف بعهد السلام » (١٧) ويصف نورمان هذه الجماعة باعتبارها تهدف « ··· الى مصالحة اليهود والعرب ، والى تحقيق تعاون في الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية » · وانهم « ··· كانوا يفضلون ادخال المؤسسات التمثيلية على أسس ديمقراطية ، وعمل اليهود والعرب معا في المنشآت الاقتصادية » · ويضيف نورمان: «وكان قلة من القادة اليهود ، وخاصة ماجنس وهيجو وبيرجمان وروبين وكلفارسكي مقتنعين ان الهدف السياسي الاول يجب ان يكون ، لا الحد الاعلى من الهجرة بل التفاهم مع العرب · وقد عبر عن هذه القناعة البرت انشتاين مؤكدا عندما زرته في كوخه خلال اقامتي في برلين سنة ١٩٣٠ ، قال انه سوف لا يبقى مرتبطا بالحركة الصهيونية ما لم تحاول ان تقيم سلاما مع العرب ، بالافعال ، كما هي الحال ، لا بالاقوال· وعلى اليهود ان يكونوا لجانا مع الفلاحين والعمال العرب ، لا أن يحاولوا التفاوض مع القادة »(١٨) ·

ويضيف نورمان : ان ماجنس طرد طالبا ، بسبب ما حدث في المحاضرة فقوطعت المحاضرات ·

وكانت الاتصالات بين القيادات الصهيونية والعربية مستمرة

---

١٧ ـ Bentwich, Norman: *My 77 Years: An Account of My Life and Times 1883-1960*. London, p. 99.

١٨ ـ Bentwich, Norman. *Ibid.*, p. 99.

من جهـــة اخرى • وقد تم لقـــاء بين عوني عبد الهادي وارلوسوروف وشرتوك • واخبر عوني عبد الهادي الزائرين بصراحة ووضوح : « انه ما من فائدة هنالك في المناقشات حول المسائل الاساسية » واضاف : « لم يكن هنالك سوء تفاهم بين العرب واليهود • انه يفهم القومية اليهودية جيدا جدا ، ولكن لسوء الحظ هنالك صدام أساسي في المصالح لا يمكن حـله من خلال الحديث » •

وحدث ان التقى بن غوريون في بيت ماجنس مـع عوني عبد الهادي • وحـاول بن غوريون أن يقنـع عوني عبد الهادي : « ••• انه من الممكن بعد كل شيء تنسيق الاهداف النهـائية للحركتين العربية واليهودية »• قال بن غوريون : « ماذا لو ان اليهود ، بنفوذهم السياسي ومواردهم الاقتصادية ، شاركوا في النضال من اجل الوحدة العربية ؟ وبينما اصبح عونـي ، حسب رواية بـن غوريون ، متحمسا ووعد بأنه سيقبل بهجرة خمسة او ستة ملايين يهودي ، وانه سوف يخرج الى الشوارع ويدعو الى الفكرة بين اصدقائه في فلسطين والبلاد العربيـة الاخرى، عادت فبردت بعد بضع لحظات حماسته: كيف نستطيع ان نعرف بأننا نستطيع الثقة بوعودكم » •

وبعد ان انفجرت ثورة سنـة ١٩٣٦ كتب بن غوريون في رسالة خاصة « ••• انه يشك فيما اذا كان هنالك حتى نصيب واحد من عشرة في الوصول الى اتفاق » (١٩) •

ولكن الاتصالات استمرت خلال الحرب العالمية الثـانية • واستمرت محاولات البحث عن « قادة عرب معقولين » يجري

---

١٩ – Laqueur, Walter: *Ibid.*, p.p. 259-260

التفاهم معهم · ولقد انشئت لجنة خماسيـــة لهذا الغرض ، باركت الوكالة اليهـــودية اتصـــالاتها · وبعد بحث طويـــل واتصالات ، وجدت اللجنة استعـــــدادا لدى فوزي درويش الحسيني من أجل توقيع اتفاق حول دولة ثنائية القومية · ولقد وقع خمسة من جمعية فلسطين الفتاة في ١١/١١/٤٦ اتفـاقا مـــع ممثلـــي ايحـــود (Ihud) · ولم يمض اثنا عشر يومـــا حتى قتل فوزي درويش الحسيني (٢٠) ·

لقد ذهبت كل هذه المحاولات ادراج الرياح ، لانها كانت تستهدف الاحتيال على الحقيقة التي ادركها شعب فلسطيـــن جيدا وهي ان لا تعايش مع الاستيطان الصهيوني ، لانه سينمو حتى يقرر مصير البلاد ·

وفي هذه السنة التي قتل فيها فوزي درويش الحسيني كانت الامور تزداد تدهورا : ان الصهيونيين يتجهـــون الى اقـــامة دولتهم ، على حساب شعبنا ، لقد انتهت مناورات اللجوء الى « السلام » وبدأت مرحلة جديدة من مراحل اللجوء الى السلاح لحسم المعركة ·

---

٢٠ ــ Laqueur, Walter, *Ibid.*, p. 267.

الفصل الخامس

مأساة الفصل الختامي

انتهت الامم المتحدة ، سنة ١٩٤٧ في التاسع والعشرين من تشرين الثاني الى قرار بتقسيم فلسطين الى دولتين · وكان يعلم الذين اتخذوا القرار بأنه سيقود الى حرب ، وان العرب لن يقبلوا به ، لانه يتضمن ظلما فاحشا ، لا يمكن القبول به · كما ان الذين اتخذوا القرار كانوا يعرفون ان الحركة الصهيونية لن تقبل بالرقعة الضيقة التي اعطيت لها ، وبأنها لن ترضى بأن يكون في « حصتها » نصف مليون من الفلسطينيين ، وهو عدد مواز لعدد اليهود آنذاك ·

وحين بدأت الحرب كانت الحركة الصهيونية مستعدة ومؤهلة ، وكان العرب في فلسطين غير مستعدين · اما الحكومات العربية خارج فلسطين فكانت خاضعة وتابعة ، ولم تكن ايضا مستعدة للقتال ، ولا قادرة عليه ·

وهكذا كانت القضية محسومة منذ البدء ·

ولكن الجماهير العربية كونت اللجان ، وحاولت ان تدافع عن مدنها وقراها · الا انها سقطت فريسة اضاليل الانظمة العربية ، التي جاءت لتنقذ فلسطين فسلمتها ·

وفعلت الحركة الصهيونية كل ما من شأنـــه ان يمكنها ان تكسب الحرب ، وان تطرد السكان العرب من ديارهم ، ولقد تمكنت فعلا ان تحتل القسم الاكبر من فلسطين (حوالي ٨٠٪) وان تطرد القسم الاكبر من سكان الارض المحتلة ، وتحولهـم الى لاجئين ٠

ولن نتحدث الآن عن الجرائم التي ارتكبت ، لانها كلهـــا جرائم صغيرة ، امام الجريمة الكبيرة : احتلال الارض وتشريد سكانها واقامة دولة ومجتمع غريبين عليها (١) ٠

ومنذ ذلك الحين قامت حقيقة اخرى على الارض العربية ، وقام واقع جديد ، اعطى الصراع ابعادا جديدة ، سنتحـــدث عنها في الجزء الثاني من هذا الكتاب ٠

أما الآن فسنقدم بعض الملاحظات حول موقف الحركـــة الوطنية العربية من الصهيونية واليهود ، خلال المرحلة التـــي درسناها ٠ وهذه الملاحظات هي :

أولا : كانت الحركة الوطنية العربية في كل المرحلةالمدروسة، تفرق بين اليهود والحركة الصهيونية ٠ وكان هذا التفريق في البدء يتخذ طابع تفريق بين يهود عرب ، ويهود اجانب ، ثـم تحولت الى تفريق بين اليهود والحركة الصهيونية ٠

وكان كل حـــــل يقترح يتضمن مساواة اليهود بالعرب واعتبارهم مواطنين يملكون حقوقا متساويـــة ٠ كما يتضمن التشدد في مسألة الاستيطان الصهيوني ، لان الاعتراف بحق اليهود في التمتع بحقوق المواطنة شيء والقبول بالاستيطان

---

١ ــ يقرأ من اجل تاريخ هذه المرحلة :
John, Robert & Hadawi, Sami : *Ibid.*, T. II, 1945-1948.

الصهيوني شيء آخر ٠ الاول لا يأتي على الوطن بخطر كبير ، أما القبول بالاستيطان الصهيوني فيعني تسليم الوطن الى الغرباء ، والخضوع لسلطة اجنبية عنصرية ٠

ومن هنا كانت الحركة الوطنية العربية تطالب دائما بايقاف الهجرة ، وايقاف انتقال بيع الاراضي ، لان ايقاف الهجرة وايقاف بيع الاراضي ، ضمانتان لعدم قيام دولة صهيونية على انقاض المجتمع العربي في فلسطين ٠ وهذا الطابع السياسي للهجرة ولانتقال الاراضي هو السبب في الاصرار على منعهما ٠ وليس ذلك موقفا عنصريا من اليهود ٠ وما كان ممكنا ان يحدث مثل هذا لولا هذا الطابع السياسي ٠

واذا كانت الحركة الوطنية تفرق بين اليهودية والصهيونية ، فان هذا لا يعني انه لم يكن هنالك افراد من شعبنا او حتى فئات ، تأثروا بأفكار دينية مضادة للسامية ٠ فلقد حمل الجنود الانكليز معهم كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » من الجبهة الروسية ٠ وفي عام ١٩٣٠ طبع هذا الكتاب ووزع ٠ كما ان هناك افرادا وفئات كانت تنظر الى الصراع نظرة دينية ، او نظرة تاريخية تستعيد ما فعله بنو اسرائيل في قديم الزمان ، مع الكنعانيين والفلسطينيين وسواهم ٠ ومن ذلك مثلا ، ان المطران غريغوريوس حجار ، متروبوليت عكا وحيفا والناصرة وسائر الجليل ، روى امام اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ الحكاية التالية :

« زارني يوما احد رؤساء الصهيونية جنتلمان بقدر ما يمكن، وسألني : او لا يمكن ان نتفق ؟ قلت بكل سرور من جهتنا اذا أمكن ذلك باخلاص من جهتكم ٠ اجاب ولماذا ؟ قلت اتعرف يهوديا أقدس من النبي داوود ؟ اجاب لا ٠ فذكرت له ان داوود

عندما كان منهزما امام شاؤول ، وهذا يتعقبه طالبا قتله ، لجأ هو الى ملك الفلسطينيين، فحماه واكرم مثواه ، وكانت النتيجة انه كان يسقط كل ليلة على قرية من قرى الفلسطينيين ويبيد سكانها ، وهو يعتقد انه كان يحسن صنعا بابادة اعداء شعب الله المعتدين على أرضه • وانتهيت ان قلت : نحن الفلسطينيين اليوم بازائكم ، وانتم تمثلون حالة داوود ، فاذا امكنكم ان تعملوا ما عمله لما تأخرتم » (٢) •

وعلى الرغم من هذا فهناك اجماع من اللجان الاجنبية التي قامت بدراسات ، ومن الافراد الاجانب الذين عاشوا في فلسطين ، ان العرب لم يكونوا معادين للسامية • تقول املي فرنسيس نيوتن : « ••• وكان الناس يفرقون بين الصهيوني واليهودي » (٣) • هذا في الوقت الذي كانت الهجرة الصهيونية تزداد فيه ، وكانت «جماهير اليهود » تزداد انجرافا في تيار الصهيونية وخضوعا لها •

وكان الحزب الشيوعي ، يدرك بالتحليل والمعلومات كما رأينا ، حقيقة ان العداء العربي ليس ضد اليهود ، انما هو ضد الصهيونية السند الرئيسي للامبريالية ، وكان يدرك ان الهجرة رجعية بطبيعتها ، وان اكثرية المهاجرين كوادر صهيونية مسيسة ، جيء بها لتحقيق أهداف محددة •

ولذلك وقفت الحركة الشيوعية في فلسطين ، في هذه المرحلة ، ضد الهجرة ، وضد انتزاع الاراضي من الفلاحين العرب • كما وقفت ضد الدولة الصهيونية ، وقامت بفضح

---

٢ ــ كيالي ، عبد الوهاب : وثائق : **المرجع السابق** ، ص ٥٨٢ ، وتراجع ايضا ٤٢٩ •

٣ ــ نيوتن ، فرنسيس اميلي : **المرجع السابق** ، ص ١٣٩ • ايضا ٤٢٩ •

التحالف البريطاني ـ الصهيوني ، وان كان موقفها من الحركة الوطنية العربية قد مر بتغيرات اشرنا اليها ·

واذا كانت هذه التجربة قد فشلت ، لانها لم تستطع الوصول الى قيادة الجماهير العربية ، كما انها لم تستطع ان تستقطب حتى قلة من الطبقة العاملة اليهودية · فان تجربة جمعية « عهد السلام» (Bnit Shalom) التي كان جوده ماجنس رئيس الجامعة العبرية أبا روحيا لها لم تكن اكثر نجاحا · ذلك « ان عددا قليلا من اليهود ، وعدد أقل من العرب أيدوا » خطتها (٤) · وقد تعرض الدكتور ماجنس ، الداعي الى قيام دولة مزدوجة القومية binational والذي استنكر الكتاب الابيض سنة ١٩٣٩، الى حملات من معتدلي الحركة الصهيونية ومتطرفيها، واتهم «باستخدام مركزه ومكانته للاقدام على مناورات سياسية محفوفة بالضرر والخطر ! واعتبرت بادرته خروجا على نظام اليشوف وشق عصا الطاعة على الاجهزة المسؤولة لدى يهود فلسطين··» (٥)

وكانت الحركة الصهيونية تطرح باستمرار ضرورة تحول اليهود الى اكثرية في فلسطين ، وتحول العرب الى أقلية : مستخدمين في ذلك حججا واهية · من هذه الحجج ان بلاد العرب واسعة ، وان لهم دولا مستقلة ، وان هذا لا يجعل عليهم خطرا اذا تحولوا الى أقلية في فلسطين ، كما يجعل لهم مكانا اذا ما انتقلوا الى البلاد العربية (٦)·

٤ ـ Samuel, Edwin : *Ibid.*, p. 95.

٥ ـ رزوق ، اسعد : **المرجع السابق** ، ص ٥٢٠ ـ ٥٢١ ·

٦ ـ The Jewish Agency for Palestine : *Zionism and the Arab World*, Jerusalem, July, 1947, p.p. 12-13.

ولقد قام قادة الحركة الصهيونية باتصـــــالات مع القادة العرب في فلسطين وخارجها ، كمـــــا قام قادة فلسطينيون باتصالات مع قادة الحركة الصهيونية ، ولكن كل الاتصالات كانت تفشل ، لان ما يطلبه الصهيونيون من العرب ، لا يمكـن القبول به ، انه الوطن ٠

وأشار مرة بن غوريون الى النزاع قائلا :

« انه نزاع سياسي ٠ فالعرب يريدون فلسطين ان تبقى بلادا عربية خالصة ، ونحن نريد ان نعيد بنــــاء الوطن القومي فيها » (٧) ٠

وكان هناك اجماع على ان النزاع سياسي وليس قوميا او عرقيا او دينيا ، وانه صراع من اجل الاستقلال والمحافظـــة على الارض والوطن ٠ ولذلك كان صراعا حادا لا امكانيـــة للقاء او التفاهم فيه ٠

ثانيا : ان موقف الحــركة الوطنية من الاحتــلال البريطاني كان حادا وعدائيا منذ البدء ٠ ولذلـــك فقد كانت المؤسسات الحكومية تتعرض للهجوم في كل الانتفاضات والثورات ٠ ولكن قيادة الحركة الوطنية كان مختلفا ٠ ذلك ان هذه القيادة حاولت في المرحلة الاولى ١٩١٩ ـ ١٩٢٩ ان تتلافى الصدام مـــع الانكليز ، وان تركز جهودها على الاستيطان الصهيوني ٠ وان كانت الجماهير لا تفرق بين العدوين ٠ ولكن الجماهير ازدادت نقمة على السياسة البريطانية ، بعد الغـــاء الكتاب الابيض لسنة ١٩٢٩ ، ومع نمو قيادات جديدة من البرجوازية الوطنية

....

٧ ـ Ben Gurion, David : *The Peel Report and the Jewish State*, London, 1938 (P.L.S.) No. 10, p. 11.

والصغيرة · واضطرت القيادة امام تفاقم النقمة الجماهيرية ، وامام احتقار السلطات البريطانيــــة للقيادات والامعان في تجاهل مطالبها ومطامحها في الحكم ، اي شكل من الحكـم ، فقد سارت متلكئة ومترددة في ظل المـوجة الجماهيرية · الا انها لم تستطع ان تنظمها وان تقودها ، وان تسير بها الـى الامام · وكانت تتراجع ، وتتنازل وتتكفيء ، كلما واجهـت صعوبة ، او نالت وعدا ، او تعبت من الكفاح · ولم يكـــن خطها في محاولة تحييد البريطانيين ، في المرحـــلة الاولى ، خاطئا ، وان كان بحاجــــة الى مزيد من الحزم في معالجة مشكلة الصهيونية والاستيطـــان · ذلك ان اقنـــاع الحركة الصهيونية باستحالة قيام دولة يهودية في فلسطين كان يعنـي ان تتحول حياة المستوطنات الى جحيم ، وان يحس اصحـاب فكرة الدولة الصهيونية ان لا مجال للبقـــاء في فلسطين او التوسع او الازدهار · ولهذا فان انتفاضات مثل انتفاضـات ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٤ و ١٩٢٩ لم تكن كافية · كانـــت ارهاصات ، بدايات ، لم يقيض لها ان تنمو وان تتكامــــل · ولذلك لم تقتنع الحركة الصهيونية داخل فلسطين وخارجها ان الحلم انقضى · وعلى النقيض من ذلك فان ما حققته من تقدم ما بين ١٩١٩ و ١٩٢٩ اقنعها بضرورة الاستمرار · كمـا ان ما تعرضت له من « هجمات » غير حاسمة ألهم بعض « الطلائع » الصهيونية بالهجرة الى فلسطين ·

وحين اتجهت الحركة الوطنية في فلسطين الى البريطانيين ، لم تملك قيادتها الحزم اللازم · وحين انفجرت ثورة ١٩٣٦ ، وبلغ الغليان الشعبي ذروته ، عجزت القيادة عن الاستفادة من المد الشعبي الزاخر ، وبددته بدلا من ان تزيد تعبئته · وما ان

حلت سنة ١٩٣٩ حتى خمدت الثورة ، وتفرق القادة ، وتوقف العمل الوطني ٠

ولما انتهت الحرب ، أخذت الامور تتدافع وتتسارع ، بينما كانت الحركة السياسية العربية مشلولة وحائرة ٠

وكانت مطالب القيادة الوطنية تنحصر دائما فيما يلي :

١ ـ الاستقلال ، وقيام دولة فلسطينية ديمقراطية واحدة ، يتمثل فيها جميع السكان حسب نسبتهم العددية ٠

٢ ـ الارتباط مع بريطانيا بمعاهدة ، كالمعاهدة التي عقدت بين العراق وبريطانيا ٠

وكانت بريطانيا تقف دائما ضد هذه المطالب « المعتدلة » ، لانها مصرة على تنفيذ المطالب الصهيونية ٠ ولقد كان تحقيق الاستقلال يحول دون زيادة عدد المهاجرين الصهيونيين ويمنع انتقال المزيد من الاراضي ٠ وحينما احست بريطانيا ان كل شيء قد أعد كما تريد الصهيونية ، نقلت القضية الى هيئة الامم ، وفسحت المجال أمام الحركة الصهيونية لاقامة دولة الاحتلال الصهيوني ٠

لقد حمت بريطانيا الصهيونيين حتى اصبحوا قوة ، بينما كانت تمنع العرب من ان يستعدوا بكل الوسائل ، ثم تركت العرب أمام الحركة الصهيونية وجها لوجه ، وحسم الامر كما هو معروف ٠

ولقد وقف العرب ، خلال الصدام مع المنظمات الصهيونية والاستعمار البريطاني خلال الحرب وبعدها (١٩٤٢ ـ ١٩٤٧) موقف المتفرج ٠ وكانوا يظنون ان هذا الصراع يضعف العدوين ٠ ولذلك انتظروا النهاية دون ان يقرروا عمل شيء ٠

كان التحالف مع الحركة الصهيونية مستحيلا ، حتى وقت الصدام ، وكان الوقوف بانتظار النتيجة موقفا سلبيا ٠ فماذا كان يجب ان يعمل ؟ كانت هناك امكانية واحدة هي بدء حرب عصابات ونشاط جماهيري واسع ضد الاحتلال البريطاني والاستيطان الصهيوني ٠ وكان هذا وحده العامل الذي يستطيع ان يربك خطط العدوين في وقت معا ٠ ولكن الجماهير كانت « مهزومة » بعد خمود ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، والقيادات كانت بين شهيد وسجين ومنفي وهارب ٠

ثالثا : ان التطور الذي حدث خلال الحرب ، والمتمثل بدخول الولايات المتحدة بكل قوتها ، والتغيير الذي حدث بعد الحرب بوجود الولايات المتحدة على المسرح الدولي ، اعطى القضية الفلسطينية ابعادا جديدة ٠ ذلك أن الاستعمار الجديد ، أخذ يدرك أهمية قيام الدولة الصهيونية ، بالنسبة لمشاريعه ومصالحه ، المطروحة على بساط البحث ، بالنسبة للاستعمار القديم منذ اوائل القرن التاسع عشر ٠ ولهذا رمت الولايات المتحدة بثقلها كله من اجل توسع الاستيطان الصهيوني ، اي من اجل قيام دولة صهيونية في فلسطين ٠ وهكذا أخذ الصراع مع الصهيونية بعدا جديدا ، لم تستطع الحركة الوطنية المتخلفة آنذاك ، ولا الانظمة العميلة والتابعة والعاجزة ان تدركه او تعطيه أهميته ٠

رابعا : ان الصراعات الشاملة بين الشعوب صراعات دموية وطويلة المدى ، وذات قوانين خاصة ٠ ومثل هذه الحروب ، لا يمكن ان تتجاوز المدنيين ـ مثلا ـ لانهم وقودها وأدواتها ٠ وهي لا يمكن ان تحل بالمعاهدات أو الاتفاقيات ، لان اسبابها لا تزول الا بزوال احد الخصمين ، اما ماديا

ومعنويا كما حدث للصليبيين ، او معنويا ، اذا حل الاستسلام محل ارادة الكفاح ، وخضع الخصم المهزوم لقانون التعايش والتمثل ، كما حدث لكثير من الشعوب ، واذا كانت الاتفاقات والمعاهدات لا تنهي مثل هذا الصراع ، فان المعارك الكبيرة والصغيرة لا تنهيه ايضا ، حتى ولو كانت حاسمة احيانا ، ما دامت هنالك بقية باقية من ارادة القتال او رفض الاستسلام ·

ولقد ظل الشعب الفلسطيني يرفض التسوية منذ ١٨٩٧ حتى سنة ١٩٤٧ · وكان رفضه واصراره على القتال دليلا على تمسكه بقضيته وعلى عدم التفريط بها · ولم تستطع النكسات ولا الهزائم ان تضعف ارادته او توهن تصميمه · واستطاع بصبره ونضاله ان يؤجل قيام دولة الاحتلال ، وأن يقلل عدد المهاجرين ومساحة الاراضي المبيعة ، حتى كانت جولة الهزيمة المذلة الشائنة سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ ·

والصراعات الشاملة لا يحكم عليها بحادثة فردية او خطأ فردي او جماعي ، او بمجموعة من الوقائع المتناثرة ، لان في التاريخ كثيرا من هذه الاخطاء والوقائع ، ولا تخلو حركة او ثورة منها · ولكن يحكم عليها بأسبابها ونتائجها · ما الذي قاد اليها ؟ وماذا ستكون نتائجها ؟ ولا يحكم على الاخطاء والوقائع الجزئية الا ضمن هذا الاطار ·

اننا لا نستطيع ان نفهم اسرار هجمات العرب على اليهود سنة ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ ، اذا لم نأخذها ضمن اطارها السياسي · ولا شك ان قتل الاطفال في مدرسة جريمة ، ولكن هذه « الجريمة » يتغير مضمونها ودلالاتها عندما تكون قد حدثت في هياج شعبي عام ، سببه ليس دينيا ولا عرقيا وانما سببه الدفاع عن النفس · أو ارباك مخططات العدو ، أو

محاولة تجنب كارثة اكبر ، كقيام دولة الاحتلال الصهيوني ٠

ويكثر في الصراعات الشاملة خاصة قتل الاطفال والنساء وتدمير البيوت والمزارع ، ولكن الطرف الرجعي العدواني ، هو الطرف الذي يلجأ اليها عادة ، ويستخدمها سلاحا ضد عدوه ٠ ولذلك فان كل الاخطاء التي وقعت فيها الحركة العربية العفوية ، لم تبلغ بعض ما بلغته الوحشية في مجزرة دير ياسين ، المنظمة والمنفذة عن سابق اصرار وتصميم ٠

ولقد حدث سنة ١٩٤٨ ما توقعه شعبنا من قبل : ضياع الوطن والتشريد تحت كل سماء ٠

ومن هنا يبدأ تاريخ جديد

وتبدأ علاقة جديدة مع اليهود والصهيونية ٠

مطبعة الرأي الجديد

جنزوره الغميس - شارع نايف تللو

تلفون ٢٣٠٠٣١

منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الابحاث

ص. ب. ١٦٩١ – بيروت

اسس في شباط (فبراير) ١٩٦٥

تصدر عنه

(١) سلسلة « اليوميات الفلسطينية »
(٢) سلسلة « حقائق وارقام »
(٣) سلسلة « ابحاث فلسطينية »
(٤) سلسلة « دراسات فلسطينية »
(٥) سلسلة « كتب فلسطينية »
(٦) خرائط وصور فلسطينية
(٧) سلسلة « نشرات خاصة »
(٨) شؤون فلسطينية
(٩) نشرة « رصد اذاعة اسرائيل »

السعر ٤ ل.ل.
٥ ل.س.
٥٠٠ فلس